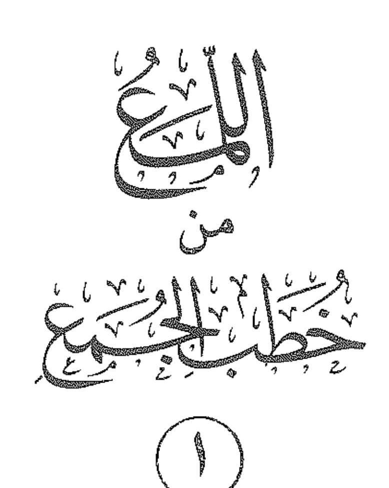

اللمع
من
خطب الجمع
١

الطّبعة الثانية

١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

دار ابن خزيمة

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

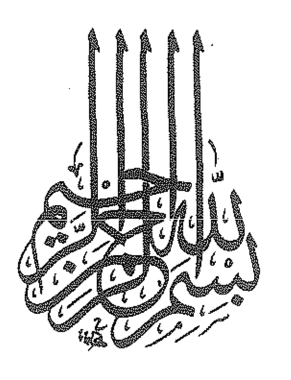
الرياض - هاتف ٤٧٦٩٩٣٢



المجموعة الأولى

بقلم الفقير إلى عفو ربه
الشيخ عبد الله بن صالح القصير





المقـــدّمَة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلاَّ على الظالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فهذه مجموعة من خطب الجمعة التي خطبت بها في مسجد «جامع الأمير متعب» بالملز بالرياض، أشار عليَّ عدد من الإخوان والطلبة بطباعتها ونشرها، رجاء أن ينفع الله تعالى بها من يطلع عليها أو يسمعها من المسلمين، كما نفع ـ وله الحمد والمنَّة ـ بإلقائها. ونظراً لوجاهة طلبهم وعظيم حقهم عليَّ ولما في ذلك من إسعاف الخطيب وإعانة الواعظ والنصيحة لكل مسلم، قبلت مشورتهم، وحققت رغبتهم، فها هي ولله الحمد بين أيديهم، وأسأل الله تعالى أن يجعلها مباركة وخالصة لوجهه، وأن ييسر إخراج بقيتها فإنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

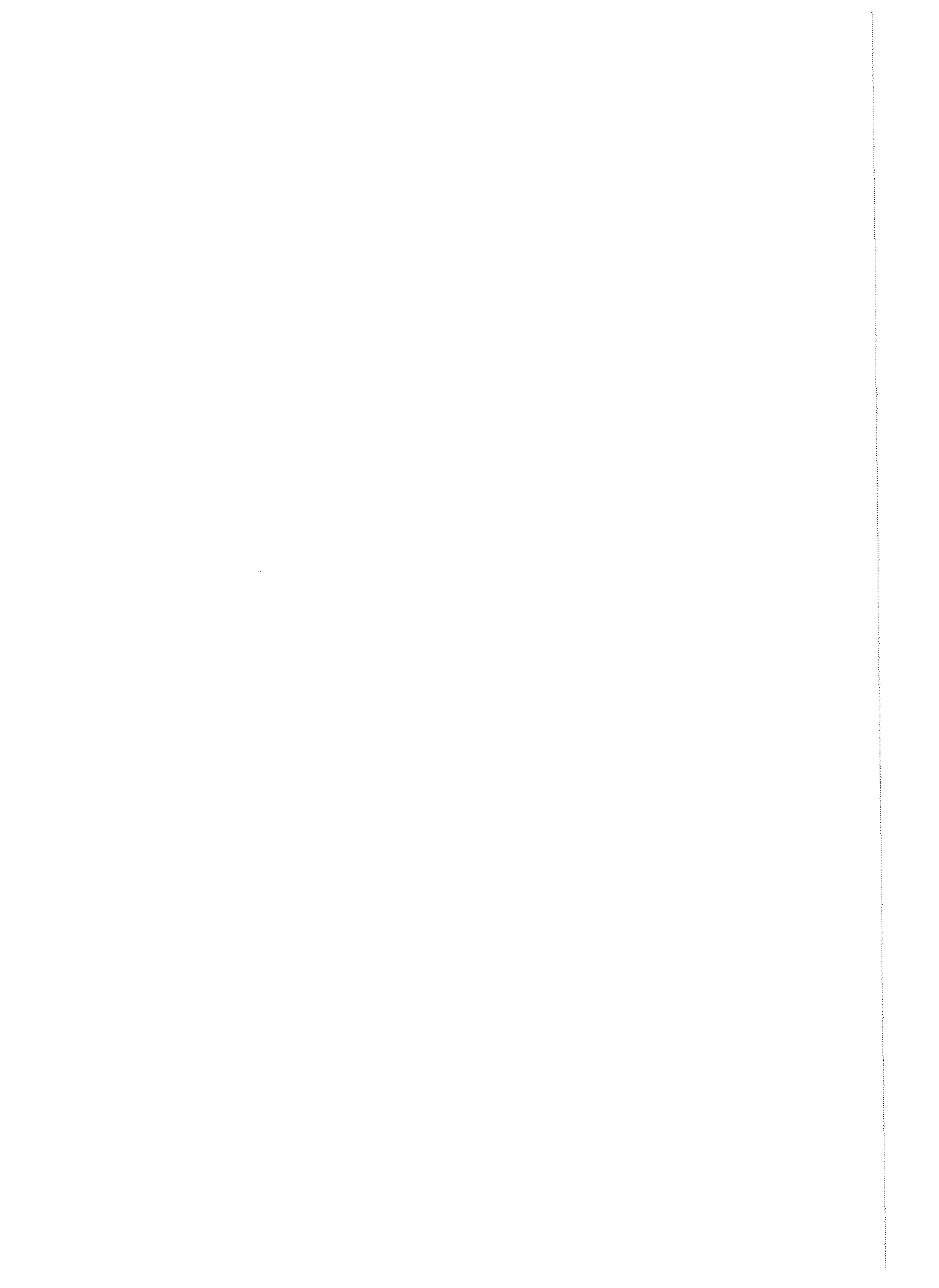
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

الفقير إلى عفو ربه

الشيخ عبدالله بن صالح القصيِّر

١٥/١٠/١٤١٢هـ

إمام وخطيب مسجد «جامع الأمير متعب» الغربي بالملز



معنى كلمة التوحيد وفضلها
والحذر مما ينافيها ويضادها

الحمد لله له الملك: ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾(١)، ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾(٢).

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۝٤﴾(٣).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المخاطب بقول الحق: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾(٤).

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.
(٢) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.
(٣) سورة يونس، الآيتان: ٣، ٤.
(٤) سورة الزمر، الآيتان: ٢، ٣.

ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[(١)].

أما بعد :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[(٢)].

﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[(٣)]، وافعلوا الخير لعلكم تفلحون ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[(٤)].

أيها المسلمون : إن أساس الدِّين هو إخلاص القصد في الأقوال والأعمال والدعوات والنفقات والأحوال لله رب العالمين؛ بأن يبتغي المرء بما يفعل أو يترك من هذه الأُمور وجه الله ولا يلتفت قلبه فيها إلى أحد سواه كائناً من كان، وفي أي زمان أو مكان، فحقيقة التوحيد إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك الشرك به، والبراءة من الشرك

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢١، ٢٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

وأهله، وهذا هو الدِّين الذي بعث الله به جميع المرسلين.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾[2]. وأخبر سبحانه أن أولئك المرسلين خاطبوا أممهم مبلغين وناصحين قائلين: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾[3]. فكل الرسل إلى جميع الأُمم من العرب والعجم بعثوا بدعوة الناس إلى أن يقولوا لا إلـٰه إلا الله، ومعناها: لا معبود بحق في الوجود إلا الله، وتحقيقها أن لا يعبد إلا الله، وأن يكفر بكل معبود سواه، فلا إلـٰه إلا الله هي أساس الدين، وتحقيقها أول واجب على المكلفين؛ فإنها كلمة الإخلاص، وتحققها للمرء من النار خلاص، وهي الركن الأول للإسلام، وعليها تبنى عبادة الأنام؛ فمن قالها عارفاً بمعناها عاملاً بمقتضاها فهو المقبول عند الله، ومن قالها وجهل معناها أو لم يعمل بمقتضاها فإنه الخاسر الذي خسر دنياه وأخراه.

أيها المسلمون: إن هذه الكلمة هي أصل الدين والفرقان بين المؤمنين الموحدين والكافرين المشركين، وهي كلمة التقوى، والعروى الوثقىٰ، والشجرة الطيبة التي أصلها ثابت في القلوب وفرعها في السماء، تؤتي أكلها من الكلم الطيب والعمل الصالح كل حين بإذن ربها، فهنيئاً لمن ثبتها الله في قلبه، وذلل بها لسانه،

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.
(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

واستعمل بها جوارحه وأركانه، فصلحت بها سريرته، وجملت بها سيرته، فسددت بها أقواله، وحسنت بها أحواله، إذ زينه الله بزينة التقوىٰ وثبّته على الاستمساك بالعروة الوثقى ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾(١).

أيها المسلمون: إن تحقيق لا إلـٰه إلا الله هو إفراده سبحانه بجميع العبادات، وتخصيصه تعالى بالقصد والإرادات، ونفيها عما سواه من المعبودات التي نفتها لا إلـٰه إلا الله عن سائر المخلوقات، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، الذي لا يبقي في القلب شيئاً لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما أمر به الله، هذا هو والله حقيقة لا إلـٰه إلا الله، وأما من قالها بلسانه ونقضها بفعاله فلا ينفعه قول لا إلـٰه إلا الله، إن من صرف لغير الله شيئاً من العبادات أو أشرك به أحداً من المخلوقات ـ فإنه كافر بالله ولو نطق ألف مرة بلا إلـٰه إلا الله.

قيل للحسن البصري رحمه الله: إن أُناساً يقولون: من قال لا إلـٰه إلا الله دخل الجنة، فقال: من قالها وأدى حقها وفرضها أدخلته الجنة لا إلـٰه إلا الله. وقال وهب بن منبه لمن قال له: أليس مفتاح الجنة لا إلـٰه إلا الله؟ قال: بلى، لكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك، وإلا لم يفتح لك؛ لأنك في الحقيقة لم تقل لا إلـٰه إلا الله. يعني بأسنانها العلم بمعناها، والعمل بمقتضاها، وترك ما يضادها ويخل بها وينافيها.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

فيا أيها المسلمون : لا تظنوا أمور الشرك منكم بعيدة؛ فإن كثيراً من الناس وقعوا فيه في مهاوي شديدة تقدح في لا إلـٰه إلا الله، أين من وحّد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة؟ أين من خصّه سبحانه بالذل والخضوع والتعظيم وإخلاص القصد والإرادة؟ أين من أفرده تعالى بالتوكل وفوض إليه في الحقيقة أمره وجعل عليه اعتماده؟ فإن كل هذه من معاني لا إلـٰه إلا الله.

فسارعوا عباد الله إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للمتقين، الذين آمنوا بالله ورسوله، فقاموا بواجبات لا إلـٰه إلا الله. فتمسكوا عباد الله بعرى لا إلـٰه إلا الله، فإن من نفى ما نفته وأثبت ما أثبتته ووالى عليها وعادى ـ رفعته إلى أعلى عليين، منازل أهل لا إلـٰه إلا الله.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والبيان، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٥.

الدعاء: فضيلته وحسن عاقبته

الحمد لله باسط العطاء، مجيب الدعاء، أحمده سبحانه على السراء والضراء، حمداً يملأ الأرض والسماء، وما بينهما مما يشاء.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الديان، ذو الجود والإحسان، يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، البشير النذير، والسراج المنير، خير من تضرع إلى الله في الشدة، وأرشد إلى صالح الدعوات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يتضرعون إلى ربهم في سائر الأوقات ويسارعون في الخيرات.

أما بعد:

فيا أيها الناس: استكينوا له، وتضرعوا إليه، فإنه لا مفر ولا منجى ولا ملجأ منه إلا إليه، فآمنوا به وتوكلوا عليه، وأحسنوا الظن به، وفروا إليه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾ [1] ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ

---

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾(١).

أيها المسلمون: إن مجالب الهموم وبواعث الأحزان في هذه الحياة كثيرة متعددة ومتنوعة، وتصيب كل أحد من الأنام، فلا يسلم منها عظيم لعظمه، ولا غني لماله، ولا ذو جاه لجاهه، فضلاً عن البائس المحروم، والضعيف المظلوم، ولكن المؤمن الحق هو الذي يستيقن أن ما ألمَّ به من نازلة، أو فاجأه من فاجعة، إنما وقعت بقضاء من الله وقدر ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾(٢). فيتجه العبد إلى ربه في سائر آنائه مخلصاً له في تضرعه ودعائه ﴿ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٣) ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾(٤).

فإنه سبحانه سائق كل خير، وكاشف كل ضر، وقد أخبر عن نفسه أنه يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، وأن رحمته قريب من المحسنين، فعندما تستحكم حلقات المحن، وتشتد الكروب،

---

(١) سورة الزمر، الآيات: ٥٣ ـ ٥٨.
(٢) سورة الحديد، الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٨٣.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

وتتابع الشدائد والخطوب، فليس أمام المسلم إلا أن يلجأ إلا إلى الله تعالى، ويلوذ بجنابه، ويضرع إليه راجياً تحقيق وعده الذي وعد به عباده المؤمنين في قوله المبين: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[١]. فالدعاء وسيلة مشروعة يأخذ بها الصالحون إلى جانب الوسائل المعنوية والمادية لحفظ النعماء ودفع البلاء.

أيها المسلمون: ولقد كان رسول الهدى ﷺ يربي أصحابه على أن تكون حياتهم كلها ذكراً لله تعالى، وتضرعاً إليه، وذلاً له واستكانة بين يديه؛ وخاصة عندما تنزل المحن وتشتد الخطوب، وتعظم الرزايا وتتوالى الكروب.

ولقد امتلأت كتب السنة بالتوجيهات الكريمة التي تجعل المسلم موصولاً بربه، ففي كل مناسبة دعاء، وفي كل يقظة أو نوم أو حركة أو سكون اتجاه إلى الله، يشد المسلم إلى ربه، ويذكره بفضل ربه عليه، وأن يستغفر لذنبه ويتوب إليه، حتى يحقق الرجاء، ويستجيب الدعاء، ويجود بالخير، ويدفع البلاء.

وكم في القرآن العظيم من الدعوات الكريمة لخيار خلق الله وصفوته من عباده، يستعينون به سبحانه على تحصيل عظيم المطالب ومتنوع الحاجات، ويستعيذون به من المصائب والملمات، فإنه عبادة لرب العالمين، وسنة مأثورة عن الأنبياء والمرسلين، ووسيلة مباركة من وسائل الصالحين المهتدين، وسلاح عظيم من أسلحة المؤمنين،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٦.

فإن الدعاء يعالج البلاء، ويدفع شر القضاء، وينفع مما نزل ومما لم ينزل من البلاء، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الله تعالى يحب الملحين في الدعاء، وكم صرف الله عمن قبلنا من أنواع البأساء والشدائد والضراء.

فعليكم بالدعاء، لازموه ولا تعجزوا عنه؛ فإنه لا يهلك به أحد ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[1]. وإن المصيبة كل المصيبة أن يحال بين المرء وبين الدعاء عندما تنزل به المصيبة أو يشتد به الكرب، فلا يضرع إلى الله ويلح بالطلب بأن يدفع المصيبة ويكشف الضر ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[2]. فمن أحب أن يوفق للجوء إلى الله تعالى عند الشدة والبلاء فليلازم الدعاء والتضرع إليه حال الرخاء، والشكر على النعماء، وليسأل ربه اللطف في القضاء، والعافية من البلاء.

أيها المسلمون: لقد كان نبيكم ﷺ إذا أهمَّه أمر رفع رأسه إلى السماء، فدعا يلتمس الفرج والنجدة من رب السماء، وكم له ﷺ من الدعوات المأثورات عند الكروب ونوازل الخطوب، فعندما آذته ثقيف جلس ﷺ إلى ظل شجرة ورفع رأسه إلى السماء ضارعاً يقول: «**اللهم أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي**» الحديث.

وعندما نازلته قريش في بدر رفع رأسه ويديه إلى السماء وأخذ

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٧.

(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

يدعو الله ويضرع إليه حتى أتم الله له النصر، وبعث إليه ملائكته تقاتل مع جيشه.

وشرع ﷺ الدعاء عند القحط وعند الكسوف والخسوف وغيرها من النوازل، وكان يقنت في الفرائض فترة من الزمان على أشخاص وقبائل آذوه وآذوا أصحابه حتى أعزه الله ونصره، وأظهر دينه.

فاتقوا الله عباد الله، وتضرعوا إليه، واتخذوا من الأدعية المأثورة وسيلة لبلوغ الآمال، واقرنوها بصالح الأعمال، واعلموا أن من شروط قبول الدعاء الكف عن انتهاك محارم الله، وعدم الغفلة عن الله، ثم الرجوع إلى التوبة الصادقة، التي يقطع بها المرء الصلة بماضي الآثام، ويستصلح بها النفس في مستقبل الأيام، مع الحذر من الكسب الحرام، أو الدعاء بالإثم وقطيعة الأرحام، فادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، ولا تقعدنكم عن الدعاء الغفلة، أو الركون إلى ضلال الضالين وشبه المنحرفين، فإن للدعاء أثره الواضح الفعال، في تحقيق الرغائب وبلوغ الآمال، وحسبك أنه هو العبادة التي تفتح بها أبواب الرحمة؛ إذا توجه به العبد إلى ربه راغباً راهباً نال رضاه، وبلغ به فوق ما يتمناه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1].

اللهم اجعلنا ممن آمن بك وتوكل عليك، ورجاك واعتمد في جميع أموره عليك، وفوض أمره إليك، ودعاك وذكرك في سائر آنائه

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

وتوجه إليك، وتضرع إليك رغبة ورهبة، فأجبته فأكرمته وحفظته وأجرته، وزدته من هداك وفضلك، وثبته على الحق في الدنيا وفي الآخرة، يا أرحم الراحمين، يا حي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، وَصَلِّ اللهم وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه.

* * * *

من شأن المؤمن استشعار معية الله والطمأنينة إليه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن إحساس المؤمن بحفظ الله له، ويقينه أن الله معه، يسمعه إذا شكا، ويجيبه إذا دعا، ويأخذ بيده إذا كبا، ويمده إذا ضعف، ويعينه إذا احتاج، ويلطف به إذا خاف، كل ذلك من أسباب ارتياح النفس وانشراح الصدر، وطمأنينة القلب وتيسير الأمر، وطيب العاقبة في العاجل والآجل، فإن ثقة العبد بربه ويقينه بأنه سبحانه المتولي لأموره، وأنه تعالى سائق كل خير، وكاشف كل ضر ـ لا تتركه نهباً للوساوس والأوهام، ولا تلقيه في بيداء اليأس من روح الله، أو ظلمة القنوط من رحمة الله؛ بل تجعله يضرع إلى الله تعالى عند كل نازلة، ويستجير به عند كل مصيبة، ويشكره ويذكره، ويحمده عند كل نعمة ورحمة، فيتجه إلى الله في سائر أحواله، داعياً متضرعاً موقناً بالإجابة، منتظراً للفرج من الله، لا يتجه إلى غيره، ولا ينزل حاجته بسواه ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[1]. فيذكر ربه في كل

(١) سورة النمل، الآية: ٦٢.

أحواله ذاكراً وشاكراً على السراء، وصابراً ضارعاً منتظراً للفرج عند الضراء، ويسأل الله أن يجود عليه بحفظ النعماء، والعافية من البلاء، واللطف في القضاء.

فاتقوا الله عباد الله، وثقوا بمعية الله للمؤمنين؛ فإنها لكل من اتقى الله في سره وعلنه، وأحسن ابتغاء وجه الله في قوله وعمله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨ ﴾[1]. وهي المعية الخاصة التي مقتضاها العون والتسديد، والحفظ والتأييد، واللطف بالعبيد، ومن كان الله معه فقد آوى إلى ركن شديد.

أيها المسلمون: ليس للمصائب حد تقف عنده، ولا للبلايا نهاية في هذه الحياة، ولا للفجائع التي تحدث في الزمن لون خاص؛ فكل مصيبة أو بلية أو محنة يجب اتقاء أسبابها قدر المستطاع، فإذا وقعت تعيّن الصبر عليها، وانتظار حسن عاقبتها، والخلف منها، واحتساب أجرها عند مُقدِّرها ومجريها تبارك وتعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ۝١١ ﴾[2].

وكم في الصبر على المكاره من جميل العواقب، وكريم العوائد، التي أعظمها تجريد التوحيد بالإخلاص لله وحده، وصرف القلوب عن التعلق بالعبد، ومنها زيادة الهدى والإيمان، وعظم الأجر في الميزان، وتكفير الخطايا، ورفعة الدرجات، ومضاعفة الحسنات ﴿ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١١.

﴿ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1]، ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾[2]. فالصبر ذخر وضياء، وخير ما تحلى به العبد عند البلاء، وحال البأساء والضراء، كيف لا وقد وعده الله بنصره وتأييده وبشره، ويقول ﷺ: «واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً». ويقول: «وما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأوسع من الصبر، ومن يتصبر يصبره الله».

أيها المسلمون: ومن عدة المؤمن في سيره إلى ربه التوكل على الله؛ الذي حقيقته الاعتماد على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره مع تفويض الأمر إليه تعالى، وانجذاب القلب إليه محبة له، وثقه به، واعتماداً عليه، وتكميل ذلك بمباشرة ما شرعه الله تعالى من أسباب توصل إلى المقاصد، وتحمد بها العوائد، فإن التوكل للمؤمن من خير الخصال وجليل الأعمال ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾[3]. وجزاؤهم من الله الكفاية، فمن توكل على الله كفاه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾[4]. أي كافيه ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[5]. ومن توكل على الله ووثق بكفايته حقيقة فلن يتمكن منه عدو، ولن يخيب له مطلوب، ولن يفوته مرغوب ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٣.
(٥) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾[١].

أما التوكل المزعوم الذي هو مجرد دعوى باللسان مع فقد الثقة بالله من القلب وتعطيل طاعته من اللسان والأركان، وترك مباشرة الأسباب التي جعلها أسباباً يُنال بها المحبوب، ويُتقى بها المرهوب، أو الاعتماد على الأسباب والإعراض عن مسببها تبارك وتعالى ـ فهذا توكل ادِّعائي لا يفيد أهله شيئاً؛ بل يكون من أسباب شقائهم في العاجل والآجل.

ومن مظاهره أنك ترى أهله يتصرفون عند وجود ما يقتضيه تصرف فاقدي الإيمان، ومن لا يؤمن بكفاية الرحمن، ويظنون بالله ظن السوء، فمثلاً عندما تحدث حوادث مثيرة للقلق، وتنشب حرب في جهة؛ ينسون لطف الله ورحمته بعباده، يذهب أحدهم إلى الأسواق ليشتري من السلع فوق حاجته ولو بأثمان مضاعفة ليدخرها لليوم المشؤوم أو الأسود في زعمه؛ فيتسبب ذلك التصرف في ارتفاع أثمان الأرزاق، واضطراب الأسواق، وإغراء ضعفاء النفوس في احتكار الأرزاق، وإرجاف البسطاء من النساء والسفهاء، ويذهب ضحية ذلك الفقير والمسكين والأرملة، والأجير الذي لا يجد غير أجره اليومي، وتلك نظرة مادية تقدح في التوكل، فتؤثر فيه أو تضعفه وليست من الأسباب المشروعة ولا من باب «اعقلها وتوكل»، ولكنها من باب الاعتماد على الأسباب، والإعراض عن رب الأرباب ومسبب الأسباب.

فاتقوا الله عباد الله، واصدقوا في التوكل على الله، وخذوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.

بالأسباب المشروعة، وهو اللطيف بعباده، بيده الخير، وله ملكوت كل شيء، وهو القادر على كل شيء، والظاهر على كل شيء ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾[1]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم وللسلمين والمؤمنين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

متى يكون العمل عبادة مقبولة؟

الحمد لله عالم الخفيات، المطلع على السرائر والنيات، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماوات، أحمده سبحانه أن هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأسأله أن يجعلنا من خير أمة أخرجت للناس؛ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٠﴾[1]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للناس بشيراً ونذيراً، لتطيعوه وتتبعوه لعلكم تفلحون، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أن الله خلقنا لعبادته، وأمرنا بطاعته، وبعث إلينا خير خلقه وأشرف رسله محمد ﷺ؛ لنتبعه على شريعته، ونقيد أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا بهديه وسنته، فالعبادة أيًّا كانت قولية أو فعلية لا تكون عبادة حقيقية ولا تتم ولا تنفع صاحبها فيُثاب عليها في الدارين ـ إلا إذا تحقق فيها أمران لا يكفي أحدهما عن الآخر.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ٤٠.

أحدهما: الإخلاص لله، وهو إفراد الله تعالى بالقصد في الطاعة دون من سواه، بأن يقصد بها وجه الله تعالى متقرباً بها إليه رغبة ورهبة وخوفاً وطمعاً، فينقيها ويصفيها من قصد ثناء الناس ومحمدتهم، أو المنزلة في قلوبهم، أو تحصيل شيء مما في أيديهم من الحطام، أو اتقاء ما قد يوجهونه للشخص من المذمة والملام، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾[2].

فالإخلاص لله هو القاعدة التي تبنى عليها العبادة وتكون حَرِيَّة بالقبول والنفع والمثوبة، فهو معيار باطن الأعمال الدقيق، ومقياسها الصادق الذي يميز طيبها من خبيثها، وصحيحها من فاسدها، ومقبولها من مردودها، ونافعها من ضارها.

صح في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه». وفي الحديث القدسي قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه». ولقد قال سبحانه في تنزيله المبين: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى

---

(١) سورة البينة، الآية: ٥.
(٢) سورة الزمر، الآيات: ١١ ـ ١٥.

ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾[1].

أيها المسلمون: وأما الشرط الثاني الذي يكون به العمل عبادة حقيقية حرية بالقبول والنفع والثواب في الدارين ـ فهو أن يكون العمل على وفق سنة النبي ﷺ وهو معيار ظاهر الأعمال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[2].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد». وفي لفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». وقال ﷺ: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة». وقال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به». وقال عليه الصلاة والسلام: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى. قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى».

فالإخلاص ـ أيها المسلمون ـ هو ميزان أعمال القلوب التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، ويقابله الشرك الأصغر أو الأكبر، والمتابعة هي ميزان أقوال اللسان وأعمال الجوارح الظاهرة، ويقابلها المعصية أو البدعة، والناس شهداء لله في أرضه، وإنما يشهدون للإنسان أو عليه، بما يرون من أعماله ويسمعون من أقواله، والغالب أنهم لا تتفق شهادتهم وثناؤهم للإنسان أو عليه خاصة بعد موته إلا

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

وهو كذلك. وفي الحديث: «أنتم شهداء الله في أرضه؛ من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شرًّا وجبت له النار».

فاتقوا الله عباد الله، ولازموا الإخلاص لربكم، والمتابعة لنبيكم محمد ﷺ في أقوالكم وأعمالكم ونياتكم؛ فكل عمل أو قول مما شرع الله لا يراد به وجه الله فهو باطل لا ثواب له عليه في الآخرة، وإن أدرك شيئاً من حطام الدنيا، يقول سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1].

ويقول تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾[2]. ويقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[3].

ولقد ذم الله تعالى الذين يعملون على غير هدي الأنبياء، وتوعدهم وعيد الأشقياء فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾[4]. فأولئك عملوا وتعبوا لكنهم خابوا وخسروا، فلم يستريحوا من عناء العمل، ولم يفوزوا برضوان الله عز وجل.

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٢) سورة الإسراء، الآيتان: ١٨، ١٩.
(٣) سورة الشورى، الآية: ٢٠.
(٤) سورة الغاشية، الآيات: ٢ ـ ٧.

وهذا الوعيد يشمل فيما يشمل صنفين من الناس:

أحدهما: المنافقون؛ فإنهم استقاموا في الظاهر على الدين ولكنهم لم يخلصوا في الباطن لرب العالمين، وإنما قصدوا حقن دمائهم وصيانة أموالهم وحرماتهم ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾(١). ولهذا توعدهم الله بالدرك الأسفل من النار؛ لأنهم شر من المشركين والكفار، وأخطر منهم على الدين والمسلمين إذ يفشون الأسرار، ويكيدون آناء الليل والنهار.

والصنف الثاني: المبتدعة الذين قد يخلصون لله في العمل ولكنهم لا يعبدونه بما جاءت به الرسل. وكذلك المشركون الذين قد يخلصون لله في بعض الأعمال ولكن يبطلونها بالشرك فلا تنفعهم في المآل.

فاتقوا الله عباد الله، وأخلصوا كل أعمالكم لله، وأَوْقِعوها على وفق سنة عبده ورسوله ومصطفاه؛ فإن ذلك هو سر النجاح والفلاح بغاية الأرباح، واعلموا أن الله مطلع على سرائركم، وعالم بما أكنته ضمائركم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ۝٢٨١﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

في لزوم السنة والتحذير من مخالفتها

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله ربكم، واتبعوا كتابه المبارك الذي أنزله موعظة لكم وذكرى، فاتبعوه واتقوه لعلكم ترحمون ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1]، ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[2]. من اتبعه وتمسك به كان على الهدى، ومن تركه كان على الضلال؛ ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال في خطبته في حجة الوداع: «**إني تارك فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به ـ كتاب الله**». وفيه أيضاً عن زيد بن

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٤٢.

أرقم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به». وفي هذا بيان منه ﷺ أن اتباع الكتاب والتمسك به عصمة من الضلال، ونجاة من الفتن، ونور في الظلمات، وفرقان بين الحق والباطل عند اشتباه الأمور.

أيها المسلمون: ولقد وكل الله تبارك وتعالى مهمة تفسير القرآن وبيانه للناس إلى رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[2]. وبيان النبي ﷺ لكتاب الله والذكر الذي جعله الله هدى ورحمة للمؤمنين هو بوحي من الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[3].

ولهذا امتن الله تعالى ـ وله الفضل والمنة ـ بذلك على هذه الأمة السابقين منهم واللاحقين ببعثته ﷺ، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[4].

فمن فضل الله ورحمته علينا أن بعث إلينا عبده ورسوله محمداً

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة النحل، الآية: ٦٤.
(٣) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.
(٤) سورة الجمعة، الآيات: ٢ ـ ٤.

ﷺ، وأنزل عليه الكتاب ليتلو علينا آياته، ويعلمنا الكتاب والحكمة التي هي السنة؛ يبين بها معاني القرآن، ويفصِّل أحكامه، ويبشر وينذر ويهدي بها إلى صراط مستقيم، كل ذلك فضل من الله على هذه الأمة ورحمة بها، والله ذو الفضل العظيم.

أيها المسلمون : فالنبي ﷺ أفعاله وتقريره وحاله، ذلك كله من سنته، فلولا السنة لم يعرف الناس عدد ركعات الصلاة وصفاتها وما يجب فيها، ولولا السنة لم يعرفوا تفصيل أحكام الصيام والزكاة والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يعرفوا تفاصيل أحكام المعاملات والمحرمات وما أوجب الله فيها من الحدود والعقوبات؛ ولهذا أوجب الله طاعة رسوله ﷺ وقرنها بطاعته، وجعلها من أسباب رحمته وهدايته، وحذر من معصيته ومخالفته فقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾[2]. وقال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[3].

وقال جل ذكره: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[4]. وقال تبارك اسمه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾[5].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٤.
(٣) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٤) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٥) سورة النور، الآية: ٦٣.

قال الإمام أحمد رحمه الله: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعل إذا رد بعض قوله ﷺ أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وتمسكوا بكتاب ربكم وسنة نبيكم ففيهما الهدى والنور والخير الكثير، واحذروا ما يخالفهما من محدثات الأمور، فإنها ضلال وغرور، ولقد وعد الله تعالى من اتبع هداه بأن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة فقال: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾[1]. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «كل أمتي يدخل الجنة إلا من أبى قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». وفيهما أيضاً أن النبي ﷺ قال: «من رغب عن سنتي فليس مني». وأخرج البيهقي عن النبي ﷺ قال: «لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

فعليكم عباد الله بلزوم سنة نبيكم ﷺ في جميع أحوالكم؛ فإنها سعادة لمن تمسك بها ونجاة له من كل هلكة، واعلموا أنه لا يقبل قول وعمل ونية، ولا يصلح إلا بموافقة السنة، وأن الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريق رسول الله ﷺ؛ فمن اقتفى أثره فإن الله يجعل له نوراً في قلبه، ونوراً يسعى به على الصراط يوم القيامة. وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده ـ يعني خلفاءه وأصحابه ـ سنناً؛ الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكثار من طاعة الله، وقوة على دين الله، من اهتدى بها فهو

---

(١) سورة طه، الآية: ١٢٣.

مهتدٍ، ومن استنصر بها فهو منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، والله تعالى يقول: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ٢١﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الهدى والذكر الحكيم، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

خطر البدع والتحذير منها ومن أهلها

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق المبين، أحمده سبحانه أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً إلى يوم الدين، ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين وإله الأولين والآخرين، أتقن ما صنع فما ترى في خلق الرحمن من تفاوت، فتبارك الله أحسن الخالقين، وأحكم ما شرع فأغنى عن البدع، وحفظ الذكر فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، والرسول المبين، وإمام المتقين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، الذي بلَّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على بيضاء نقية لا يزيغ عنها إلا هالك ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٥٧﴾[2].

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

أما بعـد :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[1].

اللهم ثبتنا على دينك، وزدنا من هداك، وارزقنا الاستقامة على طاعتك والتمسك بسنة نبيك محمد ﷺ حتى نلقاك مسلمين مؤمنين محسنين غير مبتدعين ولا مبدلين ولا مرتدين، اللهم بيِّض وجوهنا، وثقِّل موازيننا، وزحزحنا عن النار، وأدخلنا الجنة، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم جنبنا البدع في دينك؛ فإنها تغير القلوب، وتبدل الدين، وتفرق الكلمة، وتشتت شمل المسلمين، ويتسلط بسببها الظلمة على المسلمين، وتزيل النعماء، وتجلب الشقاء، وتسود الوجوه، وتخفف الموازين، وتخرج المرء من ولاية الرحمن حتى تجعله وليًّا للشيطان، والشيطان إنما ﴿ يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٠٢ ـ ١٠٧.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٦.

أيها الناس : ارضوا ما رضيه الله لكم من الدين، فكونوا لربكم سبحانه طائعين، ولنعمه شاكرين، ولنبيكم محمد ﷺ في جميع الأمور متبعين صادقين؛ حتى يحفظ الله عليكم نعمه، ويصرف عنكم نقمه، ويزيدكم من فضله، ويعاملكم بإحسانه ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ۝٧٠﴾[1]. اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، واسلكوا طريق الحق الذي له هديتم، وعليكم بالسنة التي بها فضلتم، تمسكوا بها ولا تستوحشوا من قلة السالكين، واهجروا الضلالات، ولا تغتروا بكثرة الهالكين ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝١١٦ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١١٧﴾[2] ألا لا يتطاولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، ولا يلهينكم الأمل فإن كل ما هو آت قريب.

أيها الناس : إياكم ومحدثات الأمور؛ فإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس : احذروا البدع، فإنها تشوه الدين، وتطمس معالم السنن، وتحدث الفتنة، وتضل الناس عن طريق الجنة، وتجعلهم يسيرون في طريق منتهاه الجحيم، وتفرق الناس، وتجعل أهلها يصرون على الحنث العظيم، يتفرقون شيعاً ويتآمرون أحزاباً وذلك شأن المشركين، كما جاء بيان ذلك في القرآن المبين، وتجعلهم يفرقون دينهم كل حزب بما لديهم فرحون، وقد نهاكم ربكم عن ذلك

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ١١٦، ١١٧.

بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾[(١)].

أيها المسلمون: ما من بدعة تحدث إلا ويميت الناس من السنن مثلها، ولا يحدث رجل بدعة إلا وقد ترك من السنة ما هو خير منها، وما ازداد صاحب بدعة اجتهاداً إلا ازداد من الله بعداً، وعملٌ قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة؛ فإن الله تعالى إنما يتقبَّل من المتقين، والمبتدع ليس من أهل التقى بل هو من أهل العمى، لا يقبل الله من صاحب بدعة صياماً ولا صلاة ولا حجًّا ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً؛ قال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»**.

أيها الناس: الحذر الحذر، والفرار الفرار، فإنكم اليوم في زمن نفقت فيه سوق البدع، وراجت تجارتها، وكثر الذين يحترفونها ويدعون إليها ويزينونها، ويفتنون الناس بما يُضِلُّونَهُم بها عن دينهم، فيصدونهم عن سبيل ربهم، ويأكلون أموالهم بالباطل، ويستعبدونهم، اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين، وصدوا الناس عن الهدى، وما ربك بغافل عما يعملون، فهم كما أخبر عنهم النبي ﷺ: **«دعاة على أبواب جهنم؛ من أجابهم قذفوه فيها»** قيل: يا رسول الله! صفهم لنا، قال: **«هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»**.

فإذا عرفتم ذلك معاشر المسلمين فاحذروا أن تجالسوهم أو تصغوا إليهم أو تعظموهم، فإن النبي ﷺ قد لعنهم ولعن من أعانهم، يقول في الحديث الصحيح: **«لعن الله من آوى مُحْدِثاً»**. فاحذروا أن

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.

تقع عليكم اللعنة، واعلموا أنه قد جاء في الأثر أن من جالس صاحب بدعة نزعت منه العصمة ووكل إلى نفسه، ومن مشى إلى صاحب بدعة ليوقره فقد مشى في هدم الإسلام.

أيها المسلمون: إن أهل البدع يعبدون الله بغير ما شرع، فيفترون على الله الكذب، ويجلبون على أنفسهم التعب، ويقطعون السبيل، ويشغلون الناس بالأضاليل، لسان حالهم أن الله تعالى لم يكمل دينه فيكملوه، ولم يتم نعمته فيكفروه، أو أن النبي ﷺ لم يبلغ الناس كل ما أوحاه الله إليه، أو بلغه ولكن الصحابة لم يفهموه أو لم يهدوا الناس إليه، فما أظلمهم لربهم، وما أقل توقيرهم لنبيهم، وما أعظم جنايتهم على الصحابة، وما أضرهم على أنفسهم، وما أشأمهم على مجتمعهم، وما أجرأهم على دين ربهم، فيا ويلهم ما أعظم ما جنوه، وما أسوأ ما افتروه، فما حجتهم عند الله يوم يلاقوه، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾[١].

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واهجروا أهل البدع فلا تأتوا إليهم، واحذروهم فلا تصغوا إليهم، ونفِّروا الناس منهم، وأبعدوهم عنهم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾[٢].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

معايير الحق والتحذير من البدع

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وأمينه على وحيه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق القوى، واتبعوا ما جاءكم من ربكم من النور والهدى، واستمسكوا بسنة نبيكم محمد ﷺ تنجوا من فتن عظيمة في زمانكم تترى، وإياكم والمحدثات في الدِّين، فإنها هي البدع التي تضل عن الهدى، وتورث العمى، وتسلب النعمى، وتجلب الردى، وتهوي بصاحبها إلى حفر من النار تلظّى.

أيها المسلمون: كان نبيكم ﷺ إذا خطب احمرت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم. ويقول: **«بعثت أنا والساعة كهاتين»** ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: **«أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة»**. وفي رواية للنسائي رحمه الله زيادة: **«وكل ضلالة في النار»**.

ولقد حدث الصحابي الجليل العرباض بن سارية رضي الله عنه

فقال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله! كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمَّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة».

أيها المسلمون : هذا بيان نبيكم محمد ﷺ ووصيته إياكم وتبليغه لكم؛ فهل بعد هذا البيان بيان؟ وهل وراء هذه الوصية وصية؟ وهل فوق هذا التبليغ تبليغ؟ لقد تضمن هذان الحديثان الجليلان فيما تضمناه من الوصايا الكريمة والنصائح المهمة ـ التأكيد على أصول اعتقادية عظيمة، وقواعد منهجية راسخة، وموازين سلوكية مستقيمة يقوم عليها الإيمان، ويحفظ بها للعقيدة الأساس والبنيان، وتوزن بها المقاصد والأعمال والأقوال، وتعرف بها أحوال الرجال، وتعرض عليها الحوادث المستجدة، ويُقوَّم بموجبها سلوك الفرد والأمة، ويضمن المستمسك بها ممن خلف السير في كل الأمور على هدي خير السلف.

أيها المسلمون : فأصل تلك الأصول التي أمر الرسول بالتمسك بها كتاب الله خير الحديث، وأصدق القول، وأشرف الذكر، وأعظم الذخر، فإنه حبل الله المتين، ونوره المبين، وصراطه المستقيم، الهادي لكل أمر قويم، وهدى مستقيم، من تمسك به رفعه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، ومن تركه من جبار قصمه الله، نعته الله بأجمل نعت، ووصفه بأكرم وصف، بأنه ذكر للعالمين، ورحمة

للمؤمنين، وهدىً للمتقين، وبشرى للمحسنين، ما فرط الله فيه من شيء؛ بل جعله تبياناً لكل شيء، يهدي للتي هي أقوم، ويرشد إلى الخلق الأعظم، فهو ذكر وذكرى، ونور وهدى، وموعظة وبشرى، قال فيه المتكلم به سبحانه: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[١].

وجاء في صحيح السنة المطهرة أن القرآن يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة، وأن من كان القرآن خصمه فإنه يحرم الشفاعة، ويخلد في النار وبئس القرار.

فاتلوا القرآن ـ عباد الله ـ وتدبروه، واعملوا به ولا تهجروه، وتحاكموا إليه وارضوه، وما أشكل عليكم منه فالتمسوا بيانه في السنة الصحيحة تجدون، فإنكم عنه مسؤولون ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٢].

أيها المسلمون: وأما ثاني تلك الأصول التي نص عليها الرسول فهي السنة الغراء المبينة للهدى، فإنها تفسر القرآن وتبينه أبلغ البيان، تفسر مجمله، وتوضح مشكله، وتفتح مغلقه، وتقيد مطلقه، وتخصص منه العام، وتستقل عنه ببعض الأحكام، فقد وكل الله إلى نبيه تبيين ما نزل إليه، كما جاء في القرآن النص عليه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٣]. فالرسول ﷺ هو الداعي إلى الله والمبين لدينه وهداه، والدال لجميع الناس على

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ٤٤.

كل ما يحبه ويرضاه، والمنذر للعصاة من هول يوم لقاه، فأسلم الناس من الفتن من تمسك بمأثور السنن، وأسعد الناس بشفاعته من أخلص لله في عبادته، وتمسك في سائر أحواله بهديه وسنته، وأولياء الله حقًّا هم السائرون على منهاجه صدقاً، فإنه ﷺ أسوة المؤمنين، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1].

فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فليتأسَّ بنبيه ﷺ في الباطن والظاهر، ومن ادّعى محبة الله فليأت ببينة على ما ادّعاه باتباع حبيبه محمد ﷺ ومصطفاه، ومن تولى عن دينه وهداه ولاه الله ما تولاه، وما ظلمه ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

ولهذا شهد الله بالإيمان والفلاح لمتبعيه، وتوعد بالفتنة والعذاب مخالفيه، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[3]. وقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

ومن خالف أمره ﷺ فقد رغب عن سنته، ومن رغب عن سنته خشي عليه أن لا يكون من أهل ملته، وأن يُحال بينه وبين رحمة الله وجنته، قال ﷺ: «فمن رغب عن سنتي فليس مني». وقال: «كل

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ٣١، ٣٢.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

أمتي يدخل الجنة إلا من أبى» قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». فمن تمسك بالكتاب والسنة فقد أخذ بأسباب الرحمة، وفاز بالعصمة، وأمن من الضلالة والفتنة، فالمتمسك بهما محفوظ، وليبشر من الله تعالى في الدنيا والآخرة بخير وأعظم الحظوظ.

أيها المسلمون: وأما سنة الخلفاء الراشدين والصحابة المهديين، فإنها طريق الاستقامة، ومنهاج الكرامة، وهي على توفيق متبعهم فيها علامة، فإنهم رضي الله عنهم هم خيار أصحاب النبيين، وأشرف الحواريين، كيف لا وهم قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، وائتمنهم بعده على دينه ووحيه، فهم خلفاء الرسول في أمته، السائرون على هداه وطريقته، و القائمون بعده بتبليغ رسالته، أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأصدقها ألسناً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، قوم اختارهم لصحبة نبيه، فهم أئمة الأئمة، وهداة جميع الأمة، أثنى الله عليهم بالمسارعة إلى الخيرات، وشهد لهم بالسبق إلى أعلى الدرجات، وأخبر أنهم خير أمة أخرجت للناس، وجعلهم في الدنيا ويوم القيامة الشهداء على الناس، من سلك سبيلهم فهو على الهدى، ومن ترك طريقهم فقد اتبع الهوى فهوى، وسيولِّيه الله يوم القيامة ما تولى، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾[1].

فعليكم عباد الله بما كان عليه الصحابة؛ فإنهم أهل الجنة والفلاح والإصابة، أخبر النبي ﷺ أن الأمة ستفترق على ثلاث

---

(١) سورة النساء، الآية: ١١٥.

وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، فسئل عنها فقال: «هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي». فأتباعهم هم الفرقة المبرورة المشكورة، والطائفة الظاهرة بالحق والمنصورة، التي لا يضرها من خذلها ولا من خالفها، حتى يأتي الله بأمره، جعلنا الله وإياكم بهم مقتدين، ولهم في كل شيء متبعين، وبهديهم ظاهرين، وجمعنا بهم في دار كرامته يوم الدين.

أيها المسلمون: فالكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة وأتباعهم من سلف الأمة، هي براهين الحق، وموازين الاستقامة، ومعالم التوفيق، وهي القسطاس المستقيم التي ينبغي أن يوزن بها كل جديد، وأن تحكم في القريب والبعيد، وأن يخضع لها الدقيق والجليل، والكثير والقليل، فهي والله قاصمة لظهور المنافقين، وقاضية على بدع المبتدعين، وكاشفة لشبهات المشبهين، ومبينة لزيغ الضالين المبطلين في الحق والصدق ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾[1]. ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝٣﴾[2].

أيها المسلمون: وأما الأمور التي حذر منها النبي ﷺ في خطبته، وزجر عنها في بليغ موعظته، فهي محدثات الأمور التي يخترعها ويرتكبها متبعو الأهواء في سائر العصور، وكم فيها من أنواع الفتن في الأرض والفساد الكبير، فإن المبتدع يتقرب إلى الله بعمل يخترعه من عند نفسه أو يتبع فيه غيره، ويعده من دين الله، ويدعو إليه من استطاع من عباد الله، مع أنه ليس له أصل في القرآن، ولم

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٣.

يقم عليه من سنة النبي ﷺ برهان، ولم يكن من هدي الصحابة الكرام، ولا التابعين وأتباعهم من أئمة الإسلام.

فالبدع كلها شر وضلال، وشقاء عظيم في الحال والمآل، فإنها تبديل للدين، وتضليل للمسلمين، واتباع لسنن الجاهلين والمغضوب عليهم والضالين، وهي استدراك على الله في شرعه، أو اتهام للنبي ﷺ في تبليغه وبيانه، أو وصف للصحابة رضي الله عنهم ـ وحاشاهم ـ بالسذاجة وعدم الفقه، أو سوء القصد، أو قلة الرغبة في الخير، وهي تفريق للدين وتشتيت للمسلمين، وفتح لباب يدخل منه الكافرون والمشركون في حربهم للدين وأهله المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾[1].

وأي ضلال أعظم من الاستدراك على الله في شرعه أو القول عليه بلا علم؟! وأي نفاق أخطر من اتهام النبي ﷺ في تبليغه ما أنزل إليه من ربه؟! وأي غرور أشد من ازدراء الصحابة بنسبتهم إلى التقصير فيما يكمل الإيمان، أو نقص شكرهم لنعم الله مولى الفضل والإحسان، فقبّح الله المبتدعة ما أنقص عقولهم وسفه أحلامهم، وتبًّا لهم ما أقبح بضاعتهم وأخسر صفقتهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾[2]. كيف يتقربون إلى الله بما اخترعوا من البدع ويعدونها من أفضل وأحسن مما شرع؟! ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۝١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ

---

(١) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦.

يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الهدى والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أمرنا بالاتباع ونهانا عن الابتداع، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في الخلق والإبداع، فحقه أن يعبد وحده ويطاع، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي فرض الله على المؤمنين به الطاعة له والاتباع.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واحذروا البدع في الدين، وتجنبوا سبل المبتدعين، فإن الله تعالى قد أكمل لكم الدين، وأتم به النعم على جميع المسلمين، وإن البدع تسود الوجوه، وتطمس القلوب، وتعمي البصائر، وتصد عن الهدى، وتجلب على أهلها التعاسة والشقاء، فالمبتدعة مشغولون ببدعهم عن حقيقة طاعة الله، معرضون عن سنة نبيهم محمد ﷺ وهداه، قد زين لهم الشيطان سوء أعمالهم فصدهم عن سبيل الجنة وسبب السعادة والنجاة، وعدهم الشيطان ومنَّاهم غروراً حتى أدخلوا في دينهم آصاراً، وحملوا من سوء أعمالهم وقبيح فعالهم أوزاراً.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(١) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣، ١٠٤.

عباد الله! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

فضل التقوى وحال أهلها

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وأمينه على وحيه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد :

أيها الناس : أطيعوا الله تعالى فيما تأتون وما تذرون، واخشوه فإنه يعلم ما تسرون وما تعلنون، واتقوه لعلكم تفلحون ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾(١).

أيها المسلمون : لا شك أننا اليوم في زمان فتن، نعوذ بالله مما ظهر منها وما بطن، والفتن يلتبس فيها الحق بالباطل على كثير من الناس، ومن شأنها أنها ينتج عنها في الغالب ضيق الحال ونقص في الأرزاق، وتعسر الأمور، وكثرة الفواحش والمنكرات، وعظم المصائب والخوف والجوع، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وينشط فيها شياطين الإنس والجن في التحريش بين الناس، وإيقاع العداوة والبغضاء التي تجر إلى الحروب التي تزهق الأرواح، وتستنزف الثروات، وتذهب بالدين، وتكون من أسباب تسلط الكفرة

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٢.

من أهل الكتاب والمشركين على المسلمين، إلى غير ذلك من الشرور ومحدثات الأمور التي لا تخطر للكثيرين على بال، ولا تدور لهم في خيال، ولا عصمة منها إلا برحمة من ذي الكرم والجلال.

أيها المسلمون: ولقد وعد الله تعالى المتقين بالوقاية من الفتن، واللطف عند حلول المحن، فقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾[2]. وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾[3]. وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾[5]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۝٢٠١﴾[6]. وقال سبحانه: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾[7].

وضمن سبحانه للمتقين النجاة من النار والفوز بالجنة، فحين ذكر سبحانه النار قال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧﴾[8]، وقال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٥) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٢٠١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ٢٨٢.
(٨) سورة الليل، الآية: ١٧.

﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴾[(١)]، وحين ذكر الجنة أخبر سبحانه أنها ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴾[(٣)]. فضمن سبحانه لأهل التقوى المخرج من الضيق، والرزق بأهون سبب، وتيسير العسير، وتكفير السيئات، ومغفرة الزلات، والأمن من الخوف، وعدم الحزن على فائت، وتوالي البشارات بأنواع المسرات في الحياة وبعد الممات، كما شهد لهم بالعصمة من الشيطان، ووعدهم بالعلم المثمر للإيمان، والهداية لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والفوز بالجنة والنجاة من النار. فما أجلها من عواقب، وما أطيبها من ثمرات للتقوى، فهنيئاً للمتقين «**اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**».

أيها المسلمون: فالتقوى هي شعار المؤمنين، وحلية المحسنين، وسلاح المجاهدين، وزبدة رسالات المرسلين، وسبب لطيب الحياة والفوز والفلاح والسعادة وعلو الدرجات في الدارين، وهي زينة المؤمن في الدنيا، وخير زاد في السفر إلى الأخرى.

ولعظيم أثر التقوى على المتصف بها وجميل عاقبتها عليه في الدنيا والأخرى وشرف الاتصاف بها من أولي النهى ـ كانت الوصية من الله تعالى بها للسابقين واللاحقين من المكلفين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾[(٤)]. فكانت

---

(١) سورة مريم، الآية: ٧٢.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٣) سورة مريم، الآية: ٦٣.
(٤) سورة النساء، الآية: ١٣١.

مدار كل الشرائع، ومهمة جميع الرسل، ومضمون جميع الكتب، ورسالة الله تعالى إلى كل أمة، وجعلها الله أول موعظة كل نبي أرسله إلى أمة من الأمم، فأول ما يقرع به أسماع أمته من كلامه قوله تبليغاً عن ربه ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾[1]. كما جاء ذلك على لسان نوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى وعيسى ومحمد، صلى الله عليهم أجمعين وسلم تسليماً كثيراً. وكم في القرآن من النعي على من خلا منها، ولقد جاء الأمر بالتقوى في القرآن وحده بأكثر من ثمانين موضعاً فضلاً عن المواضع التي جاء فيها بيان فضل التقوى والثناء على أهلها.

أيها المسلمون: إن المرء إذا تحلى بالتقوى اتصف بالإخلاص لله في كل عمل، وصدق الاتباع للنبي المرسل، فصار جميل الخلق، طيب القول، منافساً في الخير، سباقاً إلى كل فضيلة، يعبد ربه عبادة من يوقن بالوقوف بين يديه والعرض عليه، ويخشى ربه خشية من يعلم أن الله مطلع عليه، ويراه في كل مكان وفي سائر الزمان، وأنه يجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى.

أيها المسلمون: إن التقي يتميز من بين سائر الناس بهجر فاحش القول من السباب والشتائم، والكذب والإفك، والغيبة والنميمة، والخصومة والمراء والجدل، ويتجنب كذلك الغش والخيانة، والزور والبهت، والغدر ونقض العهود، وظلم الناس وأكل أموالهم بالباطل، وهتك أعراضهم وانتهاك حرماتهم؛ لأنه يخاف عذاب الآخرة ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٥.

لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾[١] لسان حال التقي يقول: ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾[٢] .

أيها المؤمنون : اتصفوا بالتقوى يحببكم الله ويرضى، ويجنبكم ناراً تلظى، لا يصلاها إلا الأشقى، ويجعلكم من أهل الدرجات العلى، جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، وذلك جزاء من تزكى. فالمتقون يوحدون الله، ويحافظون على الصلاة، ولا يبخلون بالزكاة، ويصومون ويحجون؛ رغبة في تكفير الذنوب وستر العيوب، وطمعاً في عفو ورحمة علام الغيوب.

والمتقون لا يأكلون الربا، ولا يستحلون الرشا، ولا يستمعون الغناء، ولا يتنكبون عن طريق الهدى، وهم أيضاً يفشون السلام، ويطعمون الطعام، ويصلون الأرحام، ويصلون بالليل والناس نيام، طمعاً في دخول الجنة دار السلام بسلام.

والمتقون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويخلصون النصيحة، ويتواصون بالحق والمرحمة، ويحبون لإخوانهم في الله من الخير ما يحبون لأنفسهم ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[٣] . ويؤثرون طاعة الله ورسوله على طاعة أي أحد من الخلق، وهم أيضاً كما وصفهم الله بقوله: ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ

---

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٣ ـ ١٠٥

(٢) سورة الإنسان، الآيات: ١٠ ـ ١٢.

(٣) سورة الحشر، الآية: ٩.

وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[١].

ومن صفات أهل التقوى أنهم لا يستهينون بصغيرة من المعاصي، ولا يجترؤون على كبيرة، ولا يصرون على خطيئة وهم يعلمون، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[٢].

فاتقوا الله أيها المؤمنون. وابتغوا إليه الوسيلة لعلكم تفلحون، واشكروا نعمة الله عليكم إن كنتم إياه تعبدون ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[٣].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٣، ١١٤.

ضرورة الثبات على الحق والحذر مما عليه أكثر الخلق

الحمد لله الكبير المتعال، أحمده وأشكره فهو مستحق الحمد، والشكر واجب له على كل حال، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن سلك سبيله إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واشكروا له ولا تعصوه، وراقبوه تعالى واحذروه، واعلموا أن من أعظم خصال المسلم الحق وأجلِّ مميزاته ـ الثبات على دينه، والمحافظة على أخلاق نبيه محمد ﷺ دون أي تذبذب فيه أو انحراف عنه لشبهة عارضة أو شهوة جامحة أو فتنة بين الناس شائعة، فإن التذبذب بين الحق والباطل وترك السنة الثابتة بعد التخلق بها ليس من شأن أهل الإيمان، بل هو من شأن ذوي النفاق والكفران، الموصوفين في محكم القرآن، بالتناقض بين الأقوال والأعمال، والتقلب في المسلك في سائر الأحوال، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾[1]. وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

---

(١) سورة الحج، الآية: ١١.

فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾[١].

أما المؤمن الحق فإنه يكون مغتبطاً بإيمانه بالله، محققاً لعبوديته لله، متشرفاً بالانتساب لدينه، والاتباع لنبيه ﷺ، فيظل على الدوام معتدًّا بإيمانه وعقيدته، معتزًّا بشخصيته ورأيه، لا ينقاد لهوى باطل من قبل نفسه، ولا يتابع غيره على خطأ، ولا يرضى بأية خطة لا تستمد من كتاب الله تعالى وهدي نبيه ﷺ؛ لعلمه أن للناس أهواءً وغايات، وللبشر أخطاء ونزوات، وليس لذي لب سليم أن يتابع الناس على أخطائهم، أو يجاريهم على أهوائهم، بل لابد من طلب البينة على الدعوى، والحجة على المذهب، يقول تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[٢]. أي على صدق دعواكم أنه لن يدخل الجنة سواكم، ويقول سبحانه فيمن حرّموا ما أحل الله: ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾[٣]. أي فيما ذهبتم إليه وشرعتموه لأتباعكم من ضلال البشر أشباه الأنعام.

أيها المسلمون: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ومن أعطى الذلة من نفسه طائعاً غير مكره فليس منا». وفي ذلك الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لمن ألقى قيادته لغيره ممن لم تكتب له العصمة، ورضي بتقليده وتبعيته له في كل ما يتجه إليه، فإن ذلكم هو الإمعة

---

(١) سورة العنكبوت، الآيتان: ١٠، ١١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٣.

الذي يرضى بالتبعية والذلة والهوان، ويسلم قيادته لشرار بني الإنسان، وفي الأثر: «لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس، إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطِّنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءتهم».

فالمؤمن ينبغي أن يكون صلباً في دينه معتزّاً بنفسه، مستقلاً برأيه، ويكون في ذلك كله على هدى من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ؛ حتى لا يقع في شطط أو جور، أو يرتدي برداء العظمة والكبر، فيصبح من الهالكين الخاسرين، بل يكون في سائر أحواله مؤمناً قويًّا؛ فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير. وإنما تتحقق القوة في اتباع الحق والشجاعة في لزوم الثبات عليه، ولو جانبه سائر الخلق، فلا يقبل الذلة في دينه، ولا المداهنة في عقيدته، ولا المساومة على أخلاقه وقيمه، بل يلازم الحق في كل حال، ويحارب الباطل وأهل الضلال، ويرد الباطل على ما جاء به من الناس كائناً من كان.

أيها المسلمون: المؤمن الحق هو الذي يدعو الناس إلى الخير ويسبقهم إليه، ويأمرهم بالمعروف ويكون أشد التزاماً به، وينهاهم عن المنكر ويكون أعظمهم بعداً عنه، ويحب للناس من الخير ما يحبه لنفسه؛ فيتفق قوله وفعله على الخير، ويشهد ظاهره لباطنه على الاستقامة؛ فيجمع بين صلاح السريرة وجمال السيرة، والناس شهداء الله في أرضه، من أثنوا عليه بخير وجبت له الجنة، ومن أثنوا عليه بشر وجبت له النار، وإنما يتحقق النبأ ويصدق الثناء يوم الموت، فيوم الجنائز هو يوم الشهادة الصادقة في الدنيا للشخص أو عليه،

ويوم القيامة هو يوم الجوائز، ففريق جائزته تسره وترضيه، وآخر جائزته تسوءه وتخزيه، فرقت بينهم الأقوال، وتباينوا في الفعال والأحوال، وعلى قدر نياتهم وسعيهم النوال، ولهذا أمر الله سبحانه بملازمة الإيمان والتقوى، واستمرار الاستمساك بالعروة الوثقى، وأخبر ﷺ أن: «من مات على عمل بعث عليه» فليلازم السعيد الإيمان، وليتصف بصفات عباد الرحمن، وليحذر الكفر والفسوق والعصيان، وليجانب أهل النفاق والكذب والبهتان.

فاتقوا الله عباد الله وأنيبوا إليه، واثبتوا على الإيمان، وكونوا أقوياء فيه، وتخلقوا بأوصاف أهل التقوى والإحسان، وما أكثرها في القرآن، وحافظوا على سنة نبيكم ﷺ، فإنها نجاة لكم من الضلالة والهلكة وفتنة كل فتّان، وليكن لكم من انقضاء الأيام وتصرم العمر حافزاً لملازمة الحق والعض عليه بالنواجذ، ونذيراً لتدارك الخطأ واستصلاح الفاسد وإقامة العوج، فاليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وجعلنا من خاصة أوليائه وأحبابه. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٩٤.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له إلـه الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، والناصح المبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد :

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واعلموا أن من الدين والنهج الذي ينبغي أن يكون عليك مسلك أولي النهى ـ البعد عن المعاصي، والتعاون على محاربة الفساد وقمع المفسدين، والقضاء على كل داعية إلى ضلال أو متزعم لفتنة أو مبتغ في الإسلام سنة جاهلية؛ ليحقق الله تعالى للمسلمين وعده الكريم بالنصر والتمكين بقوله المبين: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[1]. وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3].

وإن الفرص يا عباد الله ما برحت مواتية، فإن النكبات التي جرعت المسلمين الغصص وألبستهم ثوب العار إنما كانت نتيجة

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٢) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٣) سورة محمد، الآية: ٧.

لإعراضهم عن شرع الله، وجرأتهم على معصيته وارتكاب محارمه، وهذا مما يضاعف المسؤولية ويحتم الواجب، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم، فعلى الجميع التعاون على البر والتقوى، ونبذ الهوى، واتباع الهدى، والعاقبة للمتقين.

واعلموا عباد الله أننا في زمن جرت فيه أمور، وحدثت فيه حوادث أقضَّت المضاجع، ينبغي أن يأخذ منها المسلمون العبرة، وأن يعوا الدرس قبل أن يصابوا بأنفسهم بشديد النوازل وعظيم المصائب، فعلى اللبيب الفطن أن يحاسب نفسه على ما سلف من عمله، ويستزيد من الخير، ويجدد التوبة، ويلازم الاستغفار، ويسعى في استصلاح الحال والمآل؛ فإن ذلك من أسباب دفع البلاء وصرف العذاب، فإنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، والمجتمع الرشيد هو الذي تتضافر جهود أفراده على استصلاح ما فسد من أمره، والأخذ على أيدي الخارجين فيه على شريعة العدل، وكم في المجتمع اليوم من مظاهر التفريط وبراهين التقصير.

فخلطة الرجل بالمرأة الأجنبية في بيته، أو دخوله دار غيره من قريب ونحوه حال غيابه ـ من المنكرات التي تورث فظيع العقوبات. والسماح للنساء بمصاحبة الأجنبي، والخلوة به في السيارة عند الذهاب إلى المدرسة أو السوق ونحوهما ـ من مظاهر ضعف الغيرة، والله تعالى غيور يغار على حرماته حين تنتهك، وقبل ذلك وأعظم منه التخلف عن الصلوات في الجماعات في سائر أو بعض الأوقات، فذلكم زيغ عن الحق يصبح أهله عرضة لأن يزيغ الله قلوبهم، ويسلبهم ما أعطاهم من النعم، ونحو ذلك من الأخطاء الشائعة والمنكرات الواقعة التي ينبغي للجميع أن يبتعدوا عنها.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١).

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الحث على التمسك بالدين
والبشارة بظهوره وعزة المسلمين وفشل كل دين سواه

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وسوء ظنوننا، ونسأله تبارك وتعالى للجميع الهدى والسداد والتوفيق لكل خير في العاجلة ويوم يقوم الأشهاد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الذي رضي لنا الإسلام ديناً، وجعلنا بالتمسك به خير أمة أخرجت للناس، ونحن في الدنيا والآخرة الشهداء على الناس. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث رحمة للعالمين، وبشيراً للمؤمنين، ونذيراً للمعرضين المعاندين، صلى وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه، الذين يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى. فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا راية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب مخالفون للكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين.

أما بعد :

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى كما أمركم، وتمسكوا بالدين الذي اصطفى لكم، وأخلصوا شكركم له كما اختاركم له.

أيها المسلمون : إن دين الإسلام هو الدين الحق الذي شرف الله به المسلمين ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] . ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[2] . فهو الدين الحق الذي كتب الله له البقاء إلى آخر الزمان، وحفظه تعالى من التبديل والزيادة والنقصان، وحكم له بالظهور على سائر الأديان، ولو كره المشركون والكافرون من أهل الكتاب وعبدة الأوثان ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾[3] .

ووعد سبحانه أهله المتمسكين به بالنصر والتمكين ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[4] . ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[5] . ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٣) سورة الصف، الآيتان: ٨، ٩.
(٤) سورة الحج، الآية: ٤١.
(٥) سورة غافر، الآية: ٥١.

شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾[1].

وإن ديناً كتب الله له الظهور ولأهله النصر والتمكين في الأرض ـ لابد أن يستعلي ويهيمن، وأن يصبح أهله أهل القيادة والسيادة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأن يحرروا الناس من عبودية المخلوقات من الأموات والجمادات والشهوات والطغاة، وأن يوجهوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، الذي ﴿فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]. ﴿فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾[3]. ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾[4].

أيها المسلمون: اعرفوا حقيقة دينكم وتفقهوا فيه، وتمسكوا به واثبتوا عليه، واغتبطوا به وحافظوا عليه، ولا يهولنكم إرجاف المرجفين ووعيد المتسلطين ممن طغى وبغى وجانب الحق والهدى، ولا يفتتنكم زخرف المبطلين وتشبيه المشبهين ممن آثر الدنيا على الأخرى، وانحرف من بعد ما تبين له الهدى، وناب عن الشيطان في

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٥٥، ٥٦.
(٢) سورة غافر، الآية: ٦٨.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.
(٤) سورة الحج، الآية: ٧٨.

الدعوة إلى سبل الردى، فلقد كان لكم في سلفكم الصالح خير مثال يحتذى؛ في الثبات على الحق، والتمسك بالدين عن إخلاص وصدق، والحذر من مكائد المغضوب عليهم والضالين، ومؤامرات المنافقين والمبتدعين، وتلبيس أئمة السوء المفتونين، فعصم الله السلف من الضلالة، وسلمهم من الغواية، ونجاهم من الفتنة، وأنقذهم من الهلكة.

وإن من يتأمل تأريخ الإسلام الطويل في سائر الأعصار وشتى الأمصار، ليتجلى له حفظ الله للإسلام، وصدق وعده ببقائه وظهوره على سائر الأديان، وتحقيق وعد الله جلت قدرته للمؤمنين بالعز والتمكين، والنصر المبين على سائر أعداء الدين، مهما كانوا عليه من قلة العدد وضعف العُدد، ومهما كان عليه أعداء الدين من كثرة العدد وقوة في العُدد، وإن ذلك مما يبعد خواطر التشاؤم عن القلوب، ويبعث على التفاؤل بتمكن الإسلام في القلوب، وضرورة غلبته وظهوره وهيمنته على سائر الأمم والشعوب.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار**». وقال ﷺ: «**إن هذا الدين لا يترك بيت مدر ـ أي طين ـ ولا وبر ـ أي غزل ـ إلا دخله بعز عزيز وذل ذليل**». وبشر ﷺ بانتصار المسلمين على اليهود والروم آخر الزمان، وبفتح روما عاصمة الفاتيكان ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾[1]. «**وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر**».

---

(١) سورة الروم، الآية: ٦.

أيها المؤمنون : إن هذا القرن المبارك ـ إن شاء الله ـ من قرون الظهور والغلبة للدين والعز والتمكين والنصر للمسلمين، فلقد مضى عُشرُه مشتملاً على أحداث ذات عبر، وحاملاً لبشائر بعد النذر، تنبئ عن مستقبل مشرق للإسلام، وهزائم منكرة للمنافقين وأهل الكتاب والكفرة أشباه الأنعام، فلقد ظهر خلال السنوات الماضية فشل الإلحاد، وأعلن أهله إفلاسهم على رؤوس الأشهاد، وتلك خسارة الدنيا، وخسارة الآخرة أعظم لمن لم يعد إلى سبيل الرشاد، ولقد تهاوت فيه عروش الطغاة الظلمة الذين طغوا في البلاد، واضطهدوا العباد، وأكثروا في الأرض الفساد، أخذهم الله على حين غرة، وجعلهم لأمثالهم والمعتبرين بهم عبرة، ومن بقي فإنما أمهله الله ليأخذ مما أصاب أسلافه دراسة، وليستكمل أنفاسه، وليستقين خيبته وخسارته وإفلاسه، فإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[1].

أيها المسلمون : ومن العبر الظاهرة ودلائل قدرة الله الباهرة أن الإسلام والمسلمين يتآمر عليهم أعداؤهم من كل جهة، ويتنادون عليهم من كل صوب، تُسخَّر في حربهم عظيم الميزانيات، وتحشد عليهم أصناف الجيوش والقوات، وتكلفهم بدراسة أحوالهم وتنظيم خطط القضاء عليهم عريق المؤسسات، وتسلط عليهم ظلمة الحكام، ويصدر في حق الدعاة إلى الله والمرشدين لعباده أقسى الأحكام من التعذيب والإعدام، ويكال أنواع السب والشتم والاتهام، ومع ذلك ـ ولله الحمد ـ لا يزداد الإسلام إلا تمكناً من القلوب، وتغلغلاً في

(١) سورة الفجر، الآية: ١٤.

الشعوب، وانتشاراً في الأوطان، وظهوراً على الأديان، ولا يزداد أهله إلا إقبالاً عليه ورغبة فيه، والتزاماً به وجهاداً من أجله، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1].

فمع جهود أعداء الإسلام الجبارة لحرب الإسلام وكثرة مؤامراتهم ومؤتمراتهم على أهله على الدوام ـ فإن الصحوة في المسلمين قد عمت الآفاق، وأغاظت بحمد الله الكافرين وأهل النفاق، فثقوا عباد الله بوعد الله بالنصر بالإسلام والمسلمين، واستقيموا على الإسلام وادعوا إليه، ودافعوا عنه، تكونوا من أولياء الله المتقين وأحبابه المؤمنين وجنده الغالبين ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾﴾[2]. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة محمد، الآية: ٣٨.

(٣) سورة المائدة، الآيات: ٥٤ ـ ٥٦.

الغبطة بالدين والحذر من كيد المفسدين

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واحذروا الذنوب فإنها تورث العمى، وتجلب الردى، وتذكروا أن الله تعالى اصطفى لكم الدين وسماكم المسلمين، وميزكم بذلك بين العالمين، وجعلكم به خير أمة أخرجت للناس، تهدونهم إلى الحق الذي ليس به التباس، وجعلكم أهل القرآن، وشرفكم باتباع محمد ﷺ أول من يستفتح أبواب الجنان، وضاعف أجوركم على صالح العمل، ويوم القيامة توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزّ وجلّ، فما أعظم ما خصكم الله به من منة، كيف لا وأنتم شطر أهل الجنة ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إن الإسلام دين كامل، وشرع شامل، محيط

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٨.

بمصالح الأنام، ومشتمل على عظيم الحكم وجلي الأحكام، مبني على اليسر ورفع الحرج، وللعبد فيه عند كل ضائقة فرج، تدور أحكامه على تحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتعطيلها، فهو دين الفطرة والحنيفية السمحة، برأه الله من الآصار والأغلال، وجعله الشرع الخالد حتى يؤذن لهذه الدنيا بالزوال، قد حفظه الله وكمله فلا يحتاج إلى زيادة ولا يقبل النقصان، ولا يتحقق للناس التمتع بالنعم إلا بالاستقامة عليه في سائر الأزمان، يقول سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾[1]. فهو طريق الاستقامة ومنهاج الكرامة، وأهله المستمسكون به هم الظاهرون المنصورون والأئمة إلى يوم القيامة؛ يقول ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين». ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾[2].

أيها المسلمون: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾[3]. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[4]. ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾[5]. ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[6].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

فتبًّا لعبد لم يرض من الدين ما رضيه له ربه ومولاه، وما أخسر صفقته يوم يقف بين يديه معرضاً عن هداه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾[(١)].

فالإعراض عن ذكر الله وترك الاتباع لهداه يجلب على أهل الدنيا ضيق المعيشة وعمى البصيرة، وفي الآخرة العمى حقيقة، وأن يؤخذوا إلى العذاب الباقي الشديد طريقه، فإنه دليل على انتفاء الإيمان، وعنوان الكفر بالرحمن ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾[(٢)].

فليس لمؤمن أن يختار غير ما اختار الله له ديناً ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[(٣)].

أيها المسلمون: لقد حذركم ربكم من الذين يتبعون الشهوات ويثيرون الشبهات، وكان الله بهم عليماً ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[(٤)]. وإن من الظواهر الخطيرة والمنكرات الكبيرة أن يتفوه بعض المفتونين في هذا الزمان، وفي مهبط الوحي ومأرز الإيمان، بتسفيه مسلك المتدينين،

---

(١) سورة طه، الآيات: ١٢٤ ـ ١٢٧

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٨.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦.

(٤) سورة النساء، الآية: ٢٧.

والسخرية من عباد الرحمٰن المهتدين، والتشكيك فيما هم عليه من الحق المبين، ويدعون الناس إليه ناصحين مخلصين مقتدين بسلف هذه الأمة الصالحين. إنها ظاهرة منكرة، وبادرة خطرة، تَنُمُّ عن استخفاف المتفوهين بها بدين الله واستحقارهم لسنة محمد ﷺ رسول الله ومصطفاه، واستهزاء بصالحي عباد الله، وركون إلى الذين ظلموا من شرار خلق الله، وقد قال الله تعالى لأسلافهم من المنافقين الهالكين: ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[1].

فلا ينبغي لمؤمن بالله واليوم الآخر أن يرضى بما هم عليه، ولا لمسؤول يخاف الله ويتقيه أن يسكت عنهم، فلا يؤاخذهم بما تفوهوا به، فإنهم تارة يزعمون أن ما يدعون الناس إليه من ضلال لا يتعارض مع شرع رب العالمين، وتارة يشككون العوام بأحكام الدين، وأخرى يستهزئون بسنة من سنن سيد المرسلين، وثالثة يسخرون من سلوك ومظهر المتدينين المستقيمين، تالله لقد آذوا الله ورسوله وعباده الصالحين ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾[2]. فيا ويح من يؤيدهم أو يجادل عنهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾[3].

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٦٥، ٦٦.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٠٨، ١٠٩.

أيها المسلمون : لو تتبعنا سير أولئك المفتونين المفسدين لظهر لنا أنهم عاشوا فترة في غير بلاد المسلمين، بل في بلاد يظهر فيها الخنا، ويجاهر فيها بالزنا، وتعاقر فيها الخمور، وترتكب فيها عظائم الأمور، ويوفر فيها الفساد في كل ناد، وتحكم بقوانين البشر، وتلك إحدى الكبر، وما للحماقة طب، وليس بعد الكفر ذنب، فشاهدوا وربما شاركوا في فاحش الفعال، وغرقوا في حضيض تلك الأوحال إلى الأذقان، وتتلمذوا على شرار بني الإنسان من ملاحدة أساطين شياطين اليهود والنصارى، الذين تمكنوا من قلوبهم، فصاروا في حبهم مجانين سكارى؛ إذ تربوا في أحضانهم، وارتضعوا خبيث لبانهم، وتشبعوا بعظيم ضلالهم، وتلقفوا عنهم عظيم إفكهم وبهتانهم، وكل إناء بما فيه ينضح.

فلهؤلاء الهلكى هناك في كثير من المناسبات آهات، ولهم في أوطاننا بعد مجيئهم هنَّات، يتمنون الفساد، ويخططون للإفساد، وتفوح من أفواههم روائح الإلحاد، يفكر أحدهم كيف يجلب لوطنه الفساد برمته، وما الحيلة التي يوردها لإقناع أمته، وقد شرعوا الآن ولا شك في إفساد المجتمع، وهم يسيرون على خط مرسوم، ومنهج تلقوه من شياطينهم معلوم ﴿شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ وَلِيَرۡضَوۡهُ وَلِيَقۡتَرِفُواْ مَا هُم مُّقۡتَرِفُونَ﴾[1].

فوصف سبحانه هؤلاء المفسدين بأنهم شياطين، وأنهم يتعاونون على نشر باطلهم متواطئين، وهذا هو واقعهم؛ فإنهم

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ١١٢، ١١٣.

يتعاونون على نشر الفساد وتضليل العباد، فلهم في كل جهة فويسقات ينشرن الفساد، وشيطان يشرف على الإفساد، يريدون من المجتمع أن يتنكر لدعوة أهل الغيرة الناصحين المخلصين، وأن يتحلل من الدين، وأن يتجرد من أخلاق النبيين وأتباعهم من المؤمنين، وأن يأخذ بما عليه اليهود المفسدون والنصارى الضالون وأذنابهم من الملاحدة والمنافقين، وسلاحهم في ذلك زخرف القول وخبيث الفعل، يلبسون الحق بالباطل، ويشككون بما عليه سلفنا الأوائل. وأخبر سبحانه أنه لا يصغي إلى أقوالهم، ولا يقبل خبيث أفعالهم إلا الذين لا يؤمنون بالآخرة فيؤثرون متاع الدنيا الحاضرة.

فاحذروا عباد الله من الإصغاء إليهم والافتتان بهم؛ فإنهم جنود الدجال وجيوش الضلال، وهم في زمانكم كثير والخطر عليكم منهم كبير، فانأوا عنهم ولا تأتوهم، وتعوذوا بالله من فتنتهم، ففي الحديث عن النبي ﷺ قال: «يا أبا ذر! هل تعوذت ـ أو قال: تعوذ بالله ـ من شياطين الإنس والجن». وهو حديث قال فيه الحافظ ابن كثير: «له طرق مجموعها يفيد قوته وصحته».

أيها المسلمون: لقد جاء وصف هذا الصنف المفسد من الناس في القرآن والسنة بما يبين خطر فتنته وعظم شبهته، فمن ذلك قوله سبحانه فيهم: ﴿۞وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[1]، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾[2]، وقوله:

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ١١، ١٢.

﴿ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَـٰنًا وَتَوْفِيقًا ۝٦٢ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ۝٦٣﴾[1]، وقوله: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[2]. أي فيما يبدو من كلامهم الدال على مقاصدهم، يعرضون بتقبيح ما عليه المسلمون. ولقد روي عن النبي ﷺ أنه خاف على أمته المنافق عليم اللسان، وحذر من أقوام مفتونين، يلبسون للناس مسوح الضأن من اللين وقلوبهم قلوب الشياطين ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾[3]. وأنه في آخر الزمان يسود الناس أراذلهم، ويتصدرهم شرارهم، وتنطق الرويبضة في الأمور العامة.

وجاء في الصحيح عنه ﷺ الإخبار عن نزع الأمانة ـ أي الإيمان ـ من القلوب حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. فقد وقع الله شيء من ذلك؛ حيث تصدر الفسقة، وتولى السفلة أمور العامة، واؤتمن الفجرة الخونة على الأعراض والأموال، وكم في دنيا الناس اليوم ممن يتولى الصدارة ويحتل موقع الإشارة من أمثال المفتونين المفسدين ممن يوصف بالظرافة واللباقة في جسمه ومنظره، والعقل في رأيه وتدبيره، والجلادة في إدارته وعمله؛ وظاهره وفلتات لسانه وسيرته وحاله ـ تدل على أنه ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، بل هو عدو للمجتمع المسلم، متربص ومفتون بأعداء الإسلام مهووس.

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ٦٢، ٦٣.
(٢) سورة محمد، الآية: ٣٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٦٧.

أيها المسلمون : إن هذا الصنف المفسد من الناس يريدون أن يصبح الإسلام ديناً اختياريًّا وأدباً سمحاً مع أهوائهم، فلا يتعارض مع هوى ضال يتبعونه، أو مبدأ هدّام ينشرونه، أو شهوة محرمة يتمتعون بها، أو غاية فاسدة يهدفون إليها، يريدون إسلاماً لا ولاء فيه لمؤمن، ولا براء فيه من كافر أو متزندق، ولا التزام فيه بشعيرة، ولا تعظيم فيه لحرمة، ولا التزام فيه بفضيلة، ولا حذر فيه من رذيلة، يريدون إسلاماً تباع فيه الفضيلة بأبخس الأثمان، وكل ذي مروءة وأنفة يهان، وأن يصبح المسلمون أذلة لأهل الكتاب وعبدة الأوثان، تستعاض فيه الدياثة بالغيرة، والمهانة بالكرامة، فذلك في نظرهم رقي وتجديد وتقدم وتطور، فما يوجد في بلاد الكفر من خلاعة وتهتك واستهتار وعري وإباحية وزندقة هي في نظرهم ميزان الحضارة وبراهين التقدُّم ومعالم التطور، أولئك هم الأخسرون أعمالاً ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1].

أيها المؤمنون : الحذر الحذر من كيد المفسدين وفتنة المبطلين، والنجاة النجاة بأنفسكم وذويكم من هذا الكيد المدبر والإفساد المخطط، وإياكم إياكم أن تنخدعوا بزخرف المبطلين وشبهات المشبهين من دعاة الفساد والمخربين في البلاد، فإن الخسارة كبيرة، والمصيبة عظيمة، إنها فساد الدِّين وتدمير الأخلاق، وبذلك تذهب الدنيا والآخرة، ويتحقق شقاء الأبد وشؤم المنقلب، إنهم يهدفون إلى أن يستدرجوكم عن دينكم ويزحزحوكم عن عقيدتكم ومبادئكم، ويفسدوا عليكم أخلاقكم وقيمكم بشتى أنواع

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١٠٤.

الحيل، من زخرف القول ومجون الفعل، والوسائل المغرية والمشاكل المشغلة، ويأتونكم من بين أيديكم ومن خلفكم وعن أيمانكم وعن شمائلكم؛ لتصبحوا كافرين لا شاكرين، ومنحرفين لا مستقيمين.

فاستمسكوا بالحق الذي أنتم عليه، واحمدوا ربكم إذ هداكم إليه، ولا تستمعوا للمبطلين فيصدوكم عنه، أو يفتنوكم فيه، فقد أفلح عبد أطاع مولاه، واستمسك بالدين الذي له ارتضاه، حتى لقي الله على الحق غير مفتون ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١) ﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

ما خصّ الله به هذه الأمة
وأنه لا ينبغي الالتفات إلى غيره

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه، هو الواحد القهّار، العزيز الجبار، الذي لا يعجزه فارٌّ، ولا تخفى عليه الأسرار ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾[١].

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الذي حذّر المؤمنين من الميل إلى الكافرين والمشركين في قوله المبين: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[٢].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين، والناصح المبين، الذي تبرأ من مسلم يقيم بين ظهراني المشركين، وأخبر أن الله لا يقبل منه عمله حتى يزايل المشركين. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الموصوفين في التنزيل بالوصف الجميل ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٣].

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى؛ فإن التقوى خير لباس،

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٠.

(٢) سورة هود، الآية: ١١٣.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

واعلموا أن الله تعالى خصكم بخصائص عظيمة، ومنحكم منحاً كريمة، إذْ جعلكم خير أمة أخرجت للناس، وهيأكم لتكونوا شهداء على الناس، وكفى بذلك تشريفاً وتمجيداً ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ أي عدولاً خياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

خصكم الله تعالى بأعظم الكتب، وأشرف الرسل، وأكمل الأديان، وأفضل الشرائع، وقد وكل الله تعالى تبيين كتابه كله بقوله وفعله وتقريره وحاله، فقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[2]. فكتابكم القرآن الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[3]. ذكر محفوظ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[4]. وجعله الله ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾[5]، وقال فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾[6].

ونبيكم محمد ﷺ خليل الله ومصطفاه ورسوله ومجتباه، رسول الله وخاتم النبيين، قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[7]. وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[8].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٣) سورة فصلت، الآية: ٤٢.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٩.
(٥) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٦) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.
(٧) سورة النجم، الآيتان: ٣، ٤.
(٨) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

فأثنى ربكم سبحانه على نبيه محمد ﷺ، الذي امتن الله عليكم ببعثته وشرفكم برسالته، فما أعظمها من منّة، وما أجزله من فضل نبّه عليه سبحانه بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[1].

أيها المسلمون: ودينكم هو دين الإسلام الذي هو خاتم الأديان وأكملها وأيسرها وأشملها لمصالح الأنام في الدنيا والآخرة ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[2]. فالإسلام عند الله هو الإسلام لجميع العالمين ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[3]. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[4]. ﴿ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[5].

﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ ﴾[6]. ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

---

(١) سورة الجمعة، الآيات: ٢ ـ ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٤) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٥) سورة الأنعام، الآيات: ١٦١ ـ ١٦٣.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٦.

وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[1].

أيها المسلمون: كما خصنا الله بهذا الدين، وببعثة نبيه محمد الرسول الأمين، وإنزال ذكره المبين، وامتن علينا بقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[2]، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[3] فإن علينا أن نقبل هذه النعم وتلك المنن، ونغبط بها، وأن نستمسك بها ونحافظ عليها، وأن نستقيم عليها وننشرها وندافع عنها، وأن نحذر كيد أعدائنا في الدين من العالمين من اليهود والنصارى والمشركين وأصناف الكافرين والملحدين؛ فإنهم لنا حاسدون، وعلينا حاقدون، وبنا يمكرون، ولأنواع المكائد يشنون، ولهذا أمرنا الله بالابتعاد عنهم، والحذر منهم، وبغضهم وإظهار العداوة لهم، ومجاهدتهم وشن الحروب عليهم.

قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4]. وقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[5]. وقال تبارك اسمه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٢٦ ـ ٢٨.
(٢) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.
(٣) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾[1].

وقال جل ذكره: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[2]. وقال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾[3].

أيها المسلمون: ولما كانت عداوة الكفّار لنا بهذه المثابة، وكيدهم بتلك الخطورة، ومكرهم بنا في كل زمان ومكان متحقق ـ فمن رحمته سبحانه وكمال لطفه أن أمرنا ببغضهم، وإظهار عداوتهم وهجرهم، وإعلان قطيعتهم والبعد عنهم والحذر من الركون إليهم؛ حتى لا يصيبنا خطرهم، ولا يلحق بنا ضررهم، ولا يحيق بنا مكرهم، ولا تصيبنا العقوبة بشؤمهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾[4].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ١.

لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾(١). وقال جلّ وعلا: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾(٢).

بل إنه سبحانه نفى الإيمان عمن يتخذهم أخلاء، يودهم ويواليهم، حتى ولو كانوا أقرب الناس إليه نسباً ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(٣).

وتوعد سبحانه من آثرهم بالمحبة والمودة فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٤).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٤.

التحذير من السفر إلى بلاد الكفار

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، أحمده سبحانه أن هدانا لهذا الدين، فجعلنا مسلمين، ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، إلـه الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، له الأسماء الحسنى والصفات العليا، ولا يخفى عليه ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، لا إلـه إلا هو الرحمن الرحيم.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، وخيرته من خلقه، وصفه ربه بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على سنته بإحسان إلى يوم يُبعثون.

أما بعـد:

أيها الناس: اخشوا ربكم واتقوه، وخافوه فلا تعصوه، واذكروا نعمه عليكم واشكروه ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[2]. فاشكروا الله ولا تكونوا ممن قال الله فيهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٧.

﴿ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨٣﴾[١]. فإن كفر النعم من أسباب النقم، وهو متحقق بجحودها ونسبتها إلى غير موليها، والاستهانة بها ووضعها في غير مواضعها اللائقة بها، وتعريضها لأسباب زوالها وتبديلها بأضدادها من أصناف المحن وألوان النقم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٥٣﴾[٢].

أيها المسلمون: إن الله تعالى قد خص أمة محمد ﷺ بنعم كثيرة عظيمة ومزايا فريدة كريمة، فأكمل لها دينها، وأتم عليها نعمته، ورضي لها الإسلام ديناً، وسماهم المسلمين، وخصها بمحمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وخير خلق الله أجمعين، وأنزل عليه القرآن مصدقاً لما بين يديه من الكتاب، ومهيمناً عليه وتبياناً لكل شيء، وحفظه من الباطل فلا يأتيه من بيه يديه ولا من خلفه، وجعله هدىً ورحمة وبشرى للمسلمين.

وجعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وجعلها أمة وسطاً شهيدة على الناس في الدنيا والآخرة بما جاءها من ربها سبحانه على لسان نبيها ﷺ؛ تشهد على تبليغ الرسل ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ لأممهم رسالات الله ونصحهم لها، وكما أن هذه الأمة خير الأمم في الدنيا فهي خيرها وأكرمها على الله عز وجل يوم القيامة؛ فإنها توفى سبعين أمة يوم القيامة هي خيرها وأكرمها على الله عز وجل، وهي أول من يجوز الصراط ويدخل الجنة، وهي أكثر أهل الجنة، إذ تبلغ نصف

---

(١) سورة النحل، الآية: ٨٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٣.

أهل الجنة وتزيد، بل يرجى أن يكونوا ثلثي أهل الجنة، فالحمد لله على جزيل عطائه وسابغ نعمائه.

معاشر المسلمين: إننا أهل هذه البلاد قد خصنا الله تعالى بفضل منه ومنَّة من بين سائر مجتمعات الأرض في الجملة بنعم كبيرة عظيمة ظاهرة وباطنة، وحلل من الرخاء والعطاء سابغة: معتقد صحيح، وعمل صالح، وسلوك قويم، وصحة في الأبدان، وأمن في الأوطان، ووفرة في الأرزاق، وولاية نحسبها لا تألو جهداً في تحقيق ما فيه خيرنا وصلاحنا في العاجل والآجل، والمعصوم من عصمه الله، والموفق من وفقه الله، والسعيد من تاجر بنعم الله مع الله ﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[1]. فاغتنموا نعم الله فيما يقرب إليه، وسارعوا بها إلى ما يرضيه.

عباد الله: إذا كانت الحال ما وصفت، والنعم ما إلى جُلِّها أشرتُ، فما بال أقوام إذا سنحت لهم الفرص، وتهيأت لهم النقلة فروا من بلاد النعم إلى مواطن النقم بأنفسهم ومحارمهم وأموالهم، وربما أرسلوا سفهاءهم وغير ذوي الرشد منهم! يخرجون من بلاد التوحيد التي يعلو فيها الأذان، وتقام فيها الجمعة والجماعة، ويؤمر فيها بالمعروف وينهى فيها عن المنكر، وتقام فيها الحدود والتعزيرات، ويدعى فيها إلى الخير من حيث الجملة، ولم يظهر فيها بحمد الله الزنا، ولم تعلن فيها الخمور، فيخرجون من هذه البلاد الآمنة المطمئنة إلى بلاد يحكم فيها بالطاغوت، ويعلن فيها الزنا،

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

وتشرب فيها الخمور، ويخفى فيها الأذان، ويشاد فيها بالإلحاد، وينصر الكفر، ويهضم الحق؛ بلاد تموج بالفساد وشر العباد من شتى ملل الكفر، وأصناف أنواع الظلم، وأبشع صور الفجور والإجرام؛ حتى يعز فيها أن يسمع الرجل من يقول ربي الله، ومن يضلل الله فما له له من هاد، ومن يهد الله فما له من مضل، إن الله عزيز ذو انتقام.

أيها المسلمون : إن هذا الصنف من الناس قد خاطر بعقيدته، واستهان بحرماته، وفرط بدنياه وآخرته، وحقيقة أمره أنه ما نقم إلا أن أغناه الله من فضله ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[1] . ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾[2] .

كيف يسافر المرء بدون ضرورة إلى بلاد وصف الله ذوي الشأن فيها بقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[3] ، وقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[4] ، وقوله جل شأنه: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[5] ، وقوله تبارك اسمه: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٤.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١)، وقوله: ﴿وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾(٢).

كيف يلقي مؤمن عاقل بنفسه في بلاد هذا شأن أهلها مع المسلمين، ويطمع بالسلامة من ضرر المقام فيها عليه في الدين؟!

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليبس

كيف يبقى بمحارمه والمراهقين من أبنائه في مواطن قد أشرعت فيها مواخير الزنا، وأترعت فيها حانات الخمور، وقد ألف أهلها العري وتربوا على الفجور؟! ولكن حقًّا إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

أيها الناس: إن الذين يسافرون إلى بلد الشرك بأنفسهم أو بأهليهم، أو يأذنون لأحد منهم بذلك، دون حاجة شرعية أو ضرورة حتمية ـ لا شك أنهم قد غيروا ما بأنفسهم، فيوشك الله أن يغير عليهم نعمته وقد زاغوا عن أمر الله، فيوشك الله أن يزيغ قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾(٣).

ولا شك أن هؤلاء قد ظلموا أنفسهم، فماذا لو جاء أحدهم الموت فتوفتهم الملائكة ظالمي أنفسهم بالإقامة في بلد الشرك

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٩.
(٣) سورة هود، الآية: ١١٣.

والكفر؛ قالوا فيم كنتم؟ أي في أي بلد وفي أي مجتمع؟ فهؤلاء على خطر من آخر الآية، قال تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[1].

ولقد تبرأ النبي ﷺ من مسلم يقيم بين المشركين، فقال: «أنا بريء من مسلم يقيم بين المشركين لا تراءى ناراهما»، وبين ﷺ أن مثل هذا لا يقبل الله منه عمله ما دام في تلك البلدان الكافرة، فقال: «لا يقبل الله من مسلم عملاً بعد ما أسلم أو يزايل المشركين»، وقال: «من جامع المشرك ـ أي اجتمع به ـ أو ساكنه فهو مثله».

فاتقوا الله أيها المسلمون و﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةًۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٥﴾[2]، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾[3]، ﴿رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٥﴾[4].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٧.
(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٤) سورة الممتحنة، الآية: ٥.

التحذير من مخالطة الكفّار ومعاشرتهم

الحمد لله الذي شرف الإسلام على سائر الملل، ونسخ به جميع الشرائع والنحل، وكبت به أعداءه أهل الضلالة والزلل، أحمده سبحانه على أن بعث إلينا رسوله محمداً عليه الصلاة والسلام، وهدانا به إلى دين الإسلام، وفضلنا به على سائر الأنام، وحرم علينا موالاة الكفرة من أهل الكتاب وعبدة الأصنام.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الذي خص نفسه بالعزة ورسوله والمؤمنين، ووعد بالنصر والتمكين من نصر الدين، وتقرب إلى الله تعالى ببغض وعداوة الكافرين، وجعل الذلة والهوان لمن خالف أمره من العالمين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أخبر أن الله لا يقبل من مسلم عملاً حتى يفارق المشركين، وتبرأ ﷺ من مسلم يقيم بين ظهرانيهم، فإياكم وخلطة الكافرين. اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه السابقين الأبرار المنعوتين في الكتب السابقة بالتراحم فيما بينهم والشدة على الكفار.

أما بعد:

فيا أيها المسلمون: اتقوا الله مولاكم، واشكروه على ما أولاكم، واذكروه كما هداكم، واعلموا أن الله تعالى قد خلقكم لعبادته، وأمركم بطاعته، ونهاكم عن معصيته، وتوعدكم على

مشاقته، وافترض عليكم محبة وموالاة أوليائه، وبغض وعداوة أعدائه، كما وصف ربنا سبحانه أحبابه في قوله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٥٤ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ۝٥٦﴾[١]. فأحبوا أهل الإسلام والإيمان، وآثروهم بما تبذلون من الخيرة والإحسان، ولا تفضلوا عليهم الكفرة وعبدة الأوثان، فإن ذلك ضلال مبين، ومن أسباب الشقاء والهلاك في الدارين.

أيها المسلمون: إن من واسع فضل الله عليكم، وعظيم إحسانه إليكم، وكريم بره ورأفته ورحمته بكم، وهو أرحم الراحمين، أن حذركم من عموم أعدائكم في الدين، من اليهود والنصارى والمشركين وسائر الجاهليين، ونهاكم عن مودتهم وصلتهم، وأمركم ببغضهم وعداوتهم، وألزمكم بقطيعتهم ومباعدتهم، كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾[٢].

وذلكم كله من ملة أبيكم إبراهيم الذي أثنى الله عليه بها في كتابه العظيم، وجعلها منهجاً لأتباعه المؤمنين إلى يوم الدين؛ فملة إبراهيم عليه السلام هي: إخلاص الدين لله، والكفر بكل معبود

---

(١) سورة المائدة، الآيات: ٥٤ ـ ٥٦.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١.

سواه، والبراءة من كل من يدعو غير الله، ومبارزتهم بالعداوة والبغضاء أبداً حتى يؤمنوا بالله رب الأرض والسماء، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾(٢).

فالمؤمن بالله لا يوالي من حاد الله ولو كان أمه أو أباه أو أخته أو أخاه، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾(٣).

وتوعد سبحانه من يتولى الكفار ويدنيهم ويتلطف لهم؛ إيثاراً للقرابة أو المصاهرة، أو حمية للعشيرة والقبلية، أو طمعاً في التجارة والمتاع، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾(٤).

أيها المسلمون: إنما نهانا الله عن موالاة الكافرين، ومعاشرة

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.
(٤) سورة التوبة، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

الفاسقين، ومخالطة المشركين، لعلمه سبحانه بخبث ما انطوت عليه سرائرهم، وسوء ما أكنته ضمائرهم نحو المسلمين والمؤمنين من الحسد، وتدبير عظيم الكيد، فكشف لنا سبحانه ستر هذه الطوائف التي هي شر الخلائق، وأظهر لنا ما اشتملت عليه قلوبهم، وأوضح لنا غاية مطلوبهم، وهو أنهم يكرهون لنا الخير، ويتربصون بنا الشر، ويحسدوننا على الهدى، ويتمنون لنا الردى، ويريدون أن نضل السبيل فنكفر كما كفروا، ونخسر كما خسروا، فهل بعد هذا البيان بيان؟ وما الحيلة فيمن لم تشفه مواعظ القرآن؟.

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أن الله خبير بما تعملون، وأنكم غداً بين يديه موقوفون، وتقربوا إليه بمحبة المؤمنين، والنصح لهم في أمور الدنيا والدين، وإيثارهم بالنفع والإحسان والولاء دون أعداء الدين، وأروا الله من قلوبكم بغض الكافرين، وأظهروا عداوتهم والبراءة منهم ما داموا عن دينكم معرضين، وإياكم والثقة فيهم فإنهم الخونة الفجار، واحذروا معاشرتهم فإنهم يدعونكم إلى النار، ولا تتخذوا منهم بطانة فما هم والله أهل للأمانة، يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾[1].

وقال تعالى مبيناً حالهم مع المسلمين: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[3]، وقال

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٣.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.

سبحانه: ﴿ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ﴾(١). وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾(٢).

فأخبر ربنا سبحانه في محكم بيانه ـ وهو الصادق في قوله اللطيف بعباده ـ عن حال الكفرة، وحذر من موالاتهم وخلطتهم، وبين خطورتهم، ونبه على قبيح صفتهم، وكشف ما انطوت عليه نيتهم، وأخبر أنهم يبيتون الكيد العظيم لأهل الإسلام، ويمكرون بهم على الدوام، ومن كان هذا شأنه حرمت مودته ووجبت عداوته، ولزم بغضه وتعين رفضه، فإنهم بطانة شريرة خاسرة تجلب على صاحبها البلاء والضرر في الدين والدنيا والآخرة.

فاتقوا الله أيها المسلمون، ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون، وتفكروا وأنتم في هذا المكان لتتجلى لكم من الواقع حقائق ما جاء بشأن أهل الكتاب وعبدة الأوثان من بيان القرآن، وتتذكروا عواقب استخدامهم وما جلب علينا من الشرور، وكم أفسدوا من أمور الناس في الأسواق والدور، أما أماتوا الغيرة على الدين والعرض عند كثير من المسلمين؟ أما أضللوا من استطاعوا من إخواننا في الدين؟ وكم انتهكوا من الأعراض، ونشروا من الأمراض، وكم من جريمة ارتكبوها في وضح النهار، أما أزهقوا الأرواح البريئة، ونهبوا الأموال

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

بحيل جريئة؟ أما نشروا في الأرض الفساد، وعموا بضررهم أصناف العباد ونواحي البلاد؟ لقد نشروا الخمور وروجوا المخدرات، وساهموا في ارتفاع معدل الجريمة ونشر الجنايات، وأنهكوا الاقتصاد، وتسببوا للتجارة بالكساد، وتجسسوا واطلعوا على أسرار مهمات، وعرفوا المداخل على الناس والعورات، ومنهم الجيوش الاحتياطية وعملاء القوى الدولية، فاحذروهم تسلموا، وابغضوهم وعادوهم تفلحوا، وقاتلوهم تنصروا، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

التحذير من التشبه بأعداء الله

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، أحمده على نعمه الكثيرة العظيمة الغزار ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، خصنا ببعثة محمد ﷺ أشرف النبيين والمرسلين، وجعلنا مسلمين، وأتم علينا النعمة وأكمل لنا الدين، ونهانا عن التشبه بالكفار والمشركين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله رحمة للعالمين؛ فهدى به من الضلالة، وبصر به من العمى، وجمع به بعد الفرقة، وألَّف به بعد الشتات؛ فأغنى به بعد عيلة، وكثَّر به بعد قلة، وأعز به بعد ذلة. نبيٌّ شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار والخيبة والخسار إلى يوم القيامة على من خالف أمره.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تمسك بسنته واهتدى بهديه إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واحذروه، واعملوا بطاعته

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

واشكروه، واتبعوا نبيكم محمداً ﷺ في جميع أموركم وأطيعوه، ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾[١]. واحذروا الرغبة عن سنته والتشبه بأعداء الدين، فإن النبي ﷺ قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**». وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «**من رغب عن سنتي فليس مني**»، وفي مسند الإمام أحمد وغيره عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**». وروى الترمذي أيضاً عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**».

أيها المسلمون : إن ظاهرة التشبه بأعداء الإسلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنافقين وسائر المشركين ـ في هذا الزمن ـ من الظواهر البارزة الملفتة للنظر، والتي تقتضي من كل عاقل عظيم الحذر؛ لما تشتمل عليه من نذر الخطر، وموجبات الشر وعظيم الضرر، فإن ظهور التشبه بأعداء الله من أهل الكتاب والمشركين من شخص أو مجتمع أو أمة ـ دليل على قلة العلم وضعف الإيمان، وانحراف الفطرة، وعلامة على مرض القلوب وعمى البصائر، واختلال المقاييس وانقلاب الموازين، ومظهر من مظاهر كفران النعم، وغلبة الهوى وإيثار الأولى على الأخرى. ذلكم لأن تشبه إنسان بآخر يدل على إعجابه بما كان عليه من تشبه به ومحبته لما تشبه به فيه. والقاعدة العامة المتفق عليها لدى جميع العقلاء ذوي الفطر السليمة والموازين المستقيمة أن يتشبه الأدنى بالأعلى، وأن

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٤.

يتأثر المغلوب بالغالب، وأن يقتدي الضعيف بالقوي؛ رجاء أن يصل إلى مستواه وأن يتمكن مما تمكن منه، وإذا كان ذلك كذلك فهل يليق أن يتشبه الرشيد بالسفيه، أو أن يظهر العالم بمظهر الجاهل؟ أم هل يليق أن يحذو المستقيم حذو المنحرف؟ أم هل يقتدي العاقل بالمجنون؟ لا شك أن ذوي الحجى والنهى يمقتون ذلك ويعدونه من ضروب المهالك.

إذاً فكيف يليق بمسلم شرح الله صدره للإسلام وأكرمه بالإيمان فجعله على نور من ربه، ومن خير أمه أخرجت للناس خصها الله بخاتم النبوة وأشرف الرسل وأكمل الأديان، وأجل الكتب وأعظم الشرائع وأحسن الأحكام، التشبه بمن اتخذ إلـٰهه هواه، وأضله الله على علم، وختم على سمعه وقلبه، وجعل على بصره غشاوة، ووصفهم بقوله: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[1]. بل هم شر الدواب كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2]، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾[3]، ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾[4].

أيها المسلمون: إن التشبه بأعداء الله دليل على تعظيمهم والإعجاب بما هم عليه من الضلال والباطل، وسبب من أسباب التشبه بهم في الباطن، وموافقتهم في الأقوال والأفعال والأحوال، وهو من آثار شعور المسلم بالذلة والهوان، وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٥٥.
(٣) سورة الحج، الآية: ١٨.
(٤) سورة محمد، الآية: ٢٣.

ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(١)، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾(٢).

وترك التشبه بأعداء الله والالتزام بمخالفتهم في هديهم وطريقتهم، وما كانوا عليه من الاعتقادات والأخلاق والأعمال الباطلة ـ دليل على عزة المسلم بدينه، واغتباطه بنعم الله عليه، ورضاه بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، وذلك من أسباب ظهور الحق، وانتشار الهدى بين الخلق، ونزول النصر، وشرح الصدر، وتيسر الأمر، ووضع الوزر، ورفع الذكر، ولذلك كان النبي ﷺ يخالف اليهود والنصارى خاصة، وغيرهم من المجوس وأهل الشرك عامة في عامة الأمور حتى قالوا: ما يريد محمد أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وخذوا بسُنة نبيكم ﷺ في لزوم الحق والتمسك به والصبر عليه، ومخالفة أهل الكتاب والمشركين والبعد عن التشبه بهم في كل أمر؛ تفلحوا فترحموا، وترزقوا وتنصروا في الدنيا والآخرة. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

الحذر من أصناف الأعداء

الحمد لله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، أحمده سبحانه أخبر أنه لا يصلح عمل المفسدين، وقضى أن العاقبة للمتقين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له الملِكُ الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين والناصح المبين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه بإحسان إلى يومِ الدِّين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله ربكم وأطيعوه، واشكروه تعالى على نعمه ولا تكفروه، واخشوه ظاهراً وباطناً واحذروه، واعلموا أنكم لن تحصوه، فتوبوا إليه من سيىء الأقوال والأعمال في سائر الأحوال واستغفروه.

أيها المسلمون: كم حذرنا الله تعالى من الأعداء، ونبهنا على ما يدبرونه لنا في الظاهر والخفاء، من أصناف الكيد وألوان الاعتداء، كقوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾(١). وقوله سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٠٩.

وقوله جل ذكره: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾(١). وقال تبارك اسمه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾(٤). وقال سبحانه: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾(٥).

إلى غير ذلك من النصوص التي تثبت حقيقة العداوة، وتبين مظاهر البغض والكيد، وتكشف عن حجم المؤامرة وغاية الفتنة، وترشد إلى أسباب السلامة والنصر والفوز بجميل العاقبة وشكر الذكر.

أيها المسلمون: وإزاء هذا العداء الصريح والكيد القبيح من الكفار وأصناف الفجار لأهل الإسلام على الدوام ـ أمر الله أهل

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٠، ١٠١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٨.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١٩.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.

الإسلام بأخذ الحذر، وإعداد القوة لدفع الخطر، وحثهم على التحلي بالتقوى ولزوم الصبر؛ ليتحقق لهم الفوز والظفر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾[4].

أيها المسلمون: الحذر الحذر، فإننا في هذا الزمان وفي هذا الجزء الغالي من الأوطان نواجه أعتى قوى الطغيان والعدوان.

فاليهود المجرمون الذين ديدنهم نقض العهود، وتحريف الكلم عن مواضعه، وأكل السحت، وقتل الأنبياء ـ يحيكون المخططات الآثمة، وينسجون المؤامرة تلو المؤامرة للتفريق بين العباد، وإشعال الحرب في البلاد، ليخضدوا شجرة الإسلام، وأنَّى لهم ذلك ما تمسك أهل الإسلام بالإسلام فسينتقم الله منهم ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾[5].

وشراذم الذين مردوا على النفاق وارتدوا عن دينهم وولوا الأعقاب، من بني جلدتنا الذين ينتسبون إلى ملتنا ويتكلمون بألسنتنا،

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٧١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٢٠.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ٤.

وهم في الحقيقة دعاة على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه فيها، ينفذون مخططات اليهودية العالمية في مجتمعنا؛ بنشر العقائد الوثنية والأخلاق الجاهلية والمفاهيم الشعوبية، بواسطة المناهج الدراسية، والوسائل الإعلامية، والمؤتمرات الحزبية، فإذا أعيتهم الأمور قاموا بالتحالفات الجهنمية، ثم شرعوا متآمرين بالاغتيالات الشخصية، والانقلابات العسكرية، وشنوا الغارات الوحشية الهمجية؛ فشردوا السكان من الأوطان، وحولوا المجتمعات التي يتمكنون منها إلى سجون جماعية لبني الإنسان، تمارس فيها أبشع أنواع الظلم والغدر والبغي والعدوان والقهر.

والقوى الاستعمارية تشرف على تنفيذ تلك المخططات، وتحمي شراذم المجرمين في تلك المجتمعات بالقوة وأنواع التبريرات؛ لأنهم يحققون أهدافها، ويخدمون أغراضها، ويوفرون عليها جهودها.

فهذا الثالوث البغيض العنيد يسعى بكل ما أُوتي من قوة لهدم صرح الإسلام، وإبادة أهله من بين الأنام. ودأب أعداء الدين التسلط على المسلمين، وتفريق كلمة المؤمنين؛ لِيُذْهِبوا إيمانهم، ويدمروا كيانهم، ويستبيحوا أوطانهم، ولينهبوا ثرواتهم، وينتهكوا حرماتهم، ويتقوا خطرهم المتمثل بظهور الدين وقيام دولة المسلمين، ولكن هيهات بحول الله وقوته أن يبلغ الكفر مراده، أو يحقق أهدافه، وفي المسلمين عينٌ تطرف، أو عرق ينبض، أو دم يجري، ما داموا مستمسكين بدينهم مخلصين لربهم، فإن الله رفع أهل الإيمان في الذروة إذ يقول: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾[1]. ومن رفعه الله فلن يضعه الكفر

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

مهما أجلب بحشوده وأحكم من مكره ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾(١). ﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾(٢).

أيها المسلمون: يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾(٣). فإن من واجب المسلم أن يفعل ما أمره به الله، وألاَّ ييأس من فرج الله إذا أخذ بالحزم وتحلى بالعزم في أمره مهما أظلمت الأرجاء أو تكالب الأعداء، وألا يقنط من رحمة ربه، وإن رأى الكفر وقد امتد كيده، وعظم استعداده وجنده، فإن المؤمن يعتد بمعية الله له، ويوقن بنصره لأوليائه على أعدائه ولو بعد حين، يقول تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾(٤). ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾(٥). فالشيطان جند مسلط على أوليائه يخوفهم من المؤمنين، وقال تعالى: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾(٦).

أيها المسلمون: إن ديناً كتب الله له الظهور ولأهله العلو

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٢) سورة النحل، الآية: ٢٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ١١١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٧٥.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

والتمكين في الأرض لابد وأن ينتصر، وأن يحكم، وأن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وأن يخرج العباد من عبادة الطاغوت إلى عبادة الله وحده، لكن إذا استقام عليه أهله، وجاهدوا من أجله. فاتقوا الله في جميع أموركم، والزموا طاعته ينجز لكم ما وعدكم، ولا يفتتنكم إرعاد المرعدين ووعيد المتسلطين ممن طغى وبغى، وجانب الحق والهدى، فلقد كان لكم في سلفكم الصالح وثباتهم على الحق مَثَلٌ يحتذى ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[(١)].

إنها يا عباد الله شدائد عظيمة، وحوادث أليمة، خطط لها أعداء الدين، وكادوا بها المسلمين، ولكن سيجعل الله بلطفه ورحمته عواقبها إلى خير للإسلام وأهله، وسيأتي الله بالفتح أو أمر من عنده؛ فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين، فإن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً، إنها مصائب يبتلي الله بها العباد ليرجعوا إليه، ويرفع بها درجاتهم ليسروا بها إذا قدموا عليه، ويمحص بها ذنوبهم حتى يسترها عليهم، فلا يخجلوا منها إذا وقفوا بين يديه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الصف، الآية: ٩.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

التحذير من البدع ودعاتها

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، إلـه الأولين والآخرين، وقيوم السماوات والأرضين، ومالك الملك في الدنيا ويوم الدِّين.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، والرسول المجتبى، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، وقد دل أمته على خير ما يعلمه لهم في الدنيا والأخرى، وأنذرهم من شر ما يعلمه لهم في الحاضر والعقبى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾(١).

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، وسارعوا في سائر أوقاتكم وأحوالكم إلى ما يحب ويرضى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى، واسألوا ربكم العافية من عظيم البلى واللطف فيما يجريه عليكم من القضاء، والنجاة من الفتن فإنها في زمانكم تترى.

أيها المسلمون: لا شك أننا في زمان قل فيه العلم، وفشا فيه

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

الجهل، وضعفت فيه التقوى، وغلب فيه الهوى، فأوثرت فيه ـ من الكثيرين ـ الدنيا على الأخرى، وهام ضعفاء الإيمان في أودية الضلال، وصار أهل الزيغ والنفاق يكيدون لإفساد المجتمع في الحال والمآل، يمكرون بخفاء، وينافقون بجلاء ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾[1]. ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾[2].

يفسدون في الأرض ويقولون إنما مصلحون إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً، يريدون أن يجمعوا بين الدين وشهوات المنحرفين المغرضين وأنظمة الجاهلين ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[3].

بل هم قوم يفتنون ويسعون بكل فتنة ليفتنوا الناس عن دينهم، ويصدوهم عن سبيل ربهم بزخرف القول وما لهم من الجاه والطول؛ وكونهم من بني جلدتهم ويكلمونهم بألسنتهم، وهم في الحقيقة دعاة على أبواب جهنم يدعون الناس إلى خبيث الأفكار والاعتقادات ويزينون لهم قبيح المعاصي وعظيم المنكرات وسيء القول وفاحش الكلمات، فهم في الحقيقة من فتن الدنيا وعظيم البلاء ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن

---

(١) سورة الصف، الآيتان: ٨، ٩.

(٢) سورة محمد، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1].

أيها المسلمون : إن الفتن لها من شياطين الإنس مرتزقة يحترفونها ويدعون الناس إليها، ويدخلونها على الناس، إما من أبواب الشهوات، أو من أبواب الشبهات، وهي من أي باب تدخل على المرء فغايتها إفساد الدين؛ ليصبح المرء من الخاسرين في الدارين، فمن الناس من إذا وردت عليه الشبهة أو عرضت له أو دعي إلى شهوة ـ أخذته الغيرة على دينه، واسترخص في سبيل المحافظة عليه دنياه وسائر ما يهواه، والتجأ إلى ربه وسأله العصمة من الفتن بحوله تعالى وقوته، وأخذ بما شرع الله وقدره أسباباً للنجاة من الفتن، ووقاية من أخطار المصائب والمحن، فثبته الله على دينه، وزاده من هداه، وجعل له فرقاناً عند اشتباه الأمور؛ فلزم الطاعة، وصبر على المصيبة، واحتسب عند الله جزيل المثوبة وجميل العاقبة في العاجلة والآجلة.

قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[4]،

---

(١) سورة محمد، الآيات: ٣١ ـ ٣٣.
(٢) سورة التغابن، الآية: ١١.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٢٩.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾[(١)]، وقال سبحانه: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾[(٢)]. فيحفظهم الله ويحفظ لهم دينهم ودنياهم وأخراهم، ويحفظ بهم من شاء من عباده لما ثبتوا على الدين صابرين، وجاهدوا في الله مستيقنين، فإنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٣)].

ومن الناس من إذا عرضت له الشهوة أو أوردت عليه الشبهة آثر دنياه على دينه، وزال صبره وشك في يقينه؛ فاقتحم الشهوات، وتذرع بالشبهات، وسار خلف كل ناعق، واتبع كل أفاك ومنافق، فصار من الغاوين، وانضم إلى حزب الشيطان الخاسرين؛ فهلك بنفسه، وأهلك بعمى ضلالته سواه ﴿ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾[(٤)].

وغداً ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾[(٥)]. وصدق الله العظيم إذ

---

(١) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٢) سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٣) سورة السجدة، الآية: ٢٤.
(٤) سورة النساء، الآيتان: ١٠٧، ١٠٨.
(٥) سورة الفرقان، الآيات: ٢٧ ـ ٢٩.

يقول أيضاً: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[1].

وهكذا كل داع إلى فتنة يكون مع من أضلَّه ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[2].

أيها المسلمون: وإذا كانت الفتن تجلب على العبد خسارة الدنيا والآخرة لأنها تفقده دينه، وتورثه غضب ربه، وشقاء العاجلة والآجلة، وإذا كان مرتزقة الفتن وسماسرة الباطل بين أظهرنا ومن بني جلدتنا، ويتكلمون بألسنتنا، ويدخلون علينا من بابي الشهوات أو الشبهات، فعلينا الحذر والجد في اتقاء الخطر، ولا حول ولا قوة إلا بالله قاهر المتجبرين، وعالم خائنة الخائنين، والذي وعد أنه مع الصادقين، ويحب الصابرين، ولا يضيع أجر المحسنين.

ومن الأسباب التي جعلها الله عصمة من المحن، ونجاة من الفتن، لزوم طاعة الله تعالى بفعل الفرائض والواجبات، وخصوصاً فرائض الصلوات مع الجماعات، وتكميلها بالنوافل والمستحبات، فإنها سبب لولاية الله وحفظه وتثبيته لعبده ومحبته، وحفظه له في حواسه وجوارحه، وإجابة دعوته، والإكثار من الزكوات والنفقات الواجبة والمستحبة؛ فإنها مكفرة للخطيئة، ومدفعة للبلاء، ومجلبة للنعماء، ورفعة للدرجات.

---

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.

(٢) سورة الحشر، الآيتان: ١٦، ١٧.

ومنها الإلحاح على الله بالدعاء ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾[(١)]. «اللهم مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» فإن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن.

ومنها لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، والحرص على جمع كلمتهم وإشاعة الألفة بينهم، والإخلاص في نصيحتهم، والحذر من كل من يسعى لإحداث الفرقة والشقاق بينهم لتفريق كلمتهم وتحزيبهم ضد بعضهم.

وأما ما اشتبه من الأمور الواردة فإنه لا يحكم له أو عليه، ولا يقبل ولا يرد؛ حتى يتبين أمره بالرجوع بشأنه إلى أهل العلم بالكتاب والسنة ومن يلون الأمر عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٨٣﴾[(٢)]. فمن تكلم في المشتبه من الأمور بالظن اتباعاً للهوى ولم يرده إلى أولي الأمر فيه فقد اتبع الشيطان، ومن اتبع الشيطان كان من الغاوين وأصبح من الخاسرين في الدارين.

ألا وإن مرتزقة الفتن لا يعرضون على الناس الباطل الخالص، ولا يرفضون أمام الناس الحق البين، وإنما يلبسون عليهم الحق بالباطل؛ ليصدوا عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً تحت ستار دعوى الإصلاح والتغيير والتجديد والتطوير. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٨.
(٢) سورة النساء، الآية: ٨٣.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٢٥ ﴾[1].

﴿ سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٨٢ ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة الصافات، الآيات: ١٨٠ ـ ١٨٢.

الحذر من كيد أهل النفاق ودعاة الفتن

الحمد لله الذي اهتدى بهديه المهتدون، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، أحمده سبحانه كتب العزة والفلاح والنصر للمؤمنين المجاهدين، وجعل الذلة والخسار والهزيمة من نصيب المنافقين المفسدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي قال في كتابه المبين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ۝﴾[1]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي جاهد في الله حق جهاده، وأخمد سيف الحق عدوان المعتدين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى والدين، الذين هم أعظم هذه الأمة جهاداً للمنافقين والمشركين، وأشدها بغضاً وعداوة لأعداء الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، واستمسكوا بما منَّ الله عليكم به من الدين والهدى، وجاهدوا بكل ما أوتيتم من قوة، واصبروا وصابروا ورابطوا لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، تكونوا من أحباب الله المؤمنين، وجنده الغالبين، وأوليائه المتقين، الذين يطاردون الباطل في كل ميدان، ويعادون ويجاهدون من جاء به ودعا إليه كائناً من كان ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٥.

﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ٧٦﴾[1].

أيها المسلمون : إن معركة الحق مع الباطل قائمة من أول الزمان، وستستمر ما وجد على الأرض أحد من أهل الإيمان، لا تخبو نارها، ولا يفتر استعارها، فلن يخلو منها زمان ولا مكان:

الحق يحمله ويجاهد من أجله رسل الله عليهم الصلاة والسلام، وأتباعهم من علماء الإسلام، وصالحي العوام، يوضحونه للناس ويبصرونهم به، ويكشفون عنه الشبه، ويجاهدون لله في ذلك، فيهتدي على أيديهم من شاء الله هدايته من الخلق ذوي القلوب السليمة، والمقاصد الصحيحة، والعقول الراجحة، والبصائر النافذة، الذين يميزون بين الضار والنافع من الأفكار والأعمال والأقوال، وينظرون في عواقب الأمور، ويجانبون الهوى والطغيان وغيرهما من مصادر الشرور.

والباطل يحمله ويدعو إليه الشيطان، وجنوده شياطين الإنس والجن ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ١١٢﴾[2].

فيدعون إلى الباطل مستخدمين لترويجه وسائل الدعاية وأنواع المغريات وفنون المكر والحيلة لفتنة العباد في كل واد ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٩﴾[3].

---

(١) سورة النساء، الآية: ٧٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١١٢.

(٣) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

فالصراع مرير، والميدان واسع، والسلاح متنوع؛ ولكن إذا ثبت أهل الحق في الميدان، وأخذوا بأسباب نصر الرحيم الرحمٰن، صدق الله وعده بالنصر لصالحي الخلق كما حققه لأهل الحق من السلف ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾[1]، ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[2]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾[3].

وكم تضافرت قوى الشر في كل عصر ومصر على أولياء الرحمٰن أهل الحق والإيمان، فيثبتون لهم محتسبين، ويجاهدونهم صادقين صابرين مخلصين مجتمعين؛ فينصر الله أهل الإيمان في كل ميدان، ويخذل جمع النفاق والشرك والكفران ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[4]. ﴿وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَٰطِلُ إِنَّ الْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[5].

فاتقوا الله أيها المسلمون، وكونوا على الدوام على أتم الاستعداد لخوض معركة الحق ضد الباطل؛ لرد كيد أهل الباطل وتطويق فسادهم وهدم أوكارهم وقطع سبل إفسادهم؛ فإنهم الذين يقيمون مساجد الضرار، ويخربون العامر من الديار، فواجب المسلم جهادهم أينما حل وحينما ارتحل؛ فإن أهل الباطل لا يقنعون منكم

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٢) سورة القمر، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٧.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

بشيء دون الردة عن الدين والسير الأعمى خلف أذيال ركاب المغضوب عليهم والضالين وأصناف المشركين ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[1].

أيها المسلمون : إننا اليوم في معترك فتن عظيمة متنوعة، ومواجهة غارات من الأعداء على ديننا وحرماتنا وكياننا ومجتمعنا متتابعة ومتقطعة، فإن وجدوا فينا صلابة وفي جهادنا قوة ولَّوا الأعقاب وباؤوا بالخسران والتباب، وإن نالوا منا شيئاً ولَّو يسيراً طمعوا فيما هو أكبر منه، وبيتوا من أنواع المكر والمكيدة والغدر والحيلة ما تمكنوا منه.

أيها المسلمون : لقد أصبحنا ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ في فتن في الدين عظيمة، ومصائب متتابعة أليمة، فإن الفتن قد أطلت برؤوسها هذا الزمان، واشرأبت أعناق أهلها ـ قصمها الله ـ هذا الأوان، فقد ظهرت بعض وجوههم المكفهرة الكالحة المعبرة عما في قلوبهم من النفاق والبغض لأهل الإيمان، وهم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، ألسنتهم أحلى من العسل، ويقولون نفاقاً من خير القول، ويخالفون أهل الإسلام في الفعل والحال، ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق شأن أهل الضلال، يلبسون للناس مسوح الضأن من اللين وقلوبهم قلوب الذئاب والشياطين، وغايتهم كما جاء في الآثار: **«دعاة على أبواب جهنم، من أطاعهم قذفوه في النار»**؛

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.

يخدعون النساء والسفهاء، ويضللون الطغام ومن في حكمهم من غفلة العوام، بما يثيرونه من الدعايات المزخرفة والأفكار المضللة، وأنواع الشبهات وسيء المعتقدات، يستهزئون بالقرآن، ويسخرون من سنة محمد ﷺ إمام أهل الإيمان، قد تشبعوا بمسالك الكفار، وحذوا حذو ضلال أهل الكتاب، فلم يخطوا الآثار، يسفهون مسلك المتدينين، ويسخرون من عباد الرحمٰن المهتدين، يطعنون فيهم وينفرون منهم ومما هم عليه من الاستقامة، ويبالغون في الوقيعة بأهل العلم بالذم والملامة، بألفاظ بذيئة وعبارات مستهجنة جريئة، رغبة في التحلل من الدين، والتحرر من أحكامه التي تصلح شؤون العالمين، بدعوى أنه وضع قديم لا يتفق مع التطور والتجديد ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾[1].

ولهم يا عباد الله في كل يوم دسيسة وفي كل ليلة مكيدة يشيعونها بين الناس، ويلبسونها عليهم للتشكيك والوسواس؛ لهدم الدين والتخلص من شريعة رب العالمين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾[2]. قد استبدلوا الكفر بالإيمان والدنيا بالآخرة ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ۝١٦﴾[3]. ألا وإن شر البلية انتكاس بعد الهدى، وعمى بعد البصيرة، وضلال بعد الرشاد.

عباد الله: النجاة النجاة بأنفسكم وأهليكم ومجتمعكم من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وحذار حذار أن تخدعوا بأقوال دعاة

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٥.
(٢) سورة الصف، الآية: ٨.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٦.

الفتن، وقد علمتم أنهم يدعونكم إلى النار، ولا يغرنكم بريق ألفاظهم وبهارج أقوالهم ومعسول كتاباتهم وكناياتهم؛ فإنها في الحقيقة هدم للدين، وتضليل للمسلمين، ونفاق منهم للمسؤولين، وتورية لأعداء الدين، كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده، فوفاه حسابه والله سريع الحساب.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢٠٤ ـ ٢٠٦.

فضل العلم

الحمد لله الذي يفقه من أراد به خيراً في الدين، ويرفع بالعلم درجات العلماء العاملين، فيجعلهم أئمة للمتقين، وهداة للعالمين، لما صبروا وكانوا بآياته موقنين، أحمده سبحانه هو الكريم الأكرم الذي علَّم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، هو الرحيم الرحمٰن، الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أنزل الله عليه الكتاب والحكمة، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكان فضل الله عليه عظيماً ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[1]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة المهديين والسادة المقربين، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل معه، أولئك هم المفلحون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى في جميع أموركم، وتعلموا ما أنزل إليكم من ربكم من الكتاب والحكمة، وتفقهوا فيهما واعملوا

---

(١) سورة الجمعة، الآيات: ٢ ـ ٤.

بهما يعلمكم الله ويجعل لكم نوراً تمشون به، ويجعل لكم من أمركم فرقاناً، ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم، والله ذو الفضل العظيم؛ فإنهما قد اشتملا على العلم النافع المبارك المثمر لكل عمل صالح، والدال على كل المصالح في الحال والمآل، والموصل إلى رضوان الله وجنته فضلاً من ذي الكرم والجلال ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾[١].

أيها المسلمون: هَلُمُّوا إلى العلم الموروث عن نبيكم ﷺ من الكتاب والسنة، فتعلموه واعملوا به، وعلموه أهليكم وذويكم، وادعوا كل من ذهبتم إليه أو جاء إليكم، فإن حاجتكم إليه شديدة، وضرورتكم إليه عظيمة، فأنتم أحوج إليه منكم إلى الشراب والغذاء والدواء والهواء والضياء، فإن به حياة القلوب وانشراح الصدور، وزكاة النفوس ونور البصائر، وبه النجاة من فتن الدنيا وفي البرزخ ويوم تبلى السرائر، إنه نور يهتدى به في الظلمات، وسبب يتوصل به إلى أنواع الخيرات وجليل القربات، وعون للعبد من ربه على لزوم الطاعات، وترك السيئات وهجر المحرمات والمشتبهات. به يعرف حق الله تعالى على عباده، وما للمرء عند ربه يوم معاده، وبه تعرف الأحكام، ويفرق بين الحلال والحرام، وتوصل الأرحام، وهو الباعث على الإخلاص في العمل والإحسان، وهو لكل عمل صالح

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

وكلم طيب أصل وحافظ لاستقامة البنيان، وأفضل مكتسب، وأشرف منتسب، وأنفس ذخيرة تقتنى، وأطيب ثمرة تجنى، ووسيلة لكل الفضائل، وسبب يلحق به المتأخرون بالسابقين الأوائل.

أيها المسلمون: تعلموا هذا العلم وأخلصوا لله في طلبه والعمل به، والدعوة إليه، والصبر على الأذى فيه، تنالوا بركته وتجنوا ثمرته، تكونوا لربكم متقين، ولنبيكم محمد ﷺ وارثين، وبأشرف الحظوظ آخذين، ولطريق الجنة سالكين، فإن من كان كذلك رفعه الله درجات في الدنيا ويوم الدين؛ فجعله من الأئمة الهداة المهديين، وألحقه بمن سلف من الصالحين، وجعل له لسان صدق في الآخرين، وإنما العلم بالتعلم والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، فمن علم الله في قلبه خيراً أسمعه، ومن اتقى الله في علمه وعمله كان معه، فإنه سبحانه يسمع من يشاء ويهدي من يشاء ويؤتي الحكمة من يشاء ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إنما يراد من العلم خشية الله والتقرب إليه بما فيه رضاه، واتقاء سخطه في الدنيا ويوم نلقاه، فكل علم لا يورث صاحبه الخشية ولا يحدث له صالح عمل ومزيد تقوى ـ فهو تعب على صاحبه في تحصيله وجمعه، وضرره عليه أكبر من نفعه، وحجة من الله تعالى عليه، فالعلم علمان: فعلم في القلب وهو النافع، وعلم على اللسان وذلك حجة الله على ابن آدم، فاطلبوا من العلم ما يورث خشية الله تعالى، ويرغب في الدار الآخرة، ويحجز عن أسباب الردى

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

واتباع الهوى.

أيها المسلمون : إن هذا العلم نور يقذفه الله في قلب العبد إذا رغب تحصيله، وسلك سبيله، وأخلص لله قصده، واستفرغ في طلبه وقته وجهده، فإذا استقر ذلكم النور في القلب صلح به القلب، وانشرح به الصدر، واطمأنت به النفس، فطابت الأقوال، وصلحت الأعمال، وحسنت السريرة، وجملت السيرة، فصار صاحبه إمام هدى يقتدى به إلى آخر الدهر، ولا يعلم إلا الله ما له عنده من كريم الذخر وعظيم الأجر، فتعلموا العلم تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، فما عبد الله تعالى بعد الفرائض بشيء أفضل من طلب العلم. إن طلبه عبادة، وتعليمه لله خشية، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وما اكتسب مكتسب مثل فضل علم يهدي صاحبه إلى هدى أو يكفه عن سبيل هوى ودركة ردى، وإنما ينتفع به من طلبه لله فعمل به وبذله في عباد الله، فذاك الذي تراه كلما أصاب منه باباً ازداد لله تواضعاً وله خشية، ومنه خوفاً ورهبة، وله رجاء وإليه رغبة، وبه أنساً وله محبة، ولنبيه ﷺ إيماناً وتصديقاً وتعزيراً وتوقيراً، ولعباد الله تواضعاً ونصحاً ورحمة وشفقة، فذاك الذي علمه في قلبه فهو على نور من ربه.

أيها الناس : إن الله تعالى يرفع بهذا العلم أقواماً فيجعلهم قادة يقتدى بهم في الخير، ويهتدى بهم إلى طريق الجنة، يظهر بهم الدين ويعتز بهم، وتؤثر عنهم السنن، وتقمع بهم البدع، ويهلك بهم أهل الباطل، فهم أئمة أحياء وإن كانوا تحت الثرى. فقد مات أرباب الأموال؛ والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في

القلوب موجودة، وأقوالهم مشهورة، وسيرهم مأثورة، فنعم العلم النافع خليل المؤمن، يكسبه الطاعة لربه في حياته وجميل الأحدوثة بعد مماته، عمله موصول، والدعاء له ما بقي الدهر مأمول، ويستغفر له كل شيء، وينتفع ما انتفع من علمه الحي.

فاطلبوا هذا العلم ـ أيها المؤمنون ـ تحصلوا على جليل المنافع، وأربح البضائع، لاسيما وقد يسر الله لكم من فضله سبله، وهيأ لكم وسائله، فقد شاع العلم في هذا العصر، وذاع وبلغ ما بلغ الليل والنهار، وأمكن استماعه من سائر الأقطار، بما هيأ الله من الأسباب؛ يسير فوق الرياح، ويسمع في معظم البلدان في الغدو والرواح، يدخل خفي البيوت سائر الأوقات، ويسرح مع الناس في الفلوات، تسمع منها الدروس والخطب والعظات، تعلم بها الفتاوى في الأمور المهمات، فقد والله عظمت الحجة، واتضحت المحجة.

فاذكروا نعمة الله عليكم وجميل إحسانه إليكم، وتذكروا عظيم حقه عليكم، واستعملوا نعم الله في طاعته، ولا تجعلوها وسيلة لمعصيته ومخالفته، ولا تعرضوا عن ذكره فتذوقوا وبال أمره، بل اتبعوا هداه، واتصفوا بتقواه، وتفقهوا في دينه، وانتفعوا من تمكينه، وأنذروا قومكم لعلهم يحذرون. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.

في الحث على العناية بكتاب الله تعالى

الحمد لله الكريم المنان، الرحيم الرحمٰن، الذي علم القرآن، وجعله معجزة لرسوله محمد ﷺ مستمرة على تعاقب الزمان، أحمده سبحانه إذ حفظ كتابه من التبديل والزيادة والنقصان، ويسره للذكر حتى استظهره صغار الولدان، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين والناصح المبين الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وجعله حجة على الخلق أجمعين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق تقواه، وأطيعوه تفوزوا بمحبته وثوابه ورضاه، وتعلموا كلامه، وتدبروا كتابه، واتبعوا هداه تهتدوا لكل عمل صالح مبرور، وتنالوا من الله تعالى في الدارين عظيم الأجور ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾[١].

---

(١) سورة فاطر، الآيات: ٢٩ ـ ٣٢.

فهو المخرج من كل فتنة، والعصمة من كل ضلالة، والنجاة من كل هلكة، فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، ونوره المبين، وهو الذكر الحكيم، والصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يخلق من كثرة الرد، من علم علمه سبق، ومن قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به أُجِر، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

أيها المسلمون : اتلوا القرآن فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، ويبلغكم به رفيع الدرجات، فإنه هو والله معجزة الدهور، وآية العصور، وسفر السعادة، ومنهج العدالة، وقانون الفريضة، والداعي إلى كل فضيلة، والواقي عن الوقوع في الرذيلة، يقول تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

فلو تدبر المرء القرآن، واتبع ما فيه من الهدى والبيان، وعمل بما فيه من الوصايا الفصيحة، والنصائح الصحيحة، لصار سعيداً في نفسه وأهله، مسعداً لبلده ومجتمعه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

﴿فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1]. فاستبشروا بالقرآن وافرحوا به، وأحلوا حلاله وحرموا حرامه، واعملوا به واحترموه وعظموه وتدبروه، وتفكروا فيه واقتدوا به، واجعلوه لكم نوراً وهدى وتبصرة ودواءً وشفاء وموعظة وذكراً، وتخلقوا به ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه ولا تستكثروا به.

أيها المسلمون: صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**، وقال: **«الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»**، وقال: **«اقرؤوا القرآن فإنه يأتي شفيعاً لأهله يوم القيامة»**، وقال: **«ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»**. وقال: **«إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين»**.

إلى غير ذلك من النصوص الصحيحة والأخبار الصريحة التي تحث على تعلم كتاب الله، والعناية به وتدبره وفهمه، والعمل به، وبيانه والدعوة إليه، ومذاكرته وتعليمه لمن لا يعلمه؛ فإنه تبيان لكل شيء، ويهدي للتي هي أقوم، فأقبلوا على تعلمه وتلاوته وتدبره وفهمه، والعمل به، والتخلق به، والدعوة إليه، وتعليمه لمن لا يعلمه من أولادكم ونسائكم، وذويكم وإخوانكم ومن حولكم، ومن تلتقون به، وربوهم عليه، ورغبوهم على ذلك، وأدبوهم به حتى يألفوه ويحبوه ويحترموه ويعظموه، ويستأنسوا به ويقبلوا به ويدعوا

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ٥٧، ٥٨.

إليه، ويكونوا من حملة القرآن وأهله المعروفين به، فإن من قرأ القرآن وعمل به فقد أورثه الله كتابه، وذلك الذي اصطفاه الله تعالى واجتباه، ويا عظم ما من الخير آتاه ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾(١).

ولا يكون المرء عالماً حقًّا ولا موصوفاً بالعلم صدقاً حتى يكون ممن حفظ آيات الله علماً وعملاً، وتميز بالتخلق بها بين الورى ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾(٢). فإنه نور وهدى وموعظة وذكرى وتبيان وشفاء، فمن واظب على تلاوته وتأدب بما ينبغي له من أدب مخلصاً لله في ذلك نفعه الله بذلك، فاستضاء بنوره واهتدى بهداه، واتعظ بموعظته وانتفع بذكراه، واستصلح به قلبه، واستشفى، شفاه الله وهداه من أمراض القلوب وأدواء الصدور، يقول تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾(٣).

أيها المؤمنون: قال الإمام ابن القيم رحمه الله: من تأمل كلام الله وعظيم بيانه وجد ملكاً له الملك كله وله الحمد كله، أزمَّة الأمور كلها بيده، ينصح عباده ويدلهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم، ويرغبهم فيه ويحذرهم مما فيه هلاكهم، ويتعرف عليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه، فيذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويذكرهم بما أعد لهم من الكرامة إن أطاعوه وما أعد لهم من العقوبة إن عصوه، ويخبرهم عن فعله في

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٢.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٩.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

أوليائه وأعدائه وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء، ويضرب الأمثال وينوع الأدلة والبراهين، يدعو إلى الجنة دار النعيم والتكريم، ويذكر أوصافها وحسنها تشويقاً لأهل الإيمان، ويحذر من النار دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها زجراً عن الكفر والفسوق والعصيان، ويذكر عباده فقرهم إليه، وأنهم لا غنى لهم عنه طرفة عين. فإذا شهدت القلوب من القرآن ملكاً عظيماً رحيماً جواداً جميلاً هذا شأنه فكيف لا تحبه القلوب وتتنافس في القرب منه؟

فالقرآن أيها المؤمنون مذكر بالله مقرب إليه، فينبغي للمسلم أن يعنى بتعلمه ويكثر من تلاوته؛ لأنه النور والشفاء والرحمة والروح والهدى والذكر الحكيم والفرقان، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٩، ١٠.

كَذِبًا﴾[١]؛ أحمده سبحانه وصف القرآن بأنه ﴿بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾﴾[٢].

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا مضاد ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾[٣].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[٤]. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الراسخين في العلم بالكتاب، يقولون آمنا به كل من عند ربنا، وما يذكر إلا أولو الألباب.

أما بعد :

فيا أيها الناس : اتقوا الله تعالى واتلوا كتابه، واعملوا بطاعته وارجوا ثوابه، وتجنبوا معصيته تأمنوا عقابه، وداووا بكلامه أمراض قلوبكم، وزنوا به أعمالكم، فاجعلوه لكم إماماً ونوراً ولا تتخذوه مهجوراً.

عباد الله : إن كثيراً من الناس انشغلوا عن تعلم القرآن،

---

(١) سورة الكهف، الآيات: ١ ـ ٥.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٣.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٢٣.
(٤) سورة الجمعة، الآيات: ٢ ـ ٤.

فالكبار انشغلوا عنه بجمع الحطام، واستبدلوه بالقيل والقال، ونحو ذلك من رديء الكلام، الذي يفسد القلوب، ويعمي الأبصار، ويجلب على صاحبه في الدارين أنواع الخيبة والخسار. والصغار انشغلوا عنه بالدراسة النظامية التي غالباً لا تعطي للقرآن ما يستحق من الوقت والعناية، فضلاً عن أن تربيهم على أن يطلبوا به الأجر والهداية، وأن يتخلقوا به في سائر الأحيان، ويعلموه لمن لم يتعلمه من بني الإنسان، فكثير منهم لا يرفعون به رأساً، ولا يعتنون به درساً، ولا يهتمون له عند الامتحان، كغيره من العلوم التي هي من اختراع الإنسان، بل تعودوا أنهم به ناجحون، ولو كانوا به يتهاونون، وهذا مما أضعف أثره في النفوس، كما ضعف شأنه من بين الدروس، وبقية وقتهم مضيع في الشوارع وأماكن اللهو، مما أدَّى إلى جهلهم بالقرآن، وحرمانهم مما فيه من الهدى والبيان.

وكم من شخص يحمل أعلىٰ المؤهلات، ويشغل وظيفة كبيرة في المجتمعات، وهو لا يحسن تلاوة ما يحتاج إليه منه في الصلاة، فضلاً عن أن ينتفع بمواعظه وبيانه؛ مما جعله ثقيلاً على نفوس الكثيرين حتى لا يتلوه إلا في مناسبات معينة محدودة، وهم في ذلك غير مقبلين، فكان الأمر عند الكثيرين كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا ۝٣٠﴾[1].

فمنهم من هجر استماعه والإصغاء إليه والإيمان به، ومنهم من هجر العمل به والوقوف عند حدوده من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وإن قرأوه وجوده، ومنهم من هجر تحكيمه والتحاكم إليه في

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٠.

أصول الدين وفروعه واعتقد أنه لا يفيد اليقين، ولا يكفي وحده لصلاح أمور المسلمين، ومنهم من هجر تدبره، ومعرفة ما أراد منه من تكلم به، ومنهم من هجر الاستشفاء به والتداوي به من جميع أمراض القلوب والأبدان، فلم يبق منه عند هؤلاء إلا رسمه؛ تزين بنسخه المكتبات، وتعلق آياته على الجدران والواجهات، وتصنع منه الحجب والتمائم وغيرها، مما تؤكل به أموال العوام، ويشغل عما فيه من الحكم والأحكام.

عباد الله : إنه لابد من تعلم كتاب الله وحفظه، والعمل به وسؤال الله به، فإنه ذكر لكم وسوف تسألون. فتعلموه من أهله الراسخين في العلم، ولا يمنعن شيخاً كبر سنه ولا ذا فضل فضله ـ عن أن يأخذ العلم عمن هو دونه.

عباد الله : تعلموا كتاب الله واتلوه، وتفكروا فيه وتدبروه، وتخلقوا بأخلاقه، واعملوا به وادعوا إليه، واهتدوا واهدوا بهداه، ولا يمنعكم عن ذلك كبر السن أو الصنائع والمهن، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ٤٤.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الجمعة: فضلها وآدابها

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: توبوا إلى الله تعالى قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذين بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له والصدقة، ابتغاء وجهه في السر والعلانية؛ ترزقوا وتنصروا وتجبروا، واغتنموا لحظات الزمن وفرص الحياة بالأعمال الصالحات قبل مضيها وانصرامها؛ فإن الليالي والأيام خزائن تستودع فيها الأعمال، ومطايا الأحياء إلى الآجال، وستمضي إلى ربها شاهدة لكم أو عليكم بما استودعتموها، حافظة لما ائتمنتموها، معاتبة لكم إن ضيعتموها ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾(١).

ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة، والآخرة قد ارتحلت مقبلة، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل

---

(١) سورة الواقعة، الآيتان: ١٠، ١١.

ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل، فاستبقوا الخيرات، وأقبلوا على جليل الطاعات وعظيم القربات، وسابقوا إلى المغفرة والجنات، وتنافسوا في الفوز بأعلى الدرجات قبل الممات، فعن النبي ﷺ قال: «إذا مات ابن آدم فقد انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». وعنه ﷺ قال: ويتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله».

فالعمل أيها المسلمون هو الصاحب في السفر إلى الآخرة، والجليس في القبر دار الغربة، والشافع يوم الهول والكربة، فاعملوا صالحاً تجدوه، وأحسنوه تحمدوه، واتقوا ربكم واحذروه، فإنكم كادحون إليه كدحاً فملاقوه، فلا تغرنكم المهلة فما أسرع النقلة، فكأنكم بملائكة الموت وقد حضرت، وبصحف الملائكة وقد طويت، وبالروح وقد غرغرت، فيا لهول المفاجأة ويا لعظم المصيبة، فكم من محسن يود الزيادة من الإحسان، وكم من مسيء يود لو أمهل ليصلح عمله ويتوب إلى ربه من الفسوق والعصيان.

أيها المسلمون: اشكروا نعم الله تصبحوا من المحبوبين لديه، واغتنموا فرص الحياة فيما يقربكم إليه، وتذكروا حالكم حين الوقوف بين يديه، واعلموا أن يوم الجمعة من نعم الله العظيمة ومنحه الكريمة، التي اختص الله بها هذه الأمة المحمدية من بين الأمم، ومنحها مزاياه وفضائله؛ لما له سبحانه من جليل الحكم، فجعله تعالى عيداً لهذه الأمة المرحومة في كل أسبوع، يتنافس فيه العباد بأنواع العمل المشروع، ويفرحون بما ادّخر الله لهم فيه يوم لا ينفع

مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، فكم فيه من نفيس القربات، وكم فيه من أسباب تكفير السيئات وزيادة الحسنات، وكم فيه من موجبات رفعة الدرجات وإجابة الدعوات ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾[١].

أيها المسلمون : صح في الحديث عن نبيكم محمد ﷺ أنه قال: **«أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا؛ فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد؛ وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة؛ نحن الآخرون من أهل الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وأول من يدخل الجنة»**.

ولقد نبه ﷺ على شيء مما جرى في هذا اليوم العظيم من الحوادث المهمة وما اختصه الله به من الفضائل لهذه الأمة، ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها»**. وفي رواية أخرى: **«لا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»**.

وفيه أيضاً عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من اغتسل يوم الجمعة واستاك ومس من طيب ـ إن كان عنده ـ ولبس من أحسن ثيابه، ثم خرج حتى يأتي المسجد فلم يتخط رقاب الناس حتى ركع ما شاء الله أن يركع، ثم أنصت إذا خرج الإمام فلم يتكلم حتى يفرغ من صلاته؛ كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة التي قبلها»**. وفي

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

رواية: «من اغتسل ثم أتى الجمعة فصلى ما قدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه ـ غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلي يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه وأشار بيده يقللها». وروي عنه ﷺ أنه قال: «سيد الأيام يوم الجمعة، وأعظمها عند الله تعالى، وأعظم عند الله عزّ وجلّ من يوم الفطر ويوم الأضحى».

أيها المسلمون: ولئن كان التبكير إلى المساجد يوم الجمعة سنة مهجورة من قبل الكثيرين من الناس هذه الأزمان، فلقد كان نبيكم ﷺ يحث عليها ويرغب فيها ويعدها من جليل الصدقات ونفيس القربات، وأسباب السبق إلى المنازل العالية في الجنات، ففي الصحيح عنه ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح ـ يعني في الساعة الأولى ـ فكأنما قرب بدنة ـ أي تصدق بها لله ـ ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون».

وفي حديث آخر قال ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على باب المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجر ـ أي المبكر إلى الجمعة ـ كمثل الذي يهدي بدنة ثم كالذي يهدي بقرة ثم كبشاً ثم دجاجة ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم وجاءوا يستمعون الذكر».

أيها المسلمون : حق لمن قرأ هذين الحديثين أن ينكس الرأس خجلاً من الله وحياءً من الملائكة الكرام، وشفقة على عباد الله وخوفاً عليهم، إذ يفرط الكثير منهم بهذا الخير الكثير، فكم من الفرق الكبير بين من يهدي البدنة لتبكيره والذي لا يهدي شيئاً؛ لأنه جاء بعد ما طوت الملائكة صحفها.

وكم من جمعة تطوي الملائكة فيه صحفها ولم تسجل فيه من السابقين إلا القليل ومعظهم ممن هو كمهدي البيضة. فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما هذا الزهد في الأجر؟ وما هذه الغفلة عن أعظم الذخر؟ ألم يبلغهم قوله ﷺ: «**من غسل يوم الجمعة واغتسل، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ـ كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها**»؟ ألم يعلموا قوله ﷺ: «**لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا**»؟ ألم يعلموا أن الناس في المنازل في الجنة على قدر تبكيرهم إلى الجمعة؛ فزيادة الفضل وعظيم الأجر ومزيد القرب من الله تعالى بحسب نصيبهم من الصفوف.

أيها المسلمون : تنافسوا ـ رحمني الله وإياكم ـ في هذا الخير العظيم الذي جعله الله في يوم الجمعة لمن استن بسنة النبي ﷺ في ذلك، فنظفوا أبدانكم، والبسوا من أحسن ثيابكم، واستاكوا وتطيبوا من طيبكم، وبكروا إلى الجمعة بسكينة ووقار، وتنافسوا في الصف الأول ثم الذي يليه دون أن تؤذوا أحداً من إخوانكم، وصلوا من النوافل ما كتب الله لكم، وأكثروا ذكر الله وتلاوة كلامه وأنواع ذكره، واسألوه سبحانه المزيد من فضله، والتزموا الأدب النبوي والنهج

المحمدي ـ تكونوا من السابقين إلي الخيرات الفائزين بأعلى الدرجات ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾[١].
وإياكم والتخلف عن هذا الخير والتهاون بتلك السنن، ففي الصحيح: «لا يزال أقوام يتأخرون حتى يؤخرهم الله».

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ۝١٤﴾[٢].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.
(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ١٤.

في الحث على صلاة الجماعة

الحمد لله العلي الأعلى، الذي خلق فسوى، والذي قدَّر فهدى، وأمر بالمحافظة على الصلوات والصلاة الوسطى، أحمده سبحانه منَّ على المؤمنين بالهدى من بين العالمين، وميزهم من المنافقين بأنهم في صلاتهم خاشعون وعلى صلواتهم يحافظون، وجعل جزاءهم أنهم هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم الحكيم، الذي أخبر عن المجرمين أنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون، وأنهم يوم القيامة يسألون ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلين، وعن المنافقين بأنهم عن الصلاة يتكاسلون، وفيها يراءون، فيا ويلهم ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾[1].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم البريات، وخليل رب الأرض والسماوات، الذي جعلت قرة عينه بالصلاة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأئمة المهديين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون، واتقوه في هذه الصلوات الخمس، فإنكم عليها مؤتمنون وعنها مسئولون، وهي

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

أول ما عليه تحاسبون.

أيها المسلمون: عظموا هذه الصلوات، وأدوها فيما خصص ربكم لها من الأوقات؛ فإنها فريضة ربكم عليكم من فوق سبع سماوات، وآخر وصية إليكم من نبيكم ﷺ عند فراق هذه الحياة، وهي عمود الدين وبرهان الإيمان، وعنوان الاستقامة، وشرط قبول العمل، ومكيال الثواب، فمن وفاها حقها وفاه الله حقه، ومن طفف فيها فقد سمعتم ما قال الله في المطففين.

أيها المسلمون: روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: «من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ـ يعني في المساجد ـ فإن الله شرع لنبيكم محمد ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور، ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها إلى الصلاة حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف». وفي رواية: «لقد رأيتنا ـ يعني أصحاب محمد ﷺ ـ وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض إن كان المريض ليمشي بين الرجلين حتى يأتي الصلاة».

أيها المسلمون: هكذا يفيد هذا الأثر العظيم عن هذا الصحابي الكريم أن المحافظة على صلاة الجماعة في المساجد من سنن خير

البريات، وأن التخلف عنها من البدع المحدثات الموصوفة بأنها ضلالات، وأن التخلف عن الجماعة من شأن المنافقين في سائر الأوقات، إذ الجماعة في الصلاة من شعائر الإسلام الظاهرة، وما أجمل عواقبها في الدنيا والآخرة: مضاعفة للحسنات، ورفعة في الدرجات، وحطًّا للسيئات.

أيها المسلمون: ولعظم موقع الجماعة في الصلاة من الدين أمر الله تعالى بها عموم المؤمنين، فقال سبحانه في كتابه المبين: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾[١] وأمر بها سبحانه المؤمنين المجاهدين حتى ولو كانوا للعدو مواجهين، وما ذلك إلا لجميل عاقبتها على المصلين، وأيضاً فإن نبيكم ﷺ لم يعذر في التخلف عن الجماعة الأعمى الضرير الذي ليس له قائد يلائمه في المسير.

وإذا كان الأمر كذلك فكيف يستبيح كثير من الناس في هذا الزمان التخلف عن الصلاة في الجماعة في مساجدهم؟ قد عافاهم الله في أبدانهم، وآمنهم في أوطانهم، ووسع عليهم في أرزاقهم، أيبدلون نعمة الله عليهم كفراً أم يتخذون القرآن هجراً؟ ما الذي جعلهم يرغبون عن سنة المصطفى، وما كان عليه أصحابه أئمة الدين والهدى؟ أما يخشى أولئك الغافلون أن يكون النفاق قد تسلل إلى قلوبهم وهم لا يشعرون، فطبع الله على قلوبهم بسبب إعراضهم فهم لا يفقهون؟ ويا ويل المنافقين من سوء العاقبة في دار القرار، كيف لا وقد توعدهم الجبار بالدرك الأسفل من النار؟

فاستقبلوا معاشر المسلمين أمر ربكم بالسمع والطاعة، وحققوا

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٣.

سنة نبيكم ﷺ في المحافظة على الصلاة جماعة، سواء كنتم في الأوطان مقيمين، أو لابتغاء ربكم في الأرض ضاربين، حتى ولو كنتم مواجهين للعدو في صف القتال، أو في المرض الذي لا يشق معه السعي لصالح الأعمال، تكونوا لربكم تعالى متقين، ولنبيكم ﷺ مطيعين ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[(١)].

فإن في المحافظة على الجماعة رضى الرحمن، وإغاظة الشيطان، والبراءة من النفاق، والأمن من أهوال يوم التلاق، والأخذ بأسباب علو المقام، وصحبة الرفقة الكرام ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾[(٢)]. فلما تشابهت في الدنيا أعمالهم ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾[(٣)] أكرم الله في الآخرة جزاءهم ﴿ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾[(٤)]، وتابع عليهم البشارات ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[(٥)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النور، الآية: ٥٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٧.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٨.
(٥) سورة التوبة، الآيتان: ٢١، ٢٢.

التذكير بنعمة الله
والزجر عن التخلف عن الصلاة

الحمد لله الذي كتب الصلاة على المؤمنين وجعلها عمود الدين، وثانية فرائض رب العالمين، أحمده سبحانه على ما منَّ به من الهدى، وأشكره على سوابغ النعماء وجزيل العطاء، وأسأله أن يجعلنا من أئمة الحق والتقى.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، ذو العزة والجلال والعظمة والكمال، فرق بين المؤمنين الصادقين والمنافقين المجرمين في الأعمال والمآل، فجعل من صفة المؤمنين أنهم ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾[1]. وقال في المنافقين المجرمين: ﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2].

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكرم البريات، الذي جعلت قرة عينه بالصلاة، والذي أخبر أن أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء والفجر، ولو يعلمون ما فيهما ـ يعني من الأجر ـ لأتوهما ولو حبواً. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يحافظون

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٢ ـ ١١.

(٢) سورة المرسلات، الآيات: ٤٦ ـ ٤٩.

على الصلوات في سائر الأوقات، ويؤدونها في المساجد مع الجماعات، فما يتخلف عنها ـ في عهدهم ـ إلا منافق قد علم نفاقه، أو مريض يقعده مرضه، وإن كان المريض ليؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واذكروه فلا تنسوه، واشكروه ولا تكفروه، فكم أسبغ عليكم في عامكم المنصرم من نعمة، وصرف عنكم من نقمة، ونجاكم من فتنة، وعافاكم من بلية، ورد عنكم من كيد، وكف عنكم من يد، وكبت من حاسد، أما تم الأمان، أما هجرتم الأوطان، أما لذتم بالقرى النائية والوديان، فعرفتم قيمة النعمة وثمرة الطاعة؟ فعاد الله عليكم بجوده ولطفه، ونصركم بحوله وقوته، وحفظ عليكم سوابغ نعمائه، وأمدكم بجزيل عطائه، وجاد عليكم بأنواع آلائه، فأي نعم الله تنكرون، أم بأي آلائه تكذبون؟ ﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾[1]، ﴿وَٱشْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾[2]، ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[3]، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[4].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٩.
(٢) سورة النحل، الآية: ١١٤.
(٣) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ (١)، ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (٢)، ﴿فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾﴾ (٣).

عباد الله : لقد مضى هذا العام المنصرم بعظيم أهواله ومتنوع أحواله، ومضى شاهداً على ابن آدم فيما أودعه من أعماله، وهكذا تمر الأعوام وتمضي كأنها أضغاث أحلام، تتغير فيها الأحوال، وتنقضي فيها الآجال، وكثير من الناس أشباه الأنعام، يأكلون ويتمتعون ويعصون ويجاهرون، ويلهيهم الأمل فسوف يعلمون، كثير من الناس في غفلة عن شكر النعمة، والحذر من فجأة النقمة، والاستعداد للنقلة، بل في انهماك في الشهوات، وتضييع للصلاة وأنواع الطاعات، وتلهف على ما فات، أفكارهم تدور على جمع الحطام، ونفوسهم تتلوث بأوضار الذنوب والآثام، في سكرة الدنيا ونشوة الهدى، فليت شعري متى تستيقظ الضمائر؟ ومتى تستنير البصائر؟ فيكون همُّ أحدهم حاله يوم القدوم على الملك الحي القيوم، فيسأله عن الكبير والصغير، والجليل والحقير، حتى عن الفتيل والقطمير ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (٤).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.
(٤) سورة الحجر، الآيتان: ٩٢، ٩٣.

أيها المسلمون : إن من أعظم المنكرات الموبقات ـ التخلف عن الصلوات، وهجر المساجد والجماعات، فكم توعد الله أهلها ببليغ العقوبات إذا عصوا الله ورسوله جهاراً، واستكبروا عن السجود لله استكباراً، و﴿أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾[1].

وغيٌّ هذا: قيل إنه واد في جهنم شديد حره، بعيد قعره، عظيم هوله.

فيا ويحهم ما أعظم ما ارتكبوه، ويا ويلهم ما أسوأ ما اجترحوه في حق الرب الكريم المنعم العظيم، مع أنهم في غاية الافتقار إليه في حركات أنفاسهم، ودقات قلوبهم، ونبضات الدم في شرايينهم، فلو سكتت القلوب فمن يحركها؟ ولو انقطعت الأنفاس فمن يصلها؟ ولو تجمدت الدماء في العروق فمن يدفعها؟ ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾[2]. ويحه ما أغدره، فمن لهم غير الله لو كانوا يعقلون؟

أيها الإنسان الفقير : ويحك؛ تعصي ربك الملك الكبير الذي لا غنى لك إلا به، أم تتكبر عن طاعة جبار السماوات والأرض وأنت منقلب إليه؟ ابن آدم أيها الكسلان: يا من تسمع الأذان فلا تجيب داعي الرحمن، بل تبقى أسير الشيطان، في البيوت مع النساء والولدان، هل تذكرت ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ۝٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ۝٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ۝٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ۝٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ۝٣٠﴾[3]. ويحك؛ بأي وجه تلقى الله؟ أبوجه إبليس الذي استكبر وأبى فأبلس من كل خير في

---

(١) سورة مريم، الآية: ٥٩.

(٢) سورة عبس، الآية: ١٧.

(٣) سورة القيامة، الآيات: ٢٦ ـ ٣٠.

الدنيا والأخرى؟ أم بوجه فرعون الذي افتتن بالملك فتجبر وطغى؟ فأغرقه الله في الماء، وقال في عاقبته نص الكتاب: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ۝٤٦﴾[1].

أيها الناس: إن تارك الصلاة عاص للرحمـٰن ومتبع للشيطان، فإنه أول من امتنع عن السجود بنص القرآن، وسيحشر مع من يليق به في المنزلة ويساميه ممن سبقه ممن تمرد على ربه وباريه، فإن كان ملكاً أو رئيساً شغله ملكه ورئاسته، فسيحشر مع فرعون الذي شغله ملكه ورئاسته عن طاعة الرحمن الملك الديان، وإن كان وزيراً أو سكرتيراً لجبار، فشغلته وظيفته عن طاعة الواحد القهار، فسيحشر مع هامان وزير فرعون، ويا هول ما سيلاقون، وإن كان غنيًّا أبطره غناه فلم يجب داعي الله، فسيحشر مع قارون تاجر بني إسرائيل الذي شغله غناه عن طاعة ربه ومولاه، فخسف الله به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم يلقاه، وسيشقى بماله فلا تسأل عن حاله، وإن كان صاحب بيع وشراء ألهاه الصفق في الأسواق، فتخلف عن الصلاة حتى اسود قلبه بالكفر والنفاق، فسيحشر مع أبي بن خلف تاجر أهل مكة الذي أهلكه الله شر هلكة، ولا تسأل عن منزله من النار فهو في شر دركة.

أيها المسلمون: شتان بين المؤمنين المصلين المفلحين الذين يحشرون إلى الرحمـٰن وفداً ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[2] وبين المنافقين

---

(١) سورة غافر، الآية: ٤٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٦٩.

المجرمين الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون، وسيحشرون مع أكابر المجرمين الملعونين في الدارين، مع فرعون وهامان وقارون وأكابر مشركي قريش، غداً يُساقون إلى جهنم ورداً، وتقطع لهم ثياب من نار ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٢٢﴾[1].

يا من تدعون إلى السجود فلا تجيبون وأنتم سالمون، تذكروا حالكم يوم القيامة في العرصات، حين يأتي الله في هذه الأمة من كل الفئات، فيسجد له عباده المؤمنون المصلون، الذين كانوا على صلواتهم يحافظون، وفي سائر الأحوال والأوقات إلى الخيرات يسارعون، وأما المنافقون الذين من شأنهم التخلف عن الصلوات، وهجروا المساجد والجماعات، فيذهب أحدهم كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً، أي لا ينحني ظهره فيستطيع السجود، وهذا ما أشار الله إليه، يقول الكريم: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾[2].

وتذكروا حين ينصب الصراط على جهنم للمرور، وهي من تحته تغلي وتفور، لها تغيظ وزفير، والصراط دحض ومزلة، وعليه كلاليب وحسكة، تخطف من أمرت بخطفه، وهو ظلمة مدلهمة، ويعطى كل أحد نوراً بحسب عمله في الدنيا.

---

(١) سورة الحج، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.
(٢) سورة القلم، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

فأما المؤمنون المصلون فنورهم يضيء لهم الطريق، ويثبت على الصراط لما سبق لهم من التوفيق، ويقيه حر النار، حتى تقول جهنم لأحدهم: يا عبدالله! جُزْ فقد أطفأ نورك حري.

وأما المضيعون للصلاة المتبعون للشهوات، فيعطون نوراً بقدر حظهم من الإيمان والصلاة، فإذا مروا على الصراط ما شاء الله انطفأت الأنوار، وتحققت الأخطار، وتحتهم جهنم وبئس القرار، فينادون أهل الإيمان يطلبون منهم أن يسعفوهم بشيء من الأنوار، فلا يسعفونهم لأن كل أحد مشغول بنفسه ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾[1].

فحافظوا عباد الله على الصلاة، وأدوها في المساجد مع الجماعة؛ فإنها نور للعبد في الدنيا وفي الآخرة، وذكر له في الجنة، قال ﷺ: «بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»، وفي الحديث: «والصلاة نور، والصدقة برهان».

أيها المسلمون: ويوم القيامة يتساءل أصحاب اليمين وهم في جنات النعيم عن المجرمين، فيريهم الله إياهم في دركات الجحيم،

---

(١) سورة الحديد، الآيات: ١٢ ـ ١٥.

فيسألونهم ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ۝ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ۝ ﴾[(١)]. فكفى بهذا وعيداً وتهديداً وزجراً أكيداً للمتخلفين عن الصلوات، المفارقين للجماعات، وأنهم قد أخذوا بعمل يوصلهم إلى سقر وبئس المستقر.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وحافظوا على فرائض ربكم، وأدوا الصلاة جماعة مع إخوانكم في بيوت الله التي أذن الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمه، ينجز لكم من الخير ما وعدكم، ويكفكم شر وهول ما ينتظركم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ ﴾[(٢)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة المدثر، الآيتان: ٤٢، ٤٣.

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٩.

الصيام والتذكير بما ينبغي فيه من الآداب والأحكام

الحمد لله الرحيم الرحمن، المعروف بالجود العميم والفضل العظيم وسابغ الإحسان، أحمده سبحانه على نعمه العظيمة الغزيرة الحسان، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، الذي جعل صيام رمضان أحد أركان الإسلام، وضاعف فيه الأجور لأهل الصيام والقيام.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أسوة المؤمنين، وإمام المتقين، كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، حين يأتيه جبريل عليه السلام فيدارسه القرآن، فَلَرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى، وأئمة الهدى، الذين كانوا يسارعون في الخيرات، ويتنافسون في جليل الطاعات، وعظيم القربات، فكانوا أعظم الناس إقبالاً على الخير، وأشدهم اجتهاداً فيه، وملازمة لتلاوة القرآن، وأعظمهم عناية بحفظ الصيام، حتى كانوا يتفرغون من كثير من مشاغل الدنيا، ويلزمون المساجد، مشتغلين بتلاوة القرآن، ومعرضين عما يخدش الصيام، يقولون: «نحفظ صومنا ولا نؤذي أحداً».

أما بعد :

فيا أيها الناس : اتقوا ربكم تعالى وأطيعوه، وعظموا نعمه واشكروه، واجتهدوا في طاعته واعلموا أنكم لن تحصوه ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى

ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[(١)]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[(٢)].

أيها المؤمنون : لا يخفى أنكم تستقبلون عما قريب ضيفاً كريماً، وموسماً عظيماً، هو شهر رمضان المبارك، بلَّغنا الله جميعاً إياه، ووفقنا للتقرب إليه فيه بما يحبه ويرضاه، وحشرنا في زمرة السابقين المقربين أئمة المتقين فإنه كريم رؤوف رحيم.

عباد الله : روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**أتاكم رمضان شهر بركة، يغشاكم الله فيه؛ فينزل الرحمة، ويحط الخطايا، ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ويباهي بكم ملائكته؛ فأروا الله من أنفسكم خيراً، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله**».

وحدث سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال: خطبنا رسول الله ﷺ في آخر يوم من شعبان فقال: «**يا أيها الناس! قد أظلكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً، من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدى فريضة، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وشهر المواساة، وشهر يُزاد فيه الرزق، من فطّر فيه صائماً كان مغفرة لذنوبه، وعتق رقبته من النار، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء**». قالوا: يا رسول الله! ليس كلنا يجد ما يفطر به الصائم. قال رسول الله ﷺ: «**يعطي الله هذا الثواب لمن فطر طائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة**

---

(١) سورة النور، الآية: ٣١.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٢.

ماء، ومن سقى صائماً سقاه الله عز وجل من حوضي شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة. وهو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار، فاستكثروا فيه من أربع خصال، خصلتين ترضون بهما ربكم، وخصلتين لا غنى بكم عنهما: أما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة أن لا إله إلا الله، وتستغفرونه، وأما الخصلتان اللتان لا غنى بكم عنهما فتسألون الله الجنة، وتعوذون به من النار».

أيها المؤمنون : وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، و«من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقال: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه»، وقال: «إنه من قام مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة». كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «الصيام جنة، فإذا كان يوم صيام أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم». وشدد ﷺ في ضرورة حفظ الصيام مما يخدشه أو يفسده حتى قال: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه».

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمأثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء».

معاشر المؤمنين : هكذا تحدد هذه الآثار ما ينبغي أن يكون عليه سلوك المؤمن الصائم في رمضان وهي:

أولاً: أن الواجب على المؤمن صيام نهار رمضان، مستعيناً على ذلك بوجبة السحور قبيل طلوع الفجر، فإن السحور بركة،

ولا يسمى الطعام سحوراً إلا إذا كان وقت السحر، مع الحرص على تعجيل الفطر إذا تحقق الغروب، فإنه لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور.

ثانياً: البعد عن كل ما من شأنه أن يجرح الصيام أو يفسده، من فاحش الأقوال، ومحرم الأعمال، وأنواع المفطرات والوسائل الموصلة إلى ذلك.

ثالثاً: قيام ما تيسر من الليل، ولاسيما صلاة التراويح مع الإمام حتى ينصرف، وكذلك يقوم ما تيسر له من آخر الليل، وليستعن على ذلك بنوم القيلولة أو ما يتيسر من النهار.

رابعاً: الحذر من سهر الليل على غير طاعة، فإنه ينزع بركة الوقت، ويفوت الخير، ويجر إلى الوقوع في الإثم.

خامساً: عمارة الوقت بجليل الطاعات وعظيم القربات؛ من تلاوة القرآن والاستغفار والذكر والدعاء، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإعانة بالقول والفعل والحال على ذلك، ليكون المرء صاحب سنة حسنة، وإماماً في الخير، يُقتدى بسبقه وحرصه ليكون له أجره ومثل أجر من اقتدى به وانتفع به.

سادساً: الحرص على تفطير الصوام، وسحورهم ومواساتهم وإعانتهم على كل خير، وتحمل أذاهم، وكف الأذى، وبذل المستطاع عنهم، من وجوه الإحسان إليهم، ابتغاء وجه الله تعالى، وطمعاً في واسع مغفرته، وعظيم إحسانه، وجليل إنعامه وإكرامه.

فاتقوا الله عباد الله، واحذروا موجبات الشقاء والحرمان، وكل

ما يوصل إلى النار، وتعرضوا لأسباب رحمة الله في هذا الشهر، والتي لا يحصرها بيان، فإن الله يعطي فيه الكثير من الأجر على القليل من العمل، ويتجاوز فيه سبحانه عن عظيم التقصير وكثير الزلل، لمن صدق في التوبة وسارع في الأوبة، وناهيكم بشهر تضاعف فيه الأعمال الصالحة، وتضاعف فيه الأجور، فهنيئاً للصائمين المتقين، بالتجارة الرابحة، وعظيم العفو والصفح والمسامحة. فأعدوا العدة لصيامه، وقيام لياليه، والتنافس في عمل البر وأنواع الخير فيه، وتعرضوا لنفحات الرب الكريم في سائر أوقاته، فرُب ساعة وفق لها العبد فاغتنمها في رضوان رب العالمين، فارتفع بها إلى منازل المقربين ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

في الاجتهاد بالخير في رمضان

الحمد لله الذي بلَّغنا رمضان، ويسَّر لنا ما شرع فيه من خصال الإيمان، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، جعل رمضان موسماً من مواسم الخير، تفتح فيه أبواب الرحمة والجنة، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتصفد فيه الشياطين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الصائمين، وأشرف القائمين، وإمام المتقين المحسنين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم العظيم، واشكروه إذ بلَّغكم هذا الشهر الكريم، وسلوه سبحانه أن يحبب إليكم فعل الخيرات، وأن يعينكم على أداء ما شرع لكم من الطاعات الواجبات، والمستحبات، وعلى ترك المحرمات والمشتبهات؛ لتكونوا من المؤمنين حقًّا، والمتقين صدقاً، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ ﴾[1].

وقال تعالى في صفة المتقين الذين أعد لهم الجنة: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢ ـ ٤.

ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[1].

فالمقبلون على كتاب الله، المشتغلون بذكره، المطمئنون إليه، المتوكلون عليه، المحافظون على الصلوات في المساجد مع الجماعات، المنفقون ابتغاء وجه الله في سائر الأوقات ـ هم المحققون للإيمان، الفائزون عند الله بالمغفرة والرزق الكريم، في أعلى درجات الجنان، قد أحسنوا في عبادة الله في فعل أمهات الطاعات الواجبات والمستحبات، وأحسنوا إلى عباد الله في بذل المعروف، وكظم الغيظ، وكف الأذى، وتحمل الأذى ممن يبدر منه الأذى، طمعاً في أن يكونوا من المحسنين المحبوبين عند رب العالمين أرحم الراحمين.

وهم أشد على أنفسهم منهم على غيرهم، فينهونها عن أهوائها، ويمنعونها من ظلمها وأخطائها، فهم معها في جهاد خوفاً من رب العباد، وطمعاً في عفوه ومغفرته ورحمته وجوده في الدنيا ويوم المعاد، فإذا تبين لهم أنهم قد فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم فيما دون ذلك ذكروا الله، فخافوا من عواقب مجاهرته بالمعصية، والإصرار أمامه على الخطيئة، فاستغفروا لذنوبهم؛ لعلمهم أنه لا يغفر الذنوب إلا الله، ولا مفر منه إلا إليه، فانكفوا عن المعصية وأظهروا لله الندم عليها، وعزموا على عدم العودة إليها، يعلم الله

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ١٣٤ ـ ١٣٦.

ذلك من قلوبهم، فحلوا عقدة الإصرار، ولزموا الاستغفار، وأتبعوا السيئات بالحسنات، طمعاً أن يبدل الله سيئاتهم حسنات، وكان الله غفوراً رحيماً؛ فحقق سبحانه لهم المغفرة وأثابهم الجنة.

أيها المسلمون : إن الصيام يحقق للعبد التقوى، ويجعله من ذوي الإحسان، فإنه يجتمع للصائم فيه الإقبال على الطاعات، والبعد عن المعاصي والسيئات، والإحسان إلى الناس بتحمل الأذى وكف الأذى، وبذل الندى، فيفوز بجميل العقبى.

أيها الصائمون : اعمروا أوقاتكم بالأعمال الصالحة، فإنها هي التجارة الرابحة، وفرصتها اليوم لكم سانحة، فقد أعطاكم الله المهلة من الزمان، ومكنكم من العمل، وبلغكم رمضان، ورغبكم في خصال الإيمان، فلا تضيعوا هذا الشهر بالسهر في غير طائل، أو فيما يمكن استدراكه في غيره، وتفويت خير النهار بالنوم والكسل، والغفلة عن صالح العمل.

أيها الصائمون : احفظوا صيامكم، فلا تعرضوه لما يفسده أو يخل به، أو يذهب أجره من الأعمال المحرمة والأقوال الآثمة؛ فإن كثيرين من الناس يضيعون أوقاته وشريف لحظاته بمشاهدة سيء الأفلام، وسماع الأغاني وغيرها من محرم الكلام، ومع ذلك يباشرون الغيبة، ولا يتورعون من السعي في النميمة، ومنهم الذين يشهدون الزور، ويرتكبون ـ والله يراهم ـ عظائم الأمور، وما أكثر الذين يقبضون أيديهم عن بذل المعروف ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾(١).

---

(١) سورة الحشر، الآية: ١٩.

فاتقوا الله عباد الله في صيامكم، واشغلوا أوقاته فيما ينفعكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، اجعلوا هذا الشهر الكريم منطلقاً لكم من أسر الشهوات، ولجاماً لكم عن الوقوع في المحرمات والمشتبهات، وانتصاراً لكم على النفس الأمارة بالسوء والشياطين الذين يزينون لكم سيء العمل لأجل أن تعصوا الله عز وجل، واعلموا أن الأعمار بمضي الأوقات تطوى، والآجال تدنى، ورب ذي أمل بعيد ومباشر للمعصية عنيد، وملك الموت قد طوى صحيفته، ونظر في وجهه وتهيأ لقبض روحه، فليس لكم من أعماركم إلا ما مضى في طاعة الله، وما سواه فهو حسرة وندامة يوم القيامة، فاشكروا الله إذ فسح في الآجال، ومكنكم من صالح الأعمال، ولا تضيعوا الأوقات بالغفلة والتفريط والإهمال، وزينوا صيامكم وقيامكم وتلاوتكم للقرآن بالجود والمال ابتغاء وجه الله، فإن المال عارية مستردة، وليس لكم منها إلا ما أكلتم فأفنيتم، أو لبستم فأبليتم، أو تصدقتم فأمضيتم، وما سوى ذلك فماضٍ عنكم، أو أنتم ماضون، فإن لم يترككم ستتركونه، فانتفعوا منه ما دام بين أيديكم ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

في فضل الصدقة

الحمد لله الذي يجزي المتصدقين، ويخلف على المنفقين، ويحب المحسنين، ولا يضيع أجر المؤمنين، أحمده سبحانه على نعمه العظيمة، وآلائه الجسيمة، وصفاته الكريمة، وأسأله أن يجعل عملنا في الخير ديمة.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، هو الرب العظيم، والإلـه الرحيم، الجواد المحسن الكريم، خزائنه ملأى، ويداه سحاء الليل والنهار لا تغيظها نفقة، أفرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم ينقص مما عنده شيئاً، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، فاسألوه من فضله، فإنه يغفر الذنب، ويقبل التوب، ويزحزح عن النار، ويورث الجنة، ويحل الرضوان، وما كان عطاء ربك محظوراً.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، والرسول الكريم، كان أجود الناس، وأكرم الناس، فكان أجود بالخير من الريح المرسلة، وما سُئِلَ شيئاً قط فقال لا؛ بل كان يقول: «**أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقلالاً**».

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يسارعون في الخيرات، ويتنافسون في المبرات، فكانوا ينفقون مما يحبون، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون.

أما بعد :

فيا أيها الناس : توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له، وكثرة الصدقة في السر والعلانية، تُرزقوا وتُنصروا وتجبروا، فهل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم؟ فابتغوا بأموالكم الضعفاء والمساكين والمحتاجين، فارزقوهم ترزقوا، وارحموهم تُرحموا، وتاجروا مع ربكم ببرهم والإحسان إليهم؛ فإنها تجارة لن تبور، فقد ذهب أهل الدثور ـ أي الأموال ـ من المؤمنين بالأجور والدرجات العلا والنعيم المقيم، يصلون ويصومون ويتصدقون بفضول أموالهم، وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها**» ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[1]. اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى والرضوان والفردوس الأعلى.

أيها المسلمون : صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**». العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة، وقال ﷺ: «**الأيدي ثلاثة: فيد الله العليا، ويد المعطي التي تليها، ويد السائل السفلى، فأعط الفضل ولا تعجز عن نفسك**». وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تصدّق بعدل تمرة من كسب طيب ـ ولا يقبل الله إلا الطيب ـ فإن الله يقبلها**

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه ـ أي مهره ـ حتى تكون مثل الجبل».

وعند الإمام الشافعي بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيباً ولا يصعد إلى السماء إلا طيب ـ إلا كأنما يضعها في يد الرحمن فيربيها له كما يربي أحدكم فلوه حتى أن اللقمة لتأتي يوم القيامة وإنها لمثل الجبل العظيم». ثم قرأ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾[1].

أيها المؤمنون: أنفقوا من مال الله الذي آتاكم وجعلكم مستخلفين فيه، لينظر كيف تعملون، فأنفقوا من طيبات ما كسبتم، فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون، فلن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون، وما تنفقوا من خير فلأنفسكم، وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله، وما تنفقوا من خير يُوَفَّ إليكم وأنتم لا تُظلمون، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾[2]، ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[3].

وفي صحيح مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٧٤.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

قال رسول الله ﷺ: «ما نقص مال من صدقة». وفيه أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا بن آدم! إنك إن تبذل الفضل خير لك، وإن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف». وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أَنْفِقْ يا ابن آدم أُنفق عليك».

عباد الله : ثبت في الصحيحين عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر النار فتعوذ منها وأشاح بوجهه ثلاث مرات، ثم قال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة». ففي هذا الحديث أن الصدقة تقي من النار ولو كانت تمرة واحدة أو بعض تمرة، أو كلمة طيبة إذا لم يجد الرجل أكثر منها.

وقد رويت آثار عن النبي ﷺ في فضل الصدقة منها: «أنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وتسد سبعين باباً من السوء، وأن البلاء لا يتخطى الصدقة، وأنها تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء، وأنها لتطفئ عن أهلها حر القبور».

وصح عنه ﷺ قوله: «كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس». فكان أبو الخير راوي الحديث لا يخطئه يوم لا يتصدق فيه بشيء ولو كعكة أو بصلة، وروي عنه ﷺ أنه قال: «إن الصدقة لتطفئ غضب الرب». وقال إنها حجاب من النار لمن احتسبها يبتغي بها وجه الله عز وجل، وقال: «تصدقوا فإن الصدقة فكاك من النار».

فتصدقوا أيها المؤمنون بما تجدون؛ فإن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى نفس من المتصدق، ولو كان جهد مقل؛ قال ﷺ:

«اتقوا النار ولو بشق تمرة». وقال لامرأة من الأنصار سألته عن المسكين يقف ببابها لا تجد ما تعطيه: «إن لم تجدي إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه في يده». وفي الصحيحين قال ﷺ: «يا نساء المسلمين! لا تحقرنَّ جارة لجارتها ولو فرسن شاة». وفيهما أيضاً قال ﷺ: «ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه». فبادروا بالصدقة قبل أن يحال بينكم وبينها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإلـٰه الأولين والآخرين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي الأمين، والنذير المبين، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه والتابعين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله حق التقوى، وكونوا ممن يؤتي ماله يتزكى، وكونوا سباقين إلى الخيرات وأفضل الصدقات، فإنه: «من

---

(١) سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١.

سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء». فمن سبق إلى الصدقة إذا دعي إليها، أو رأى السائل، كان له مثل أجر كل من تصدق بعده.

واعلموا أن أعظم الصدقة أجراً أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان، واعلموا أن الله ليدخل بلقمة الخبز، وقبضة التمر، ومثلهما مما ينتفع به المسكين ـ ثلاثة الجنة ـ رب البيت الآمر به، والزوجة تصلحه، والخادم الذي يناوله المسكين، فمن سألكم بالله فأعطوه، ومن دعاكم فأجيبوه، فإن للسائل حقًّا ولو جاء على فرس، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله.

واعلموا أن أحق من تصدقتم عليهم أقاربكم الذين لا تلزمكم نفقاتهم؛ فإن الصدقة على ذي القرابة يضاعف أجرها مرتين؛ فإنها على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة، وهكذا النفقات يبدأ الإنسان أولاً بنفسه، ثم بمن يعول، قال ﷺ: «ابدأ بمن تعول: أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدنان أدناك».

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله! ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

التذكرة فيما بعد رمضان

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

أيها المسلمون: اتقوا الله ربكم، فإنه عفو غفور جواد شكور، وهو وحده مصرف الشهور، ومقدِّر المقدور، يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، وهو عليم بذات الصدور. وقد جعل لكل شيء أسباباً، ولكل أجل كتاباً، ولكل عمل حساباً، وما ربك بغافل عما تعملون، وجعل الدنيا سوقاً يغدو إليها الناس ويروحون منها، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، وإنما يظهر الفرقان ويتجلى الربح من الخسران ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠﴾[1].

أيها المسلمون: تذكروا أن الأيام أجزاء من العمر، ومراحل في

---

(١) سورة التغابن، الآيتان: ٩، ١٠.

الطريق إلى المستقر، تفنونها يوماً بعد آخر، ومرحلة تلو الأخرى، ومضيها في الحقيقة استنفاذ للأعمار، واستكمال للآثار، وقرب من الآجال، وغلق لخزائن الأعمال، إلى حين الوقوف بين يدي الكبير المتعال ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[1].

فاتقوا الله عباد الله في سائر أيامكم، وراقبوه في جميع لحظاتكم، وتقربوا إليه بصالح أعمالكم، والتوبة إليه من معاصيكم وسيئاتكم.

أيها المسلمون : في الأيام القليلة الماضية كنتم في شهر رمضان شهر البركات والخيرات، شهر مضاعفة الأعمال والحسنات، تصومون نهاره، وتقومون ما تيسر من ليله، وتتقربون إلى ربكم سبحانه بفعل الطاعات، وهجر المباح من الشهوات، وترك السيئات الموبقات، ثم مضت تلك الأيام وقطعتم بها مرحلة من مراحل العمر، والعمل بالختام، فمن أحسن فليحمد الله وليواصل الإحسان، ومن أساء فليتب إلى الله وليصلح العمل ما دام في وقت الإمكان.

واعلموا أن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه، وإن الله تعالى إذا أراد بعبده الخير فتح له بين يدي موته باب عمل صالح يهديه إليه، وييسره عليه، ويحببه إليه، ثم يتوفاه عليه، وكل امرئ يبعث على ما مات عليه، فالزموا ما هداكم الله له من العمل الصالح، واحذروا الرجوع إلى المنكرات والقبائح، فليس للمؤمن منتهى من العبادة دون الموت، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

فنهج الهدى لا يتحدد بزمان، وعبادة الرب وطاعته ليست مقصورة على رمضان، بل لا ينقطع مؤمن من صالح العمل إلا بحلول الأجل؛ فإن في استدامة الطاعة وامتداد زمانها نعيماً للصالحين، وقرة أعين المؤمنين، وتحقيقاً لأمل المحسنين، يعمرون بها الزمان ويملأون لحظاته بما تيسر لهم من خصال الإيمان التي يثقل بها الميزان، ويتجمل بها الديوان، وفي الحديث: «خير الناس من طال عمره وحسن عمله». وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمنَّ أحدكم الموت إما محسناً فلعله يزداد وإما مسيئاً فلعله يستعتب». وفي رواية لمسلم عنه عن رسول الله ﷺ قال: «لا يتمن أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً».

أيها المسلمون: ألا وإن لقبول العمل علامات، وللكذب في التوبة والإنابة أمارات، فمن علامة قبول الحسنة فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وتكميلاً لها، وتوطيناً للنفس عليها، حتى تصبح من سجاياها وكرم خصالها، وأتبعوا السيئات بالحسنات تكن كفارة لها، ووقاية من خطرها وضررها ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[1]. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». وفي لفظ: «وإذا أسأت فأحسن». وقال ﷺ: «من حلف

(١) سورة هود، الآية: ١١٤.

باللات والعزى فليقل لا إلـه إلا الله». أي لتكن كفارة لحلفه بغير الله.

وإن الله تعالى قد شرع لكم بعد رمضان أعمالاً صالحة تكن تتميماً لأعمالكم، وقرباً لكم عند مليككم، وعلامة على قبول أعمالكم، ففي صحيح مسلم عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر». وكان ﷺ يصوم الاثنين والخميس ويقول: «تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم». وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر كله». وقال ﷺ: «أيها الناس! أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام ـ تدخلوا الجنة بسلام».

فاغتنموا هذه الأعمال العظيمة وداوموا عليها؛ فإن عمل نبيكم ﷺ كان ديمة، واسألوا الله من فضله فإنه ذو الفضل العظيم، وفقني الله وإياكم لما يحب ويرضى، وسلك بنا سبيل أولي التقى، وثبتنا على الحق في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

(١) سورة الصافات، الآيات: ١٨٠ ـ ١٨٢.

يوم عاشوراء

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده سبحانه على ما اختص به بعض الأوقات من مزيد الفضل والحرمة، وأشكره على ما أسبغ علينا من نعمة، وصرف عنا من نقمة، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له الملك الكبير، المتفرد بالخلق والتدبير، ناصر أوليائه، ومهلك أعدائه، فنعم المولى ونعم النصير، لا إلـٰه إلا هو له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام المتقين، وخيرة الله من خلقه أجمعين، وسيد الأنبياء والمرسلين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واذكروا آلاءه لعلكم تفلحون، واذكروا أيام الله بنصره لرسله وأتباعهم المؤمنين لعلكم تشكرون، وتذكروا خذلانه تعالى لأعدائه ومن والاهم لعلكم تعتبرون وتحذرون.

أيها المسلمون: إن انتصار الله تعالى للحق وجنده المؤمنين، وانتقامه سبحانه من الباطل وحزبه المستكبرين في كل زمان ومكان ـ هو نصر للحق وذلة للباطل، وغيظ للمتكبر، ونعمة من أجلِّ نعم الله تبارك وتعالى تتجدد على المؤمنين على مر الزمان، وفي كل مكان، يقوى بذكراها الإيمان، ويتمكن اليقين بنصر الله تعالى لعباده المؤمنين

ما نصروه وصبروا، واتقوه وجاهدوا، وأحسنوا وتوكلوا، وحذروا من أعدائهم وتميزوا، ولم تأخذهم في الله لومة لائم مهما استحكمت من الشدائد الحلقات، وتراكمت من الباطل الظلمات، ومهما كان له ولأهله من صولات وجولات، فإن الله تعالى قد وعد المؤمنين الصادقين، وبشرهم بالنصر المبين في محكم الآيات، كقوله تعالى: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[(٢)]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾[(٣)].

أيها المسلمون: وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، والتي وقعت في هذا الشهر الحرام ـ عبرة يعتبر بها كل ذي عقل سليم، ويوقن أن النصر للمؤمنين، ولو بعد حين، وأن العاقبة أبداً للمتقين، فإن الله تعالى نصر موسى عليه السلام وأتباعه المؤمنين، إذ كانوا على الحق المبين، على فرعون اللعين وملئه المستكبرين المتجبرين، وذلك ما أشار الله إليه في عدد من قصص القرآن عن موسى وفرعون كقوله سبحانه في سورة طه قال ـ يعني فرعون لموسى: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ ـ يعني موسى لفرعون ـ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ ـ يعني يوم عاشوراء ـ وَأَن

---

(١) سورة غافر، الآية: ٥١.
(٢) سورة الصافات، الآية: ١٧٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٠٥، ١٠٦.

يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾[1] .

ومضى سبحانه في ذكر القصة حتى يبين نتيجة المعركة وثمرة الصراع بقوله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾[2] .

فنصر الله تعالى كليمه موسى ومن معه من جند الهدى على فرعون الذي طغى وبغى، حتى قال: أنا ربكم الأعلى، نصر الله تعالى موسى بعصاه حيث انقلبت حية عظمى هائلة تسعى، فجعلت تتبع عصي السحرة وحبالهم التي جاءوا بها نصرة للباطل، وكيداً للحق، وفتنة للتناس، فلم تترك شيئاً مما جاءوا به يمكرون، إلا تلقفته وابتلعته والناس ينظرون، بقدرة الله الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، ورأى الناس ذلك عياناً جهرة نهاراً ضحوة، فقامت المعجزة واتضح البرهان، وظهر الحق وبطل كيد أهل الشرك والكفران، والعناد والبهتان، فآمن السحرة وكانوا فيما قيل ثمانين ألفاً، وانتصر موسى عليه السلام وجنده أهل الإيمان، وذل فرعون وقلب الله كيده عليه، وغلبه غلباً لم يشهد العالم مثله، فالحمد لله رب العالمين الذي صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، فلا إلـٰه غيره.

أيها المسلمون : وفي يوم عاشوراء من هذا الشهر نصر الله تعالى موسى والمؤمنين معه مرة أخرى في آية كبرى، كما بين سبحانه ذلك في آيات على مر الزمان تتلى، قال تعالى: ﴿ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا

---

(١) سورة طه، الآيات: ٥٧ ـ ٦٠.
(٢) سورة طه، الآيات: ٦٧ ـ ٧٠.

لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾[1].

وذلك أن الله سبحانه أمر موسى أن يتوجه بقومه إلى حيث أمره الله، فعند ذلك استنفر فرعون جنده لعنهم الله، وساروا في أثر موسى ومن معه من المؤمنين؛ يريدون إبادتهم والقضاء عليهم عن آخرهم، غير مستثنين، فانتهى موسى عليه السلام بمن معه من المؤمنين إلى البحر، ولحق بهم فرعون وجنده، وهنالك تزايد قلق قوم موسى واشتد خوفهم من عدوهم، فالعدو خلفهم والبحر أمامهم، ولا وسيلة لهم لمجاوزته، فعندئذ قالوا لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾﴾، فأجابهم إجابة المتوكل على ربه الواثق بنصره: ﴿قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾. فعندئذ أوحى الله إلى موسى ﴿أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾[2]. فصار البحر فيما ذكر أهل التفسير اثني عشر طريقاً لكل سبط من بني إسرائيل طريق، وبعث الله ريحاً على قعر البحر فلفحته فصار يبساً كوجه الأرض، وأمر الله موسى وقومه أن يسيروا عليه، ودخل فرعون وجنوده خلفهم على الطريق مطمئنين إليه، فلما تتام أصحاب موسى خارجين وتتام فرعون وجنده داخلين اضطم عليهم البحر فأغرقهم الله في الماء الذي كانوا به يفتخرون، بعد أن أنجى الله موسى وقومه، وأمنهم مما كانوا يحذرون، قال تعالى: ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٢ ـ ٦٢.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٦٣.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧﴾[1]. فما أعظم المعجزة وما أجل العبرة لكن لمن ألقى السمع وهو شهيد، فاللهم لك الحمد على عظيم نصرك لأوليائك، وشديد انتقامك من أعدائك، ولك الشكر على جزيل جودك وعظيم عطائك لصالح عبادك.

أيها الناس: إن إهلاك الله تعالى لفرعون الطاغية اللعين، ومن تبعه من ملئه المستكبرين، وإنجاءه سبحانه موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين نعمة تذكر فتشكر، وموعظة لكل من طغى وتجبر، فالحق منصور، والباطل مبتور ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝٤٨ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ۝٤٩﴾[2]، وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ۝١٨﴾[3].

فانصروا الله ينصركم، واشكروه على نعمه يزدكم، والجأوا إليه في الرخاء والشدة يجبكم ويعطكم ويحفظكم، ولا تخافوا من جند الباطل وجيوش الضلال، فإنهم أتباع الشيطان، وقد وصف سبحانه كيد الشيطان بالضعف فقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾[4].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٦٤ ـ ٦٧.
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٤٨، ٤٩.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.
(٤) سورة النساء، الآية: ٧٦.

الحث على الاستعداد للجهاد في سبيل الله «بمناسبة ما سمي بأزمة الخليج»

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدِّين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله فيما تأتون وما تذرون، وراقبوه فإنه بصير بما تعملون، وتوبوا إليه فإنه سبحانه يحب التوابين، وأحسنوا إلى عباده فإنه لا يضيع أجر المحسنين، عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض، فينظر كيف تعملون، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، إن الله بالغ أمره، قد جعل الله لكل شيء قدراً.

أيها الناس: إن المسلمين اليوم في هذا الجزء من العالم أمام فتن عمياء وشدائد مظلمة، ليس لها من دون الله دافع أو مجير، فنسأله بعزته وقدرته وجبروته وقهره أن يصرف شررها، وأن يدفع خطرها، وأن يهلك بها من أثارها، فإنه سبحانه على كل شيء قدير، يقول للشيء كن فيكون، وهو سبحانه لطيف بعباده، يرزق من يشاء وهو القوي العزيز.

أيها المسلمون : إن تلك الفتن قد نسجت حلقاتها، وأحكمت خططها من قبل أعداء الله ورسله، أتباع الشيطان في الإفساد، وإشاعة الفساد، والجد وبذل الوسع في إضلال العباد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾[(١)] . فهي من مكرهم، مكر الله بهم. فإنه سبحانه توعدهم بقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾[(٢)]. وقوله: ﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾﴾[(٣)] .

أيها المسلمون : ولقد أشعل نار تلك الفتن وأطار شررها في الآفاق؛ فئة طاغية وشرذمة باغية، اشتهرت بأشنع المآثم، وارتكاب أفظع الجرائم، زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون؛ فارتدوا عن أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى فسوف يعلمون، حيث اشتروا الضلالة بالهدى فبئس ما يشترون، قد ظلموا أنفسهم ومن تحت أيديهم وجيرانهم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون، رضوا لأنفسهم الهوان، إذ صاروا كلاباً لليهود وجنداً للشيطان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾[(٤)] .

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٣٦، ٣٧.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٣) سورة النمل، الآية: ٥١.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٩.

زينت لهم أهواؤهم البغي والفساد، وقرروا أن ينشروه بين العباد، فنقضوا العهود، وغدروا بالوعود، وسعوا في الأرض مفسدين، إذ روعوا الآمنين، وشردوا المطمئنين، واستباحوا الحرمات، وانتهكوا المحرمات، ونشروا الجاهليات، وبرروا لأنفسهم بالشبهات والحجج الداحضات، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾[١]، ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[٢].

أيها المسلمون: وإذا كنا في زمن تعاقدت فيه قوى الباطل، وتكالبت فيه عناصر الشر، واتفقت على إزهاق الحق، وشن الغارة على أهله بغزو ديار الإسلام، وهدم حصونه الواحد تلو الآخر؛ ليعطلوا عبادة الله، ويصدوا الناس عن سبيل الله، ويقيموا فيها للكفر مناراً، ويرفعوا للباطل فيها شعاراً، لو تم لهم ما يتمنون، فكان من نتائج هذا المكر المبيت والكيد المنظم هذا العدوان الغاشم، وما ارتكب فيه من فظيع الجرائم في أناس لنا مجاورين، وإخوان لنا في الدين، كما تبين أننا بعدهم مقصودون مستهدفون.

فواجب علينا الاستعداد للجهاد في سبيل الله لصيانة الإسلام من عبث العابثين، والدفاع عن حرمات المسلمين، وصد كيد أعداء الدين، وقد أذن الله للمظلوم أن ينتصر، وللحق أن يظهر وينتشر ويشتهر، فشرع فريضة الجهاد في سبيله للانتصار من الظالم، ورد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٠٤.

(٢) سورة البقرة، الآيتان: ٢٠٥، ٢٠٦.

عدوان الآثم، وبتر يد المجرم، وحفظ حرمات وحقوق كل مسلم، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾[٢]، وقال جل ذكره: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[٤].

واستنكر سبحانه على المتثاقلين وتوعدهم بالعقوبة في الدارين كما في قوله المبين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[٦].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٦.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣٩.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٤١.
(٥) سورة التوبة، الآيتان: ٣٨، ٣٩.
(٦) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

فالجهاد في سبيل الله حياة وعزة وكرامة، وظهور للحق وإزهاق للباطل، وسعة في الرزق، ومجلبة للخير، ومدفعة للشر، ومرضاة للرب، ومكفرة للحوب، وسعادة في الدارين ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾[(١)]، ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[(٣)].

وكذلك قال ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». وبشر ﷺ الراغبين في الجهاد والصادقين في طلبه، حتى ولو لم يشتركوا فيه وتتهيأ لهم فرصه، فقال: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه». كما توعد المتخاذلين عن الجهاد والمعرضين عنه بقوله: «من لم يغز ولم يجهز غازياً أو يخلف غازياً في أهله بخير أصابه الله بقاعرة قبل يوم القيامة»، وقال ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدّث به نفسه مات على شعبة من النفاق».

والنصوص في الكتاب والسنة بشأن الجهاد وفضل المجاهدين ووعيد المتخلفين في الدنيا والآخرة أكثر من أن تحصر أو تسرد من

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥١.
(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.
(٣) سورة التوبة، الآيتان: ١٤، ١٥.

على منبر.

أيها المسلمون: وإذا كنا أمة سياحتها الجهاد في سبيل الله، وهمها الفوز برضوان الله، وأنه لا حياة لنا ولا كرامة إلا بالجهاد في سبيل الله؛ فهو الذين تجتمع به الكلمة، ويتحد به الصف، وتظهر به الهيبة، وتنشر به الفضيلة، وتخفى بسببه الرذيلة، ويفرض به الحق، ويذل به الباطل وأهله.

فالجهاد في سبيل الله مرتبتان: أولهما وأفرضهما الدفاع عن حرز الإسلام وحرمات المسلمين، ورد كيد المجرمين، وعدوان الظالمين الباغين. وأكملهما وأعلاهما قتال الكفار كافة؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهي تلي الأولى في الفرضية، كلاهما في سبيل الله.

فاتقوا الله عباد الله، وهبوا للدفاع عن شعائر دين الله وحرمات عباده، وإعلاء كلمته بجهاد البغاة الطاغين، والظلمة المفسدين، وعموم طوائف الكافرين والمشركين، والمغضوب عليهم والضالين، فإن لليوم ما بعده، وإن الموت في ساحة الوغى خير من الموت تحت الذل والاستعباد وامتهان العقيدة والدين، وكما ورد أن الجنة تحت ظلال السيوف فهذا يعني أنها أيضاً تحت قذف القنابل وبين قصف المدافع، فحققوا يا عباد الله ما أراده الله منكم من طاعته، والعمل بما يرضيه، يحقق لكم ما وعدكم به من النصر والتأييد، ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾[1]، وتوجهوا إلى الله بقلوبكم، واستغيثوا به في كشف

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.

الضر عنكم، وصرف كيد أعدائكم، فما خاب عبد لجأ إلى الله، واستغاث بمولاه، ولاذ بحماه.

ألا يا عباد الله إن الأمر جد فخذوا له أهبته، والحياة كلها كبد ونهايتها الموت الذي لا ينجو منه من البشر أحد، وخير الأعمال ما جلب عزًّا، وخلَّد ذكراً، وكتب أجراً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة التوبة، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.

التذكير بنعم الله
«ألقيت بعد انتهاء أزمة الخليج»

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي أخبر أن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، وأنه سبحانه يرفعها فوق السحاب، ويقول: «وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»، وأن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾[1]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أولي الأبصار والاعتبار، وأئمة الأخيار من أهل القرى والأمصار.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم واشكروه على عظيم عطائه، واذكروا نعمة الله عليكم وما خصكم به من أنواع إحسانه وآلائه، فكم ساق إليكم من أنواع المسرات، وكم صرف عنكم من البليات، وكم

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.

ذكركم بذلك في محكم الآيات، كما في قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[(١)]، وقوله: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾[(٤)].

أيها المسلمون: حقًّا لقد منَّ الله علينا إذ هدانا لهذا الدِّين الحق ﴿ وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّۖ ﴾[(٥)]. فألف به سبحانه بين قلوبنا بعد فرقة، وجمعنا به بعد شتات، وكثرنا به بعد قلة، وأغنانا به بعد عيلة، ونصرنا به بعد ذلة، وقوّانا به بعد ضعف، وجعلنا من خير أمة أخرجت للناس، وهدانا إلى الحق المبين الذي ليس به التباس، فكم من نعمة خصنا بها في هذه البلاد دون كثير من الناس، وكم له تعالى من منحة فضلنا بها على سائر الناس.

أيها المسلمون: حقًّا إن واجب الشكر عليكم أعظم منه على

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٠٢، ١٠٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٤.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٤٣.

غيركم؛ لقد كادت النعم أن تفر من بينكم فحفظها وقيدها، وهمت بكم الأعادي من جميع النواحي فصدها، وها أنتم ترفون في أثواب العافية الواسعة، وتتوالى عليكم من الله في كل آن المنح المتوافرة، والمنن المتكاثرة: صحة في الأبدان، وأمن في الأوطان، ووفرة في الأرزاق، ومواسم خير ومناسبات بر، تحتاج منكم إلى استباق. فاشكروا نعم الله السابغة، واستبقوا الخيرات، وافعلوا الخير تفلحوا في الدنيا والآخرة.

أيها المسلمون : اذكروا نعمة الله عليكم إذ كشف لكم غائلة من يظهر لكم الصداقة، وجلى لكم حماقات أولي الحماقة، وصرف عنكم جموع الظالمين، وصد عنكم كيد المفسدين، فلقد والله كنتم تتوقعون عظيم البلاء وشديد البأساء والضراء، فكم ساءت من كثيرين منكم الظنون، فلطف بكم سبحانه فأمنكم مما تخافون، وصرف عنكم من كنتم تخشون، وحفظ عليكم من نعمه ما تحبون ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، ﴿وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[2]، ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾﴾[3]. ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾[4].

فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروها ولا تكفروها فتكونوا ممن

---

(١) سورة لقمان، الآية: ٢٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٨.
(٤) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾[1].

أيها المؤمنون : اتقوا الله لعلكم تفلحون، واشكروا نعمة الله عليكم إن كنتم إياه تعبدون، فإن الله تعالى قد وعد الشاكرين بالمزيد، وتهدد الكافرين بالعذاب الشديد ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾[2]، ﴿ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴾[3]، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[4]؛ ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾[5].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة النحل، الآية : ٨٣.

(٢) سورة إبراهيم، الآية : ٧.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢١١.

(٤) سورة الأنفال، الآية : ٥٣.

(٥) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

وسائل الأسفار وما ينبغي أن يقصده السُّفار

الحمد لله ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٤ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾[1]. أحمده سبحانه ﴿خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ۝١٢ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ۝١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ۝١٤﴾[2].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ذو الحكمة البالغة في الخلق، والتدبير، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، وبيده الخير وهو على كل شيء قدير، وإن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله بالحنيفية السمحة، وجعله لهذه الأمة رحمة، وللمؤمنين في الدنيا إماماً وأسوة، وفي الآخرة قائداً وشفيعاً إلى الجنة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، الذين آمنوا به وعزروه ونصروه، واتبعوا النور الذي أنزل

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٤ ـ ٨.

(٢) سورة الزخرف، الآيات: ١٢ ـ ١٤.

معه، أولئك هم المفلحون، وكانوا يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله، وليقاتلوا في سبيل الله، وليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: أطيعوا الله ربكم واخشوه في جميع أموركم؛ فإنه مطلع عليكم في سائر أحوالكم، فاتقوه في حال سفركم وإقامتكم؛ فإن تقواه خير الزاد في الدنيا ويوم المعاد، كما أخبركم وأمركم بذلك رب العباد، إذ يقول في محكم الكتاب: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٧﴾[١].

أيها المسلمون: اشكروا ربكم على سابغ نعمه، واسألوه المزيد من جوده وكرمه، واحمدوه على ما يسّر لكم في هذا الزمان من وسائل الأسفار ونواقل الأخبار، وما هيأ للمسافر من أسباب الراحة في غالب الأقطار، حيث أوجد بحكمته وعظيم قدرته هذه السيارات الأرضية، وتلك المراكب والاتصالات الفضائية، التي أصبح الإنسان يسابق بها لحظات الليل والنهار، ويطلع على حديث الأخبار، ويسعر الأسعار في بعيد الأقطار، ويتصل بأهله وذويه، وكثير ممن يحتاج إليه من شتى الجهات آناء الليل وآناء النهار، فتحقق بعض الموعود إذ قرب البعيد، ونطق الحديد، وتقارب الزمان، وتجاورت الأوطان، وهذا كله والله من براهين التوحيد، الدالة على عظم حق الله على العبيد، وصدق ما جاءت به الرسل من ذي العرش المجيد، وكم في

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٧.

ذلك من الذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أيها المسلمون: كم في إيجاد هذه المصنوعات السائرة، وتلك الوسائل الباهرة، من آيات الإيمان المتكاثرة، وكم أسبغ الله بها على العباد من نعمه الباطنة والظاهرة، وكم في سوء استعمالها من أنواع المخاطرة في الدنيا والآخرة، فاشكروا الله تعالى على عظيم نعمته، واستخدموا هذه الأمور في طاعته، تفوزوا برضاه ومحبته، اجعلوها عوناً لكم على تبليغ دينه ونشر رسالته، مع تحصيل ما يسافر المرء من أجله من شريف بغيته ومباح حاجته، ولا تجعلوها مجالب لسخطه ونقمته، بأن تستخدموها في معاصيه، أو تتوسلوا بها إلى ما يغضبه ويؤذيه ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾[1]. ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾﴾[2]. فما أنتم بها عنه هاربين، ولا بواسطتها من ملكوته نافذين، ولا بغيره منه مستجيرين ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾[3].

أيها المسلمون: امتطوا هذه المراكب، واغتنموا هذه المواهب، لإقامة ذكره في أرضه، وهداية عباده إلى أداء حقه وفرضه، استووا على ظهورها، واذكروا نعمة ربكم حال استوائكم عليها، وحال سيرها، وامضوا عليها؛ طلباً للفقه في الدين، وحجاجاً لبيت ربكم ومعتمرين، ولمسجد نبيكم محمد ﷺ زائرين، امضوا عليها للتجارة،

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٣٤.
(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

وابتغوا من فضل الله، وادعوا إلى الله، وجاهدوا في سبيل الله، وتفقدوا أحوال عباد الله، اركبوا صهوتها، واغتنموا جدتها؛ لصلة الأرحام ولزيارة الأخوة في الإسلام والعلماء الأعلام، اغذوا السير عليها لإسعاف المنكوبين، وإغاثة الملهوفين، وتذكير الغافلين، وتعليم الجاهلين، والتعاون على كل ما فيه مرضاة رب العالمين، وإغاظة أعداء الدين، وسيروا في الأرض لتروا بديع صنع الله العليم الخلاق، وتشاهدوا آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى في الأنفس والآفاق.

أيها المسلمون: لعل من حكمة الله في خلق هذه المراكب، وإيجاد هذه الوسائل والمطالب، أن الله تعالى لما قضى فيما مضى أن يتقارب الزمان، وأن تحصل الخلطة بين أجناس السكان، مع تباعد الأوطان، وذلك من علامات قرب نهاية الزمان، فسخر تلك الأمور للناس هذا الأوان؛ ليستنفدوا أرزاقهم، وليستكملوا آثارهم، ويبلغوا ما كتب لهم من آمالهم وأعمالهم، على قصر أعمارهم، فاختصرت الدنيا لهم اختصاراً، وأظهر الله لأهل هذا الزمان فيما يحتاجون إليه حكماً وأسراراً ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾[1]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[2].

معاشر المسلمين: تذكروا أن وسائل الأسفار، التي وفرها الله وسخرها في هذه الأعصار، شاهدة لله تعالى على راكبيها بما يكسبونه من فعل المأمور، أو يكتسبونه من الوقوع في المحظور، ويبارزون به

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

السميع البصير القوي القدير من عظائم الأمور، فيا ويلهم مما اقترفوه يوم يبعث ما في القبور، ويحصل ما في الصدور، إن ربهم بهم يومئذٍ لخبير، ألا فليتذكر راكب هذه الوسائل لحاجاته الظاهرة، أنه في واقع الحال في سفر من الدنيا إلى الآخرة، وأنهم حين يعجبون بفارهِ المطايا، فإنها تغذّ بهم السير إلى مصارع المنايا.

عباد الله : تذكروا حين تشرعون في إعداد الزاد للراحلة إلى أي قطر من الأقطار، أنكم في حقيقة الأمر في رحلة إلى دار القرار، وأن الآجال قواطع الآمال، فتزودوا بالتقوى وصالح الأعمال، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «يبعث كل عبد على ما مات عليه»، وفي الحديث أيضاً: «إذا أراد الله أن يقبض روح عبد في أرض جعل له بها حاجة». فكم من مسافر في ظاهر الحال لحاجته، ثم اتضح أنه مسافر إلى مكان منيته، فلا تسافروا إلا لمقصود شريف وغرض مباح، واحذروا مواطن الفساد التي يمتهن الدين فيها ويُستباح، وكم من مسافر للبغايا والخمور، وقدمه توشك أن تزل في القبور، وكم من متعلق قلبه بمساكن الكفرة، ومخالطة الفجرة، فيا ويحه ما أخسره، فاتقوا الله عباد الله وأحسنوا القصد من هذه الأسفار، وسارعوا إلى الخير فيها تكتب لكم الآثار، خذوا من صالح الأعمال قبل حضور الآجال وانقطاع الأعمال، والوقوف بين يدي الكبير المتعال.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة غافر، الآيات: ٧٩ ـ ٨٢.

الفتن في الأموال والأزواج والأولاد والأسماع

الحمد لله الكريم الودود، الملك المعبود، المعروف بالكرم والجود، أحمده سبحانه على ما اتصف به من صفات الجلال والإكرام، وأشكره على ما أسداه من جزيل الفضل والإنعام، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تُبَوِّئ من حققها جنات النعيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل من دعا إلى الدين القويم، اللهم صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم على المنهج السليم.

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموا أمره ولا تعصوه، وعاملوه معاملة من يخافه ويرجوه، واحذروا أسباب سخطه وغضبه؛ فإنها توجب حلول العقوبات والمثلاث، وزوال النعم ومحق البركات، كما أصاب من قبلكم من الأمم الخاليات، ومن حولكم ممن ظهرت فيه المعاصي وكثر فيه الخبث من المجتمعات، واعلموا أنكم بالخير والشر تختبرون، وبالمحاب والشهوات تفتنون؛ ليتبين المحسن من المسيء، والمصلح من المفسد، والشاكر من الكافر ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾[1].

فما عملتم من خير وشر فإنكم ملاقوه، وسيجازيكم الله به يوم

---

(١) سورة الملك، الآيتان: ١، ٢.

تلاقوه، وذلك يوم يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه، ولا يرحمه إلا خالقه وباريه، فلا تغرنكم الدنيا بما فيها من اللذات؛ فإن شهواتها تبعات، وراحاتها حسرات، فالله الله فيما يخلصكم وينجيكم بعد الممات ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إننا اليوم في معترك فتن عظيمة، كقطع الليل المظلم، يرقق بعضها بعضاً، وينسي بعضها بعضاً، فالمال فتنة هلك به كثير من الناس في هذه العصور، والأولاد فتنة وكم استعصى أمرهم على معظم أولياء الأمور، ومخالطة الأشرار من المنافقين والكفار فتنة وكم امتلأت منهم الديار وعظمت بسببهم الأخطار، والنساء فتنة وكم جلبن من المصائب على العالمين، وكم يكيد بهن الأعداء لإفساد مجتمع المسلمين، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، ونسأله الهدى والسداد والصلاح في الحال والمآل.

أيها المسلمون: فأما المال فإنه فتنة لهذه الأمة، وكم هلكت به قبلها من أمة، يقول ﷺ: **«لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال»**، وقال ﷺ: **«أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»**.

فالمال فتنة من جهة جلبه وتنميته، وفتنة في المكاثرة فيه والمباهاة به، وفتنة من جهة إنفاقه وأداء الحقوق الواجبة منه، فقد قل من الناس الحذر من أسباب كسبه المحرمة، والمتورع عن صور جلبه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

المشتبهة، بل أكثر الناس أصبح المال أكبر همه، وملأ قلبه وشغل فكره وسمع أذنه وبصر عينه، ويخاطر في تحصيله أيما مخاطرة، ويسعى في تنميته مكاثرة ومفاخرة، ولا يبالي بعواقب ذلك في الدنيا والآخرة، يكسبه من وجوه محرمة، وحيل ملتوية آثمة، وطرائق خبيثة باطلة، فهو النهم الذي لا يشبع، والمفتون الذي لا يقلع، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «**ليأتين على الناس زمان لا يبالي المرء بما اكتسب المال من حرام أم من حلال**».

ولهذا تجد هذا الصنف يأخذ المال بالربا، ويستحلون الرشا ويأخذونه ثمناً لبضائع محرمة، قيماً للمصورات وأنواع المخدرات، وأفلام المجون والغناء، وبخس المقاس والكيل والعد والوزن علناً، وناهيك بما فيه إعانة على المنكر، وفتح أبواب الفساد والشر، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**».

فالحلال عند هذا الصنف ما حل في يده بأي سبب، والحرام ما عجز عن تحصيله مع الجد في الطلب، ولكن إن ربك لبالمرصاد، فهذا ماله وبال عليه، وشؤم يعود عليه، فإن أكل منه لم يؤجر عليه، وإن تصدق به لم يقبل منه، وإن أمسكه لم يبارك له فيه، وإن دعا وهو في جوفه لم يستجب له، وإن تركه لورثته كان زاده إلى النار، لغيره غنمه، وعليه إثم تحصيله وغرمه، وكم تسلط عليه في حياته من أسباب الهلاك والإتلاف، حتى ينفق رياء وبين التبذير والإسراف.

أما الذي يكسب ماله من طرق الحلال، ويتقي في طلبه ذا الكرم والجلال، وينفقه فيما يعود عليه بالنفع في الحال والمآل، يتوصل به إلى فعل الخيرات، ونفع ذوي القربات، وإعانة أهل

الحاجات؛ فذاك يبارك له في ماله، ويكون من أسباب صلاح قلبه وأعماله وأحواله، إن أنفق منه أجر عليه، وإن تمتع به بورك له فيه، وإن تصدق به قبل منه وضوعف له، وإن دعا ربه استجاب له، وإن ترك لوارثه كان خيراً له، فنعم المال الصالح للرجل الصالح ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[١]. فقد ذهب أهل الأموال الصالحون بالدرجات العلى والنعيم المقيم.

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأجملوا في الطلب، اكسبوا المال من وجوه حله، وأنفقوه في محله، واعلموا أن رزق الله لا يجلبه حرص حريص، ولا يدفعه كراهية كاره، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، وإن الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله.

أيها المسلمون : أما فتنة الأولاد فإنها والله أخطر من فتنة الأموال على كثير من العباد؛ فإنهم مبخلة مجبنة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾[٢]. ولذلك فتن بهم بعض الناس في هذا الزمان، حتى خشي عليه من التفريط في الإيمان، يوفرهم حتى عن المشي إلى الصلاة، ويسليهم حتى بالمحرم من الشهوات والأصوات، ويغضب لهم حتى يعادي الناصح، ويقرهم على ما هم عليه من القبائح، ويرضيهم حتى بتوفير أسباب هلاكهم، ويحميهم حتى عما يصلح قلوبهم وأعمالهم، وكم من أخوين صالحين متهاجرين بسبب الأولاد، وكم من جارين متعاديين بسببهم؛ كل واحد منهما للآخر بالمرصاد، وحبك الشيء يعمي ويصم، ولكن

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

(٢) سورة التغابن، الآية: ١٥.

الويل الويل من هول يوم المعاد.

فاتقوا الله معاشر المسلمين في أولادكم، ولا تلهوا بهم عن هول يوم معادكم، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوٓا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾[2]. ووقايتهم من النار إنما تكون بأمرهم بالصلاة، وتربيتهم على أنواع الطاعات، وتأديبهم إذا لم يُجْدِ فيهم النصح والإرشاد على ما قد يرتكبونه من المخالفات، والأخذ على أيديهم، وأطرهم على الحق أطراً؛ لصيانتهم من اقتحام المحرمات.

أيها المسلمون: ومن الفتنة المخيفة في هذا الزمان ما عليه بعض النساء من أنواع الطغيان من التبرج والسفور، وما يرتكبنه من عظائم الأمور، من مخالطة الرجال، والخلوة بغير المحارم في كثير من الأحوال، إلى غير ذلك من الأمور التي لا تخفى، وشؤم عواقبها في كل لحظة يخشى، وقد حذركم ﷺ من فتنة النساء إذ يقول: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**». ويقول: «**فاتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**». وكم بين المسلمين اليوم من النساء اللاتي تنطبق عليهن أوصاف أحد أصناف أهل النار، كما جاء وصفهن عن النبي المصطفى المختار، بقوله: «**نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**».

---

(١) سورة طه، الآية: ١٣٢.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

فصونوا نساءكم أسباب الردى، وقوِّموهن على البر والتقوى، واحذروا أن يغلبنكم على أموركم فـ«لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة»، و«إنما هلكت الرجال حين أطاعت النساء» في الحديث: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن». ومن عرف أنهن فتنة حذر أن يهلكنه، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من وعظ بنفسه، فاتقوهن واحذروهن وأطعموهن واكسوهن وعاشروهن بالمعروف، وأحسنوا إليهن واستوصوا بهن خيراً؛ فإن خياركم خياركم لنسائهم، ولكن لا تُسْلموا لهن القياد، ولا تجعلوهن هدفاً لأنظار ومطامع مرضى القلوب الساعين في الإفساد؛ فأنتم لهن راعون، وعليهن قوامون، وعنهن مسئولون؛ فإنهن عوان عندكم، فحققوا القوامة، وأحسنوا الولاية ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

الحث على الخلق الحسن

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، ومصطفاه وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس اتقوا الله الذي لابد لكم من تقواه، فإن من اتقى الله وقاه، وهي التي لا يقبل الله غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها، وإنها خير الزاد في الدنيا والآخرة، وهي خَلَفٌ من كل شيء وليس منها خلف، وقد تكفل الله لأهلها بالنجاة مما يحذرون، والرزق من حيث لا يحتسبون، وشرح الصدور بتيسير الأمور، ووضع الوزر، ورفع الذكر، وأنها من أكرم ما أسررتم، وأزين ما أظهرتم، وأفضل ما ادخرتم، فاجعلوا إلى كل خير سبيلاً، ومن كل شر مهرباً، جعلني الله وإياكم من المتقين المحسنين، فإن الواعظين بها كثير والعاملين بها قليل.

أيها المسلمون: كثيراً ما يرد في الكتاب والسنة الجمع بين تقوى الله وحسن الخلق، وذلك ـ والله أعلم ـ للتنبيه على أنهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فتقوى الله شجرة وحسن الخلق ثمرة، وهي أساس وهو بناء، وهي سر وهو علانية، وحيث انتفى

حسن الخلق انتفت التقوى، وضعفه دليل على ضعفها؛ فهو برهانها والدليل عليها، والشاهد الصادق لها، يذكر الله تعالى المتقين في مواضع من كتابه فيصفهم بأحسن الأخلاق، ويبرئ ساحتهم من النفاق وسيء الأخلاق، ويذكر سبحانه أهل البر والإحسان، فيصفهم بالتقوى وعظيم الخشية من الملك الأعلى، ويبين ما لهم عنده من الخير في الآخرة والأولى.

وكان ﷺ كثيراً ما يجمع بينهما في وصاياه، وذلك من سنته الثابتة وهداه، أوصى ﷺ معاذاً رضي الله عنه فقال: «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً» قال: يا رسول الله! زدني، قال: «استقم ولتحسن خلقك». وقال ﷺ لأبي ذر: «أوصيك بتقوى الله في سرك وعلانيتك، وإذا أسأت فأحسن» الحديث. وسئل ﷺ: ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ قال: «تقوى الله وحسن الخلق». وقال ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

ذلكم يا عباد الله لأن الخلق الحسن من خصال التقوى ولا تتم إلا به، فإذا رزق الله العبد التقوى وحسن الخلق فقد منحه القيام بحقوقه وحقوق عباده، وبذلك يفوز العبد بمحبته ومعيته ونصره، والأمن من عذابه، والفلاح برضاه وكريم ثوابه، فإنه سبحانه يحب المحسنين ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1]، وقال في ثواب المتقين المحسنين: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦.

أيها المسلمون : ولقد جاء عن النبي ﷺ من الحث على الخلق الحسن والوصية به ـ ما يدفع كل ذي دين قويم وعقل سليم إلى التخلق به والمنافسة فيه؛ طمعاً في فوائده، وانتظاراً لكريم عوائده، في الدنيا والآخرة ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]. وفي ميدانه فليستبق المتسابقون ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[2].

وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**إن من خياركم أحسنكم خلقاً**». وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: «**البر حسن الخلق**». وفي الترمذي قال عليه الصلاة والسلام: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن؛ وإن الله يبغض الفاحش البذيء**». وفي رواية: «**وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة**». وقال ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لأهله**». وفي رواية «**لنسائهم**». وروي عنه ﷺ قال: «**أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً**». وروي عنه ﷺ أنه قال: «**إن هذه الأخلاق من الله تعالى؛ فمن أراد الله به خيراً منحه خلقاً حسناً**». وروي عنه ﷺ: «**إن الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد**».

أيها المسلمون : ويكفي المسلم في الرغبة في الخلق الحسن، وجهاد نفسه على التخلق به، والبعد عن ضده ـ أن الله تعالى أثنى على نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾[3] مع قوله سبحانه:

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

(٣) سورة القلم، الآية: ٤.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[١] . فأكمل المؤمنين إيماناً بالنبي ﷺ، وأعظمهم اتباعاً، له وأسعدهم بالاجتماع ـ معه المتخلقون بأخلاقه المتمسكون بسنته وهديه، قال ﷺ: «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه». وقال ﷺ: «إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً».

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وتخلقوا بالأخلاق الحسنة لعلكم تفلحون ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[٢] . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[٣] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروا يغفر لكم إنه هو الغفور

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٣) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠.

أما بعد :

فقد ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله سبحانه قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه». فأخبر ﷺ أن الناس متفاوتون في الأخلاق كما أنهم متفاوتون في الأرزاق، وتضمن ذلك حث كل مؤمن أن يجتهد في التخلق بالخلق الحسن، كما يجتهد في طلب الرزق بالمباح من المهن، وما أعطي أحدٌ عطاء خيراً وأفضل من خلق حسن يدله على الصلاح والتقى، ويردعه عن السفاه والفساد والردى. والمتحلون بمحاسن الأخلاق هم أفضل الناس على الإطلاق.

أيها المسلمون : حسن الخلق يُمنٌ وسوء الخلق شؤم، والخلق الحسن ينحصر في فعل المرء ما يجمله ويزينه، واجتناب ما يدنسه ويشينه. وقال بعض السلف: هو فعل الفرائض والفضائل، واجتناب منكرات الأخلاق والرذائل. وبعض الناس حينما يسمع بحسن الخلق يظنه مقصوراً أو مقصوداً ببشاشة الوجه وطيب الكلام، وهذا نوع ولا شك من مكارم الأخلاق بالاتفاق، ولكنه لا يحصرها على الإطلاق، بل حسن الخلق أعم وأشمل من هذا كله، وهو ما وصف الله به عبده ورسوله ومصطفاه، ونبيه وخليله ومجتباه، محمداً ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1].

ولقد بينت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها خلقه العظيم،

(١) سورة القلم، الآية: ٤.

وفسرته حينما سئلت عن خلق النبي ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن». أي يتأدب بآدابه، ويأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، ثم قرأت: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾(١). فأمره ربه بأن يعطي من حرمه وأن يصل من قطعه، وأن يعفو عمن ظلمه. ومن حسن خلقه ﷺ أنه يصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويكسب المعدوم، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الدهر، ويغيث ذا الحاجة الملهوف.

أيها المسلمون: من حسن الخلق بر الوالدين وصلة الأرحام، والتودد إليهم بوسائل الإكرام، والاحترام، حتى يودع في قلوبهم محبته، والثناء عليه والدعاء له، ورضى الله من رضى الوالدين، والوالد أوسط أبواب الجنة، سئل النبي ﷺ عن أكرم الناس فقال: «أتقاهم للرب، وأوصلهم للرحم، وآمرهم بالمعروف، وأنهاهم عن المنكر». فبر الوالدين وصلة الأرحام مع أنها من محاسن الأخلاق فإنها سعة في الأرزاق، وبركة في الأعمار، ومحبة في الأهل، وسبب لدخول الجنة والنجاة من النار، فالواصل موصول بكل خير، والقاطع مقطوع من كل بر، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها.

ومن حسن الخلق الإحسان إلى الجيران، وإيصال النفع إليهم، والعطف عليهم، والإحسان إليهم، ومعاشرتهم بطيب الوفاق وكرم الأخلاق، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فيلحسن إلى جاره.

ومن حسن الخلق إفشاء السلام على الخاص والعام، وطيب الكلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام، فقد بشر النبي

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

ﷺ من كان كذلك بدخول الجنة بسلام.

ومن حسن الخلق أن تسلم على أهل بيتك إذا دخلت عليهم، وهذه سنة مشهورة، وقد أصبحت عند الكثير من الناس اليوم مهجورة، مع أنها بركة على الداخل المسلم وأهل بيته كما بين ذلك النبي ﷺ.

ومن حسن الخلق معاشرة الزوجة بالإكرام والاحترام، وبشاشة الوجه وطيب الكلام، قال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله؛ وأنا خيركم لأهلي».

ومن حسن الخلق معاشرة الناس بالحفاوة والوفاء، وترك التنكر لهم والجفاء، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، والنصيحة لهم، فذلك من أهم أخلاق الإيمان والديانة.

ومن حسن الخلق استعمال النظافة في الجسم والثياب، وفي المنزل، فإن الله جميل يحب الجمال، طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، وإن الله إذا أنعم على عبده نعمة يحب أن يرى أثرها عليه.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

من أوصاف المؤمنين في القرآن

الحمد لله الذي يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه، ويجير من استجاره ولاذ بحماه، ويضل من أعرض عن ذكره واتبع هواه، أحمده سبحانه لا معبود بحق سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الكريم العليم الحكيم الرؤوف الحليم البر الرحيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، العبد الشكور والرسول المنصور، المثنى عليه من ربه العزيز الغفور بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة الهدى ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ۝١٧﴾[2].

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وأطيعوه، واتلوا كتابه وتدبروه، وتفكروا فيه واعملوا بما فيه، وتخلقوا به، واهتدوا به، وادعوا إليه تكونوا من المؤمنين المتقين المحسنين المقربين فإنه ﴿نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٦﴾[3]. وهو بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين،

---

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٧.
(٣) سورة المائدة، الآيتان: ١٥، ١٦.

وتبيان لكل شيء، ودليل على كل خير، ونذير من كل شر، كما قال ربنا سبحانه في محكم بيانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠﴾[1].

أيها المسلمون: إن من أعظم بيان القرآن وهدايته للتي هي أقوم وموعظته وبشارته، ما ذكر الله تعالى فيه من أوصاف المؤمنين وسجايا المحسنين في معرض الثناء عليهم، والتنويه بفضلهم، وبيان علو درجتهم وشرف منزلتهم، والتي شهد الله تعالى لهم بموجبها بالصلاح، ووعدهم عليها بالفلاح وقطع بأنهم هم الفائزون الذين فازوا بالأجر العظيم والثواب الكريم والنعيم المقيم، واقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[2]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾[3].

فوصفهم سبحانه بالتقوى التي حقيقتها اتخاذ ما يقي سخط الله وعذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، وهي السبب الأكبر لحصول

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٢ ـ ٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

الهداية والانتفاع العظيم بالآيات الشرعية والكونية، والوسيلة العظمى لتنفيس الكرب وحصول الفرج، وتيسير الأمر، وسعة الرزق، ومغفرة الذنب، وتكفير الخطيئة، والزحزحة عن النار، والفوز بالجنة، وسكنى المنازل العالية فيها عند مليك مقتدر.

ووصفهم سبحانه بالإيمان بالغيب، وهو التصديق التام بكل ما أخبرت به الرسل، ويدخل في ذلك جميع ما أخبر الله تعالى به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال البرزخ والدار الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، فأهل الإيمان يصدقون بذلك كله تصديقاً تامًّا عن علم ويقين يقتضي العمل الصالح بالقلب واللسان والجوارح والحواس.

أيها المؤمنون: ومن أوصاف أهل الإيمان التي أشاد الله تعالى بها في القرآن: إقامة الصلاة ظاهراً بإتمام أركانها، وواجباتها، وشروطها، وأركانها، وسننها، وأدائها في المساجد مع جماعة المسلمين، وباطناً بالخشوع لله تعالى فيها، وحضور القلب، وتدبره لذكرها وأحوالها، والمحافظة عليها في سائر الأحوال، كما أشار عزّ وجلّ إلى ذلك بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[1]. ثم أردف سبحانه بذكر أوصافهم الجميلة وأعمالهم الجليلة، التي هي في الحقيقة من آثار الإيمان والخشوع في الصلاة والمحافظة عليها، حتى قال سبحانه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾[2]. وفي ذلك من التذكير والتبشير، وحث أولي الهمم العالية والعزائم الماضية على التشمير والجد في السير، ما لا يخفى على أولي الأحلام والنهى، كما قال سبحانه في

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١، ٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠، ١١.

آيات أخرى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾(١).

أيها المؤمنون: ومن الأوصاف الكريمة والخصال العظيمة التي سمى الله أهلها بالمحسنين، وأخبر أنهم من أحباب رب العالمين ـ ما أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾(٢). أي ينفقون ابتغاء وجه الله وطمعاً في ثوابه في عسرهم ويسرهم، فإن أيسروا أكثروا من النفقة الواجبة والمستحبة، وإن أعسروا لم يحتقروا من المعروف شيئاً ولو قل. ويكظمون ما في قلوبهم من الغيظ على من يؤذيهم من الناس، ويصبرون عن مقابلة المسيء إليهم بمثل فعله، ولا يقتصرون على ذلك فحسب بل يعفون عنهم، والعفو أبلغ من الكظم؛ لأن العفو ترك المؤاخذة مع السماح عن المسيء طمعاً في عفو الله، ولعلمهم أن من عفا وأصلح فأجره على الله، ولذلك وصفهم الله بالإحسان، وبشرهم بالمحبة وغيرها من ثواب المحسنين؛ لأنهم أحسنوا في عبادة الخالق؛ إذ أخلصوا له العمل، وتابوا إليه من الخطأ والزلل، وعظموا شعائر دينه وحرماته، وسعوا جهدهم ليل نهار في تحصيل مرضاته، وأحسنوا في معاملة الخلق ببذل الندى، وكف الأذى، واحتمال الأذى، فقاموا بحق الله وحق عباده مؤتمّين في ذلك بنبيهم محمد ﷺ عبدالله وخاتم أنبيائه ورسله

(١) سورة النور، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

إلى عباده، فصاروا لله مستسلمين مخلصين، وبعبادته محسنين، فيا بشراهم يوم يبعثون ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾[1].

أيها المؤمنون: ومن جليل أوصاف المتقين الذين قطع الله لهم بالفوز بالمغفرة يوم العرض، وجنات عرضها السماوات والأرض، أنهم يعتذرون إلى ربهم من جناياتهم وذنوبهم، فإذا صدر منهم أعمال سيئة كبيرة أو ما دون ذلك بادروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا ربهم الجبار القهار، وما توعد به العاصين من الخزي والنار، فسألوه المغفرة لذنوبهم، والستر لعيوبهم، مع إقلاعهم عنها وحزنهم منها وندمهم عليها ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾[2]. فوقاهم الله شر الذنوب، وأمنهم من الكروب، وأحلهم جنات فيها من النعيم المقيم، والبهجة والحبور، والبهاء والخير والسرور، والقصور والمنازل العالية، والأشجار المثمرة البهية، والأنهار الجارية في تلك المساكن الطيبة مما لا يُحيط به إلا الله تعالى ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٢.
(٢) سورة آل عمران، الآيتان: ١٣٥، ١٣٦.
(٣) سورة السجدة، الآية: ١٧.

الأسوة الحسنة وخطر القدوة السيئة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً مزيداً.

أما بعد :

أيها الناس : اتقوا الله تعالى، وآمنوا برسوله، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله.

أيها المسلمون : ذكر الله تعالى خاصة خلقه، وخص أولياءه الذين أعد لهم الجنة بما فيها من النعيم المقيم وألوان التكريم، فأثنى عليهم بأكمل الصفات وأجل الأعمال، وأجمل الأخلاق، صدقاً في الإيمان، وسداداً في الأقوال، وكمالاً في الأخلاق، ثم جمع سبحانه تلك الكمالات في صفوته من خلقه محمد ﷺ خاتم النبيين وإمام المرسلين، فمدحه بذلك وأثنى عليه مؤكداً ذلك بالقسم العظيم ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[1]. ثم وجه سبحانه أهل الإيمان إلى الاقتداء بنبيه ﷺ وحسن الاتباع له، فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[2]. وكان خلقه ﷺ القرآن؛ يفعل ما أمره الله به، ويترك ما نهاه الله عنه،

(١) سورة القلم، الآية: ٤.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

ويتخلق بالخلق الذي يحبه الله ويحب أهله، ويبتعد عن الخلق الذي يسخط الله ويأباه.

أيها المسلمون: يقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]. قال ابن كثير رحمه الله: هذه الآية أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، فإنه ﷺ رأس الأخيار وأكمل الخلق، وإمام أهل التقوى عامة في الدنيا والآخرة، وصاحب المقام والحوض المورود، وأعظم الشفعاء شفاعة في أهل التوحيد، وأول من يجوز الصراط، وأول من يستفتح باب الجنة ويدخلها. فمن أحب مرافقته في الجنة فليتخلق بأخلاقه، وليحذر مخالفته، وليلزم طاعته ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2].

ولهذا كان أصحاب النبي ﷺ أعظم الناس فوزاً بعد النبيين بالثناء العظيم، والوعد من الله بغاية التكريم، والرضوان والنعيم المقيم، قال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[3].

وذلك لحسن اقتدائهم به، وكمال اتباعهم له، وصدق إيمانهم به، وهكذا من اتبعهم بإحسان من قرون الأمة فإنه يلحق بهم ويفوز برفقتهم، يقول سبحانه: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ

---

(١) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٢) سورة النساء، الآيتان: ٦٩، ٧٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾(١). فلما كملوا اقتداءهم برسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال والأحوال ـ عظمت درجتهم، وكمل فوزهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾(٢).

أيها المسلمون: وكما شرع الله الاقتداء برسوله محمد ﷺ واتباعه في جميع الأعمال والأقوال والأخلاق، فقد شرع الله الاقتداء بهم في البراءة من المشركين، ومخالفتهم لهم فيما كانوا عليه من الضلال المبين، يقول سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾(٣).

فشرع الله تعالى الاقتداء بالخليلين واتباعهما في عبادة الله وترك عبادة ما سواه، وفي البراءة من الشرك والمشركين ومعاداتهم في الله، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله عبده ورسوله محمداً ﷺ باتباعها إذ يقول: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة التوبة، الآيات: ٢٠ ـ ٢٢.
(٣) سورة الممتحنة، الآيات: ٤ ـ ٦.

ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾[١]، وسفه من يرغب عنها بقوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[٢].

أيها المسلمون: ومن القدوة الصالحة المحمودة اقتداء الذرية بالآباء الصالحين فيما هم عليه من الصلاح والاستقامة، فإن ذلك من أسباب رفعة الدرجة وجمع الشمل في الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾[٣]. فأخبر سبحانه عن فضله وكرمه ولطفه بخلقه وإحسانه إليهم، أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذريتهم بالإيمان يلحقهم الله بآبائهم في المنزلة وإن لم يبلغوا عملهم؛ لتقر أعين الآباء بالأبناء عندهم في منازلهم؛ فيجمع سبحانه بينهم على أحسن الوجوه بأن يرفع من هو أقل عملاً وأدنى درجة إلى قريبه الذي هو أعظم عملاً وأعلى منزلة كما قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾[٤].

فالاقتداء الحسن والاتباع الصالح المحمود في الدنيا والآخرة إنما يكون من اللاحق بالسابق في الإيمان بالله والعمل الصالح الذي يحبه ويرضاه، والخلق الجميل الذي مدحه الله كما قال سبحانه عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.
(٣) سورة الطور، الآية: ٢١.
(٤) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣، ٢٤.

يَشْكُرُونَ﴾(١).

فهكذا يكون الأبناء الصالحون خلفاً لمن سلف، ويكون الآباء المؤمنون قدوة للأبناء في الخير، وتكون الذرية تبعاً لهم في ذلك في سلسلة متصلة وقفل متلاحق في السير إلى الجنة على هدى ونور، ولكن المصيبة وشر البلية إذا فسد الآباء ـ والعياذ بالله ـ فصاروا قدوة سيئة لأولادهم في الضلال وسيء الأعمال كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾(٢). فإذا كان الأب لا يصلي بالكلية، أو لا يشهد الجماعة إلا الجمعة، أو حتى الجمعة، أو يتعاطى المسكرات، أو لا يتورع عن كسب المال الحرام، أو لا يغار على محارمه ـ فكيف تكون الذرية التي تشاهد هذه الجرائم، وتتربى على إلف تلك العظائم، التي يرتكبها الآباء مجاهرة لرب الأرض والسماء، إنهم سيكونون في الغالب كما قال الشاعر:

وينشأ ناشىء الفتيان منا
على ما كان عوَّده أبوه

كيف نتصور حال شباب ألفوا من آبائهم هجر المساجد، يولد أحدهم ويبلغ وهو لم ير والده يخرج إلى المساجد للصلوات الخمس، فكانوا كما قال سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾﴾(٣). فاتقوا الله أيها الآباء، وكونوا قدوة صالحة لأبنائكم في الخير، فإنكم

---

(١) سورة يوسف، الآيتان: ٣٧، ٣٨.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٧٠.
(٣) سورة الصافات، الآية: ٦٩.

محل القدوة، وحاسبوا أنفسكم، وتفكروا في حالكم بعد الموت، فقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾(١).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾(٢).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي أمرنا بالاقتداء بأهل الخير والرشاد، ونهانا عن الاقتداء بأهل الشر والفساد، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنفع قائلها يوم المعاد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخيرته من سائر العباد، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وكونوا قدوة صالحة لمن ولاكم الله أمره، وجمعكم به من العباد، فإن الإنسان ليدرك بحسن سيرته ورغبته في الخير ومسارعته إليه خيراً كثيراً وأجراً كبيراً؛ جزاء عمله، والله ذو الفضل العظيم، وكذلك يدرك مثل ذلك حين يقتدي به غيره من الناس، يقول ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**»، وقال ﷺ:

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٢) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً». وذلك حين دعا النبي ﷺ إلى الصدقة فتقدم رجل فتصدَّق فتتابع الناس بعده، وقد ذكر سبحانه أن أولياءه الصالحين يدعونه متضرعين قائلين: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾[1]. وإنما تنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين، الصبر على طاعة الله واليقين بصدق وعده، يقول تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾[2].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[3]. فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٣.
(٣) سورة النحل، الآية: ٩٠.

في الإصلاح بين الناس

الحمد لله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين، أحمده سبحانه أمر بالإصلاح وبشر فقال: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾[1]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم المفسد من المصلح، ولا يصلح عمل المفسدين ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾[2]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمام الصالحين وقدوة المصلحين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يصلحون في الأرض ولا يفسدون، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك من الصالحين.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم، واتقوا الله لعلكم ترحمون، والصلح خير، وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً، قوموا بما أمركم به ربكم من الإصلاح ينجز لكم ما وعدكم من الفلاح؛ من الخير العميم، والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٠.
(٢) سورة هود، الآية: ١١٧.
(٣) سورة النساء، الآية: ١١٤.

أيها الناس : إن الاختلاف بين الناس، والخصومة فيما بينهم، أمر واقع وله أسباب كثيرة، منها الشيطان الذي يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء، والنفس الأمارة بالسوء، والهوى المضل عن سبيل الله، والشح المهلك، والنميمة المفسدة، واشتباه الأمور، وغير ذلك من الأسباب متفرقة أو مجتمعة، التي تنتج الخلاف وتورث الفتنة، حتى تفرق بين المحب وحبيبه، والقريب وقريبه، والصاحب وصاحبه، والنظير ونظيره؛ حتى يهجر الولد أباه، والزوج زوجه، والأخ أخاه، والجار جاره، والشريك شريكه، والجماعة من مجتمعهم، وذلك أنه إذا دب الخلاف واشتدت الخصومة، فسدت النيات، وتغيرت القلوب، وتدابرت الأجساد، وأظلمت الوجوه؛ فوقعت الحالقة التي لا تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين، حيث يسوء ظن المسلم بأخيه، وهو كما في الصحيح: «**الظن أكذب الحديث**»، وتتفوه الأفواه بفاحش القول وألوان البهت، وقد تمتد الجوارح إلى الضرب أو القتل، وغير ذلك من القبائح، وفي الصحيح عنه ﷺ قال: «**كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله، وعرضه**». وحتى يحتقر المرء أخاه، وفي الصحيح عنه ﷺ قال: «**بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم**». ويقطع ما أمر الله به أن يوصل من حق الرحم وكل مسلم؛ فيقع المرء تحت طائلة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1]. وحتى يتهاجر المسلمان، وقد قال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يعرض هذا فيعرض هذا**

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٥.

وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». وأخبر ﷺ أن من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه. وحتى يقع الحسد والتحريش بين المسلمين، وفي الحديث عنه ﷺ قال: «إياكم والحسد فإنه يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب». وقال ﷺ: «إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم». وذلك لما ينتج عنه من المفاسد، ولو لم يكن من شؤم الهجر والقطيعة إلا ما صح عنه ﷺ أنه قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا».

معاشر المسلمين : فإذا كان الاختلاف بين المسلمين وما ينتج من الهجر والقطيعة بينهم تنتج هذه المفاسد العظيمة، والعواقب الوخيمة من الإثم وسوء الظن، والكذب والبهت، واستحلال الحرمات، وانتهاك العورات، والهجران، واللعنة من الله، وذهاب الحسنات، وتأجيل المغفرة أو حرمانها، فمن ذا الذي يزعم أنه يؤمن بالله واليوم الآخر وهو يعلم أن بين اثنين من إخوانه ـ وخاصة الأقارب والأرحام ـ شحناء وقطيعة، ثم لا يبذل وسعه وغاية جهده في الإصلاح بينهما؛ رحمة بهما وشفقة عليهما، وطمعاً في فضل الله ورحمته، اللذين وعدهما الله من أصلح بين الناس.

أيها المسلمون : إن الصلح بين المسلمين من الصدقات التي ينبغي أن يتقرب بها المؤمن كل يوم إلى ربه؛ شكراً له على أن عافاه في بدنه، كما في المتفق عليه أن النبي ﷺ قال: «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة» أي تصلح بينهما، وروى الإمام أحمد وغيره أن النبي ﷺ قال: «ألا

أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين». ولما بلغ النبي ﷺ أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر، خرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه حتى كادت تفوته الصلاة بسبب ذلك، وفي رواية قال: «اذهبوا بنا نصلح بينهم».

أيها المسلمون: ومن أجل عظيم منافع الإصلاح بين الناس رخَّص النبي ﷺ في الكذب الذي يثمر الصلح، فقال: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً». ولم يرخص ﷺ في شيء مما يقوله الناس ـ أي من الكذب ـ إلا في ثلاث: لحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها.

فاتقوا الله أيها المؤمنون وأصلحوا بين إخوانكم عند الاختلاف، وتوسطوا بينهم عند النزاع والبغي، ولاسيما قراباتكم، ولا تتركوهم للشيطان وقرناء السوء يضلونهم عن سواء السبيل، ويهدونهم طريق الجحيم، أصلحوا بينهم تحفظوا لهم دينهم، وتحافظوا على نعمتهم قبل زوالها، وتفوزوا من الله بالأجر العظيم والثواب الكريم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٩.

من أضرار المعاصي وأخطارها الخاصة والعامة

الحمد لله موقظ القلوب الغافلة، بالتذكير والوعظ، المتفرد بتصريف الأحوال والإبرام والنقض، المطلع على خلقه فلا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولذلك حذر عباده من هول الموقف يوم العرض ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾[1].

أحمده سبحانه على نعمه التامات السابغات، وأسأله تعالى للجميع الوقاية من السيئات، والتوفيق للصالحات من أعمال اللسان والحواس والجوارح والنيات، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أرجو بها النجاة من العذاب الشديد، يوم لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذي دعا إلى الإخلاص لله في التوحيد، والبراءة من الشرك والتنديد، وجاهد في الله حق جهاده، حتى استقامت الأمة على دين الله الحق على رغم أنف كل مشرك عنيد، وكل كاره حاسد من كتابي أو منافق بليد.

صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه، الذين طهر الله بجهادهم البلاد من شرك الوثنية، وبغي اليهودية، وضلال النصرانية، وكل منكر وفساد، فرضي الله عنهم وأرضاهم، ووعدهم كل خير، وأثنى عليهم بكل وصف جميل، وعمل صالح جليل، وجعلهم أئمة الناس والشهداء عليهم في الدنيا ويوم المعاد.

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٨.

أما بعد :

أيها الناس: توبوا إلى الله قبل أن تموتوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له تسعدوا، وأكثروا من الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تخصبوا، وانهوا عن المنكر تنصروا، ولا تستعملوا جوارح غذيت بنعم الله في التعرض لسخط الله بمعصيته، ولا تشتغلوا بأموالكم بما فيه ظلم عباده ومحاربته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته، واصرفوا همكم بالتقرب إليه بطاعته، وإياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً، وإنهن يجتمعن على المرء فيهلكنه.

أيها المسلمون : اتقوا الله ربكم وأطيعوه، وامتثلوا أمره ولا تعصوه، واقتفوا أثر نبيكم محمد ﷺ في جميع أموركم وسائر أحوالكم واتبعوه، فإنكم إن فعلتم ذلك رجوتم ألا تصابوا بشيء تكرهونه، وإن خالفتموه فقد تعاقبون بما لا تطيقونه، فآمنوا بالله وتوكلوا عليه في جميع الأمور، وأحسنوا الظن به وتضرعوا إليه يدفع عنكم الشرور ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾[1]، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[2]، ومن ضرع إليه مضطرًا زال كربه.

أيها المسلمون : اعلموا أن الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً يجلبه، وآفة تذهبه، وقد جعل سبحانه الطاعات أسباباً جالبة للنعم،

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٣.

حافظة لها، ووسائل لاستقرارها، وزيادتها، وكثرتها وتنوعها، فطاعة الله تحفظ بها النعم الموجودة، وتستجلب بها النعم المفقودة، فإن ما عند الله لا يُنال إلا بطاعته، فاحفظوا بطاعة الله ما لديكم من النعم، واطلبوا بها المزيد من ذي الجود والكرم، أما المعاصي فقد جعلها الله أسباباً مذهبة للنعم، جالبة للنقم؛ فهي تزيل النعم الحاصلة، وتقطع النعم الواصلة ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[١].

أيها المسلمون : احذروا المعاصي والذنوب، واتقوا خطرها على الأبدان والقلوب، وانظروا وتفكروا في بليغ أثرها في الأوطان والشعوب؛ فإنها ـ والله ـ سلاَّبة للنعم، جلاَّبة للنقم، مورثة لأنواع عظيمة من الفساد، ومحلة لأنواع من الشرور والفتن والمصائب في البلاد، أما علمتم أن المعاصي بريد الكفر، وقاصمة للعمر، ونازعة للبركة من الرزق، فكم سببت من قلة، وأورثت من ذلة، وسودت من وجه، وأظلمت من قلب، وضيقت من صدر، وعسرت من أمر، وحرمت من علم، ألا وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه، ويحرم العلم بالمعصية يقترفها، وإن من عقوبة السيئة فعل السيئة بعدها؛ فإنها تحبب العاصي إلى جنسها، فتجره إلى مثلها، وتوقعه في نظيرتها، ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

﴿لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[(١)].

وبذلك يظهر سر دوام تخلف بعض الناس عن الصلوات، وكسلهم في القيام إليها في كثير من الأوقات، وإدمان كثير من العصاة على تعاطي المسكرات وأنواع المخدرات، واستمرار آخرين منهم على أكل الربا، وإصرارهم على أنواع من المنكر والفحشاء، وكثرة المتبرجات والمترجلات من النساء، فذلك من شؤم المعاصي على أهلها، حتى أن صاحبها ليفعلها مع علمه بحكمها، وشدة ضررها، وعظيم خطرها ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾[(٢)]. ﴿قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾[(٣)].

أيها المسلمون: ومن أعظم أضرار المعاصي أنها تنزع الحياء من نفس العاصي، حتى يجاهر بها الداني والقاصي، ويعلنها بعد أن فتن بها واستحسنها، ويرى أن الإصرار عليها ضرورة، والمجاهرة بها مفخرة، واعتبروا ذلك بمن فتن بإسبال الثياب، وحلق اللحى، فإنه قد أعجب بالفتنة واستبشع السنة، ورأى المعصية حسنة وزينة، فلا يخرج من بيته للناس إلا وهو عاص لربه، مخالف لسنة نبيه ﷺ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين». والإصرار على المعصية، والافتخار بالسيئة، واحتقار الخطيئة ـ علامات على فساد القلب، وذهاب الحياء، وانتكاس الفطرة، وعمى البصيرة، ولذا تجد من هذه حاله لا يفكر في التوبة، ولا يخشى عاقبة

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٦٠، ١٦١.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٨.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٤٣.

الخطيئة، وربما خطرت له التوبة ولكن يبتلى بالتسويف، حتى يفجأه الموت على حين غرة، فلا تقبل منه التوبة عند المعاينة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[1]. فشرط قبول التوبة أن تكون المعصية بجهالة ـ وما عصي الله إلا بجهل ـ وأن تكون عن قرب زمن الخطيئة، ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب، فإن ذلك علامة خشية الله عز وجل. ولا تقبل التوبة من المصرين على المعصية حتى الموت، ولا من كافر مستمر على كفره حتى حضره الموت، وقد قال رب العالمين أحكم الحاكمين لفرعون اللعين: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾[2].

أيها المسلمون: ومن أخطر عقوبات المعاصي على الداني والقاصي أن المعصية قد تعرض لصاحبها عند الوفاة فينشغل بها، وتصده عن قول لا إلـه إلا الله، كما ذكر ذلك العلامة ابن القيم رحمه الله: قيل لرجل: قل لا إلـه إلا الله فقال: هو كافر بما يقول. وقيل لآخر: قل لا إلـه إلا الله فقال: كلما أردت أن أقولها فلساني يمسك عنها. وقيل لثالث ـ وكان شحاذاً ـ: قل لا إلـه إلا الله فقال: لله فليس، لله فليس حتى مات. وقيل لأحدهم ـ وكان تاجراً ـ: قل لا إلـه إلا الله فقال: هذه القطعة رخيصة، هذا المشتري جيد. وكان رجل من المطففين في الميزان فقيل له عند الموت: قل لا إلـه إلا الله

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٧، ١٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩١.

فقال: لا أستطيع أن أقولها؛ لأن كفة الميزان على لساني. عياذاً بالله من حسرة الفوت والفتنة في الدنيا وعند الموت.

فتوبوا جميعاً أيها المؤمنون إلى بارئكم، واستغفروه من جميع معاصيكم في حاضركم وماضيكم، وفروا إليه وحثوا الخطى؛ فإنه سبحانه يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1]، واحذروا أسباب سوء الخاتمة؛ فإنها والله الحادثة القاصمة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة طه، الآية: ٨٢.

(٢) سورة المنافقون، الآيات: ٩ ـ ١١.

خطر المجاهرة بالمعاصي

الحمد لله الحليم التواب، غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، هو ربي لا إلـه إلا هو، عليه توكلت وإليه مآب. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل مرسل أنزل عليه خير كتاب، صلى الله عليه وعلى آله وسائر الأصحاب.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم تعالى وأطيعوه، وراقبوه سبحانه واحذروه، واقتفوا آثار نبيكم محمد ﷺ واتبعوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[1]. ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾[2]. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾[3].

---

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأنفال، الآيتان: ٥٣، ٥٤.

أيها المسلمون : إن المجاهرة بالمعصية والاستهانة بعقوبة الخطيئة إثم كبير ووزر عظيم، يترفع عنها المؤمنون بالله؛ تعظيماً له، وإجلالاً له، وخوفاً منه، ورهبة وطلباً للعفو والعافية والستر والمغفرة في الدنيا والآخرة، ويقدم عليهما كل جهول ضال عن سواء السبيل، قد طغى وبغى، واتبع الهوى، وآثر الحياة الدنيا، ونسي أن جهنم لمن كان كذلك هي المأوى.

ولقد ذم الله تعالى الأمم الخالية في العصور الغابرة ممن جاهر بالعصيان، وأمن مكر الملك الديان، فأخذهم الله بالعذاب على غرة وهم في غيهم يعمهون، وهكذا سنة الله فيمن عصاه؛ فإن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾[1]. ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ۝١٢٨﴾[2]. ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٣٥﴾[3].

أيها المسلمون : وكم وجَّه الله تعالى أنظار عباده في القرآن إلى مصير تلك القرون المهلكة من الأمم المكذبة؛ ليذكروا آلاء الله فيهم، ويتقوا مجالب سخط الله عليهم؛ لئلا يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم من الملأ المستكبرين وجموع المترفين وأتباعهم من المخذولين الخاسرين ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٩٨ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة طه، الآية: ١٢٨.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[١]. قال بعض بعض السلف رحمه الله: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً إلا عند سلوتهم ونَعْمتهم وغرتهم؛ فلا تغتروا بالله. وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معصيته ما يحب فإنما هو استدراج». قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾[٢].

أيها المسلمون: قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾[٤].

أما كفروا بالله؟ أما اتخذوا آلهة سواه؟ أما كذّبوا المرسلين؟ أما تولوا عن الحق مستكبرين؟ أما طففوا المكيال وبخسوا الميزان؟ أما استباحوا الزنى وأتوا الذكران؟ أما أكلوا الربا وأعلنوا الحرب به على المولى؟ أما رفضوا الشرائع السماوية، وحكموا أوضاع الجاهلية؟ أما

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٧ ـ ١٠٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٤٤.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٧٠.

كانوا أشد ممن بعدهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات ففرحوا بما عندهم من العلم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون؟ ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾[1]. أما أصابتهم العقوبات، وحلت بهم المثلات، وجعلهم الله لمن بعدهم عبراً وعظات؟ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾[2].

أيها المسلمون: وصدق الله العظيم إذ يقول معقباً على عقوبات الهالكين من الغابرين: ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾[3]. أي من المخاطبين ومن يبلغه القرآن على مر القرون وتعاقب السنين، ويقول: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾[4]. أي علامة واضحة على قوة الله القاهرة، وحكمته الباهرة، وسنته الظاهرة، فيمن عصاه من القرون الغابرة، يعتبر بها العقلاء، ويتعظ بها السعداء، فيتوبوا إلى الله، ويرجعوا إليه قبل نزول البلاء، وحلول أنواع الشقاء **«اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك، وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك»**.

أيها المسلمون: اعتبروا بحوادث الزمان، وسيروا النظر في معظم الأوطان؛ لتروا صدق ما توعد الله به في القرآن، وما جاء عن

---

(١) سورة الروم، الآية: ١٠.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٠.
(٣) سورة هود، الآية: ٨٣.
(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٣٥.

نبيه محمد ﷺ من عظيم البيان، فكم أهلك الله من المعاصرين، وكم أشقى في الحياة من الظالمين، ممن أشبه الأكاسرة والقياصرة وأمثالهم من الجبابرة، وكم أفنى من جموعهم الظاهرة الفاجرة، وكم بطش بالعديد من المجتمعات الآثمة السائرة في حياتها على نهج القرون المكذبة الغابرة أخذهم الله أخذاً وبيلاً ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلٗا ٦٢﴾[1].

أما سلط الله بعضهم على بعض، فأخذوا ما لهم، وانتزعوا الملك من أيديهم، وأجلوهم من الأرض؟ أما أرسل الله على بعضهم الطوفان، وابتلاهم الله بالعظيم من فتن الزمان؟ أما أصاب الله الآخرين بالجدب وتوالي السنين، وآخرين بجور الأئمة وأنواع الظلمة؟ وكم أهلك الله من قرية بالزلازل والخسف، وأخرى بالحروب الأهلية وفرقة الصف وشدة الخوف، أما ظهرت في هذه العصور شدة المؤنة وكثرة المجاعات، وانتشرت في العديد من المجتمعات الأمراض المستعصية والأوبئة المروعة في شتى الجهات؟ أما ابتلى الله أوطاناً بالأعاصير الحسية والمعنوية المهلكة للحرث والنسل؟ أما أتى الله بنيان آخرين من القواعد فخرَّ عليهم السقف من فوقهم، وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون؟ وصدق الله العظيم إذ يقول متوعداً: ﴿فَأَصَابَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٥١﴾[2]. فلما تشابهت قلوبهم واتفقوا على قبيح الفعال، وسيء المقال، وفساد الأحوال، أصابهم الله بمثل ما

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥١.

أصاب به سلفهم من النكال.

أيها المسلمون : لقد اتفق معظم أهل الأرض اليوم على الكفر برب البرية، والتنكر للرسالة المحمدية، وعظموا المعالم الشركية، وحكموا أوضاع الجاهلية، وظلم بعضهم بعضاً، واتخذوا دين الله وعباده الموحدين غرضاً، وأضاع كثير من المنتسبين للإسلام الصلاة، واتبعوا الشهوات، ومنعوا الزكاة، وانتهكوا حرمة الصيام، وحجوا إلى المشاهد الشركية كما يحجون إلى البيت الحرام، وأكلوا الربا، وتعاطوا الرشا، واستحلوا الزنى، وظهر فيهم التبرج والسفور، والكثير من محدثات الأمور، وأعجب الكثير من مثقفيهم بالدول الكافرة، وما فيها من القوانين الفاجرة، وخفي في كثير من مجتمعات الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلّ الناهون عن الفساد، وعطلوا حقيقة فريضة الجهاد، وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً فصاروا أحزاباً وطوائف، هي في معظم ما هم عليه للكفار تبعٌ؛ فتسلَّطت عليهم قوى الاستعمار، فاستباحوا الحرمات واحتلوا الديار، فعاثوا في الأرض الفساد، ولحق ضررهم بالحاضر والباد.

والمسلمون فيما بينهم في اختلاف؛ يجتمعون ويتفرقون على غير اتفاق أو ائتلاف، وما ذاك إلا لتحكيم الهوى، وإيثار الحياة الدنيا، ونسيان حظ مما ذكروا به، ومن كان كذلك فإن الله يلقي بينهم العداوة والبغضاء، ويلبسهم شيعاً، ويسلط عليهم أذل الأعداء، حتى يراجعوا دينهم، ويأخذوا بسنة نبيه محمد ﷺ؛ فإن فيهما السلامة من كل فتنة، والنجاة من كل هلكة، والهدى إلى كل خير ونعمة ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١).

وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾(٢)، ويقول: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾(٣)، ﴿ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾(٤)، ويقول: ﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾ ﴾(٥).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١٢٣، ١٢٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٣) سورة الروم، الآية: ٣٠.
(٤) سورة الروم، الآيتان: ٣١، ٣٢.
(٥) سورة قريش، الآيات: ١ ـ ٤.

التحذير من خطر قسوة القلوب

الحمد لله العزيز الغفّار، الواحد القهّار، العظيم الجبّار، الذي خلق الجن والإنس لتوحيده وطاعته وأنزل الكتب لأجله وجاء الإنذار، أحمده سبحانه يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، ويغفر للمسيء إذا تاب إليه ورجاه، ويجبر المنكسر إذا لاذ بحماه. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الذي بلطفه تنكشف الشدائد، وبإحسانه تتواصل النعم والفوائد، وبتقواه وحسن الظن به تجري الأمور على أحسن العوائد، وبنصره والتوكل عليه يندفع كيد كل كائد. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى المختار، الذي أخبر أن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأئمة الأخيار.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى حق التقوى، والتمسوا من الأعمال ما يحب ويرضى، وراقبوه سبحانه مراقبة من يعلم أنه يسمع ويرى، وإياكم والطغيان واتباع الهوى وإيثار الحياة الدنيا فإنه بذلك هلكت القرون الأولى.

عباد الله: انتبهوا من غفلتكم، واستيقظوا من رقدتكم، توبوا إلى ربكم، واهجروا الفواحش والشهوات المنسية لآخرتكم، واتعظوا بما أصاب غيركم قبل أن يتعظ الناس بكم، أما أنذركم ما سمعتم من

أخبار من ظلم وطغى ممن غبر؟ أما أيقظكم ما رأيتم مما أجراه الله من حوادث القدر على أشباههم ممن حضر؟ أما أصابهم الله بعظيم عقوبات الذنوب؟ أما نزلت منكم بالحمى وحلت بالساحة ليتوب من يتوب؟.

أيها المسلمون : إن شر ما أصيبت به النفوس، وضربت به القلوب، وهلكت به الأبدان ـ الغفلة عن الهدى، والإعراض عن مسلك الرشد، اتباعاً للهوى وإيثاراً للحياة الدنيا، وكم ذم الله الغافلين ووصفهم بشر الصفات ووعدهم بشديد العقوبات، قال تعالى في محكم الآيات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝١٧٩﴾[2].

فهم أضل من الأنعام، وجزاؤهم على غفلتهم النار وبئس المقام، لأنهم قصروا هممهم على الطعام والشراب وتحصيل الملذات، واشتغلوا باللهو والتمتع بمحرم الشهوات، عن طاعة رب الأرض والسماوات، فأسماعهم عن الخير مقفلة، وأبصارهم عن النظر في العواقب معطلة، وقلوبهم في وجه الحق مغلقة، تتلى عليهم الآيات وبراهين الحق وهم عنها غافلون، وتمر بهم عظيم العبر ويبلغهم شر الخبر فلا يعتبرون، وتطرقهم القوارع وتنزل بساحتهم الفواجع،

(١) سورة يونس، الآيتان: ٧، ٨.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

وهم بلهوهم وملذاتهم وتجاراتهم مشتغلون، خدعهم طول الأمل، فشغلهم عن صالح العمل، والاعتذار عن الزلل، وفجأهم العذاب، وهم على المعصية مصرون.

يقول تعالى: ﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝﴾[1]. فاعترفوا بالخطيئة، ولم يبادروا بالتوبة ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾[2].

أيها المسلمون: إن من أعظم مظاهر قسوة القلوب، والغفلة عن مراقبة علّام الغيوب: أن الناس في هذا الزمان قد أحاطت بهم الأخطار، وتوالت عليهم نذر الجبار، وصاروا يتوقعون شديد العقوبات وموجبات الهلاك في أي ساعة من الليل أو النهار، ومع ذلك كثير منهم لا يزالون مقيمين على موجبات غضب الله العظيم القهّار، فالربا الذي آذن الله أهله بالحرب تتعامل به البنوك، ويتعاطاه الصعاليك والتجار، ويحتالون على أكله بطرق ملتوية جهاراً واستهتاراً، وآخرون من الناس جاهروا بترك الصلاة، وعطلوا المساجد من حضور الجماعات، وطائفة واطأوا أنفسهم على منع الزكاة، وبذلوا الأموال في المحرم من الشهوات، وكم في بيوت الكثيرين من الصور، وقبيح الأفلام، وأصوات الغناء الماجنة، التي

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ٤، ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآيات: ٤٣ ـ ٤٥.

تبعد الملائكة الكرام، وناهيك بما عليه كثير من النساء من التبرج والسفور، وغير ذلك من منكرات الأمور، وكم في البيوت من الكفار، وأصناف الأشرار، ونحوها مما هو كفيل بالعقوبة بخسف الدار، وكم نسمع من وقائع بيع الذمم بالرشوة، يتبارى فيه أغنياء الجيوب، فقراء النفوس والقلوب، وكم من مؤسسة تنافس الأخرى بالدعاية للباطل، وتهيئة وسائل الرذيلة وذرائع انتشار الجريمة، وكم في نواحي المجتمع وجهاته مما فيه الإغراء بالفتنة، والحث على السير في ركاب الشيطان من أنواع المجاهرة بالعصيان، الدالة على عظيم الاستخفاف بوعيد الملك العظيم الديان، أما يخشون علّام الغيوب؟! أما يحذرون عواقب الذنوب؟!

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَـٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]. بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوماً إلا عند غفلتهم وسلوتهم، وحال غرتهم ونعمتهم، فإذا رأيت الله يعطي العباد من الدنيا ما يحبون، وهم على معصيته مقيمون، فاعلم أنه يستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾[2].

أيها المسلمون : إن الجرأة على اقتراف الخطيئة والمجاهرة

---

(١) سورة الأعراف، الآيات: ٩٦ ـ ١٠٠.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٣.

بالمعصية، والإصرار على تكرار الذنوب، والاستهانة بوعيد الله للظالمين ـ طغيان ليس وراءه طغيان، ولذلك عظم الله الجزاء لعظم الذنب، وتوعد المجاهرين بالمعصية بحرمان النعم، وضرورة المؤاخذة بجريرة المجاهرة، وربما حيل بين المصر على الخطيئة وبين المغفرة ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾[1]. فالمصر على الخطيئة حتى يفجأه الموت والكافر إلى ساعة الموت، التوبة عنهم منفية. وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين». فالمجاهر ليس في عافية، والمصر على الخطيئة مرتكب لكبيرة، وكلاهما عرضة لعذاب الله ونقمته وشدة غضبه، وعظيم مؤاخذته، جزاء جرأتهم عليه، واستهانتهم بما لديه.

فاتقوا الله عباد الله، واعملوا جاهدين بطاعته، وحذار من المجاهرة بمعصيته، أو الاستخفاف بعقوبته، فإن تلكم من أسباب الهلكة، وإن زلت بكم القدم فبادروا بإعلام الندم، وأسرعوا بالتوبة وصدق الأوبة قبل فوات الأوان، فكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون، فأصلحوا فساد قلوبكم، واسلكوا نهج السداد في أقوالكم وأعمالكم ومعاملاتكم، يصلح الله لكم أحوالكم، ويحفظ نعمه عليكم، وإلا فإن المعاصي على أهلها مشؤومة، فإنها تقصم الأعمار، وتمحو الآثار، وتسلط الأشرار، وتجلب الأخطار، وتحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء والثمار والديار، وتجلب الحوادث

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٨.

المروعة، والمصائب الفاجعة، والأمراض الفتّاكة، وهي تضر بالقلوب أعظم من ضرر السموم في الأبدان، وكلما أحدث الناس ذنباً أحدثَ الله لهم عقوبة تليق به عدلاً من الملك الديّان ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

بم تطيب الحياة وتُنال السعادة؟

الحمد لله العفو الغفور، الرؤوف الشكور، الذي وفق من شاء من عباده لمحاسن الأمور، وما فيه عظيم الأجور، فعملوا له أعمالاً صالحة، يرجون تجارة لن تبور، ليوفيهم أجورهم، ويزيدهم من فضله، إنه غفور شكور.

وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له رغم أنف كل مشرك كفور، وملحد ومنافق مغرور، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، الذي بعثه الله بين يدي الساعة داعياً إلى هداه، فبشر بكل خير، وأنذر من كل شر، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه إلى آخر الدهر.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله في جميع أموركم، وراقبوه واخشوه في سائر أحوالكم، واعملوا له أعمالاً صالحة، تطيب بها حياتكم، ويحسن بها مآلكم، فإن الله تعالى قد وعد بذلك من كان كذلك، فوعد ووعده الحق، وقال وقوله الصدق: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾[1] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

أيها المسلمون : يخطئ كثير من الناس ممن قل علمه وقصر فهمه، إذ يظنون أن طيب الحياة وسعادة الأبد يتحققان لمن كثر ماله، وتيسرت له متع الدنيا الفانية، من شهي المآكل، وبهي الملابس، وعامر القصور، وفاره المراكب، وكثرة الأموال المخزونة، والأتباع الذين يحفون بالشخص يعظمونه ويخدمونه، ولو خلا قلبه من الإيمان أو ارتكب ما ارتكب من أنواع الكفر والفسوق والعصيان.

والحقيقة ـ أيها المسلمون ـ أن هذا الظن لا يصدر إلا عن معرض عن تدبر القرآن، ولم يكن على علم بما جاء عن النبي ﷺ في هذا الشأن من بيان، وإلا فإن من تدبّر آيات القرآن واطّلع على السنة، وفهمها على نحو فهم السلف الصالح من هذه الأمة؛ يتبين له أن التمتع بطيب المشتهيات، والتوسع في أمور الحياة؛ أمر مشترك بين المسلمين والكفار والأبرار والفجار ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾[1].

وقد ذكر الله سبحانه في غير موضع من كتابه أنه يعطي الدنيا من يشاء من أوليائه المؤمنين، ومن أعدائه المكذبين، وأن من حكمة ذلك ابتلاء الطرفين، وإكرام المؤمنين الشاكرين، واستدراج المكذبين الجاحدين، وأن ذلك كله واقع بمشيئته، وبمقتضى حكمته الدائرة بين الفضل على الشاكرين والعدل في الجاحدين ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٦﴾[2]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٠.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٣٦.

خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾[1].

أيها المسلمون : ومن بيان النبي ﷺ أن بسط الرزق وسعته ليس دليلاً قطعيًا على حظ من بسط له فيه، ولا على سعادته ومحبة الله له، قوله عليه الصلاة والسلام: «الدنيا عَرَضٌ حاضر يأكل منه البر والفاجر». وقوله ﷺ: «إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا من يحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه». بل قد سمى الله تعالى المال الخالي عن صالح الأعمال فتنة لصاحبه وعذاباً، ونهى سبحانه نبيه ﷺ وأتباعه المؤمنين عن مد النظر إليه إعجاباً، فقال سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾[3]. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء».

وهذا يقتضي من العاقل الحذر، وأن يعلم أنه مع سعة الدنيا وبسطتها عليه محفوف بالخطر، فضلاً عن أن يكون ذلك مقياساً لطيب الحياة والسعادة في الدارين، أو مغرياً على الإقامة على المعاصي مع الأمن من عقوبة رب العالمين.

أيها المسلمون : وقد جاء في صحيح السنة أن المكثرين من

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٣٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٥٥.
(٣) سورة التغابن، الآية: ١٥.

المال هم الأقلون يوم القيامة، إلا من بذلها في عباد الله من عن يمينه وشماله ومن خلفه ابتغاء وجه الله، ففي البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا، وقليل ما هم**». وجاء في صحيح السنة أن من خطر الغنى أنه يعوق أهله عن دخول الجنة، أو السبق إليها إن كان من أهلها، ففي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**». وفيهما عن أسامة بن زيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وقفت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين، وأصحاب الجَدِّ ـ يعني الغنى ـ محبوسون، غير أن أهل النار قد أمر بهم إلى النار**». وفي حديث عند الترمذي بسند حسن عنه ﷺ قال: «**يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام**»، وهذا يفسر الذي قبله، وسببه ـ والله أعلم ـ ما يتعلق بالأموال من حقوق، ويلحق أهلها بسببها من تبعات.

أيها المسلمون: ومن المعلوم أيضاً أن الدنيا وإن انبسطت واتسعت، وأتت صاحبها على ما يريد، فإنها محفوفة بالأنكاد والأكدار، والشرور والأخطار، وأنواع المخاوف ومختلف الأضرار، وكلها منغصات للعيش، ومكدرات لصفو الحياة، فلا يهذبها وينقيها ويصرف عن العبد شر ما فيها، إلا الاستقامة على الدين، وأن يعيش المرء فيها مع سعتها عيشة الزاهدين، الموقنين بالرحيل، والعرض على الرب الجليل، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله بما آتاه**». وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**». وهو ما يسد الرمق.

أيها المسلمون : وبذلك يتبين أن طيب الحياة، والسعادة بعد الممات، لا تكون بكثرة الأموال وتنوع الممتلكات، ولا بالتمكن من الشهوات، مع الغفلة عن حق رب الأرض والسماوات، المطلع على الضمائر والنيات، وإنما تكون بطاعة رب العالمين، المبنية على الفقه في الدين، والإخلاص لله ومتابعة الرسول ﷺ من العاملين، وذلك بأداء فرائض الطاعات، وتكميلها بالنوافل المستحبات، واجتناب الكبائر الموبقات، والحذر من الصغائر المحقرات، وترك ما لا يعني، واتقاء الشبهات، وسؤال الله الثبات على الحق حتى الممات.

أيها المسلمون : طيب الحياة وسعادة الأبد، لا تُنال بكثرة العرض، ولا بالإخلاد إلى الأرض، وإنما تنال بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وحلوه ومره، وإخلاص الدين لله رب العالمين، وإقام الصلاة والمحافظة عليها في المساجد مع جماعة المسلمين، وأداء الزكاة والحج والصيام، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وعشرة الزوجة بالمعروف، وحسن تربية الأولاد، وبسط اليد بالنفقات الواجبات والمستحبات على القرابات وذوي الحاجات، والإحسان إلى الأيتام والضعفاء والمساكين، وإغاثة الملهوفين المكروبين والمنكوبين، فإن هذه الأعمال من خصال أهل الإيمان والتقوى، الذين وعدهم الله بكل خير في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾[٢]، وقال تعالى عند ذكر النار: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾[٤]، وقال جلّ ذكره: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[٥].

أيها المسلمون: لقد سبق المتقون إلى كل بر، فحازوا كل خير؛ من شرح الصدر ويسر الأمر، وذهاب الهم وانكشاف الغم، والزيادة من صالح العمل، والسداد في القول، وبركة العمر، وسعة الرزق، والطهارة من سيء الخلق، مع ما لهم عند الله من عظيم الأجر، ورفيع الذكر، ورفعة الدرجات، وحط الخطيئات، وبذلك تطيب الحياة وتتحق السعادة من بين المخلوقات، وتنال الغرف العالية من الجنات، والفوز برضوان رب الأرض والسماوات.

فمن اتقى الله وأدى واجب ما عليه من حق الله، وتزود بنوافل العبادات، وأكثر من فعل المعروف وبذل الصدقات ـ فتح الله له أبواب الرزق، ويسر له أسباب الكسب، وجعل في قلبه القناعة والرضى، اللذين هم أغنى الغنى، ونعم المال الصالح للرجل الصالح، فالعمل الصالح هو همة التقي، والمال الصالح لا يستغني

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٣) سورة الليل، الآيتان: ١٧، ١٨.
(٤) سورة مريم، الآية: ٦٣.
(٥) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.

عنه ولي، والله تعالى يحب المؤمن القوي، والغني التقي، ويحب المؤمن المحترف، ويبغض الفارغ البطال، فمن أخذ المال من حله، وأدى واجب حقه، فنعم المعونة هو إذا لم يشغل عن طاعة الله، أو يبذل في معصية الله، فإن المؤمن التقي يعيش به في نفسه وأهله عيشة راضية مرضية، وحياة سعيدة زكية، قد قنعه الله بما آتاه، ومتعه به متاعاً حسناً في دنياه، ووفقه للاستعانة به على طاعته، وبذله في مرضاته، فقدم بين يديه عملاً صالحاً طيباً يرجو عليه ثواب الله، فاتقوا الله أيها المؤمنون ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١ ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

من التقوى المسارعة إلى الزواج وتيسير أموره

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى فيما تأتون وما تذرون، وراقبوه فإنه سبحانه يعلم ما تسرون وما تعلنون، واحذروه فإنكم إليه منقلبون، وعلى تفريطكم نادمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

أيها المسلمون: إن تقوى الله تعالى هي عبادته بامتثال أمره واجتناب نهيه؛ إخلاصاً لوجهه واقتداءً بنبيه ﷺ، وأمارتها أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك؛ فلا يراك مولاك معرضاً عن طاعته، ولا ملتبساً بمعصيته، فإن جهلت أو غفلت فاقترفت ما اقترفت، فكن سريع الأوبة، مبادراً إلى التوبة، فقد وعد سبحانه التائبين المصلحين بقوله: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٩.

أيها المسلمون : اتقوا الله فقد وعد الله المتقين بصلاح الحال، وجميل العاقبة في المآل، فكل خير وفلاح في الدنيا والأخرى فهو ثمرة من ثمرات التقوى، كما نوهت بذلك الآيات المحكمات العظمى، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾[1]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾[2]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾[3]. ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾[4]. ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٤﴾[5]. ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾[6]. ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝٧٢﴾[7]. ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾[8].

فالمخرج من الضيق، والهداية إلى أقوم الطريق، وسعة الأرزاق، ويسر الأمور، من لدن الرب الكريم الخلاق، وتكفير السيئات، ومضاعفة الحسنات، وحلول البركات، والعافية من العقوبات،

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.
(٥) سورة يونس، الآيات: ٦٢ ـ ٦٤.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٧) سورة مريم، الآية: ٧٢.
(٨) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

وذهاب الخوف والحزن، والعافية من المحن والفتن، وتوالي البشارات من الله بالمسرات، وقبول الأعمال الصالحات، والنجاة من النار، والفوز برحمة من الله ورضوان وجنات تجري من تحتها الأنهار، كل ذلك أساسه التقوى، ونهي النفس عن الهوى، ومجانبة أحوال أهل الشقى، والسير في جميع الأمور على نهج النبي المصطفى، والرسول المجتبى، في المقال والفعال، والنية وظاهر الحال، وصدق الله العظيم إذ يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

أيها المسلمون: التقوى أصل ثابت، وأساس مكين، وركيزة موثوقة، وقاعدة راسخة ينبغي أن تبنى عليها الأعمال، وأن تصدر عنها الأقوال، وأن تنبعث منها الآمال، وتستقيم عليها الأحوال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾[2].

ألا وإن الزواج من المباني المهمة، والمشاريع المؤثرة في حاضر ومستقبل الأمة، والتي ينبغي أن تؤسس على التقوى، وأن يتبع فيه النبي المصطفى، والبعد عن الطغيان واتباع الهوى، وإيثار الحياة الدنيا؛ ليقوم بنيانه شامخاً، ويبقى صرحه راسخاً، فيكون ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3]،

---

(١) سورة النازعات، الآيات: ٣٧ ـ ٤١.

(٢) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

(٣) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

أيها المسلمون: إنه ينبغي أن يكون الدافع إلى التزويج طلب مرضاة الله، وما وعد به من أطاعه واتقاه، والتمتع بالطيبات من نعمه، وانتظار المزيد من فضله وكرمه، في العاجل والآجل، والدنيا والآخرة، فيكون القصد منه غض الأبصار، وحفظ الفروج، وستر العورات، وصيانة الحرمات، وطلب الولد الصالح، وتحصيل ما رتب الله عليه من عظيم المصالح، وتكثير عباد الله، والتسبب في مكاثرة النبي ﷺ بأمته الأمم، والمباهاة، مع ما يترتب على ذلك من نشر النسب والصهر، وما ينبني عليه من تقوية الروابط الإيمانية، وتوثيق الصلات الاجتماعية، والتعاون على البر والتقوى، وقطع ذرائع الفساد والردى، والسلامة من مستعصي الأمراض التي تنشأ عن ارتكاب الفواحش وهتك الأعراض؛ وإحياء سنن المرسلين، والبعد عن نهج الغواة المنحرفين.

فمقاصد الزواج سامية، وغاياته حميدة، وثمراته طيبة، وعوائده مباركة، وخيراته كثيرة، وفوائده وفيرة، فنعم الله به على العباد ظاهرة وباطنة، وآلاؤه عليهم به وافرة سابغة، فما دامت منافعه كذلك فليتعاون أهل الإيمان والتقوى على تحصيل ذلك بتيسير أموره، وتسهيل أسبابه، والدعوة إليه، والإعانة عليه، والترغيب فيه، والمسابقة إليه ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾[2]. وإذا جاءكم من

(١) سورة التوبة، الآية: ١٠٩.
(٢) سورة النور، الآية: ٣٢.

ترضون دينه وخلقه فزوجوه، وانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة، واعلموا أن من بركة المرأة تيسير خطبتها وصداقها ورحمها، وأن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة، ولو كان في كثرة الصداق خير في الدنيا أو مكرمة في الآخرة، لكان أولاكم بذلك رسول الله ﷺ، فيسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا، والقصد القصد تبلغوا، أحسنوا إلى مواليكم، ولا تسيئوا إلى من تحت أيديكم، بل متى ما تقدم إليكم الخاطب، أو جاءكم الطالب، ذو الخلق والدين فزوجوه، فإن في ذلك اتقاء الفتنة ودرء الفساد، ولا بأس بعرض الرجل موليته على من عرف صلاح دينه وسيرته، فقد جاء ذلك في القرآن والأثر كما في قصة شعيب وعمر، إذ ذلك من وضع الشيء موضعه، وأداء الأمانة إلى أهلها، ومن صلحت نيته حسنت عاقبته، ومن اتقى الله وقاه، وأجزل له مثوبته وأحل عليه رضاه، ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢١.

(٢) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٧٠.

الحث على الانتفاع من المال قبل ذهابه

الحمد لله الذي آتانا المال، وجعلنا فيه مستخلفين، وأمرنا بإنفاقه ابتغاء وجهه، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[1].
أحمده سبحانه جعل إنفاق المال في سبيله برهاناً على صدق الإيمان، ودليلاً على صفة الإحسان، وسبباً من أسباب نيل الرضوان، وبلوغ أعلى درجات الجنان.

وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، يحب المتقين، ويجزي المتصدقين، فلا يضيع أجر المحسنين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، كان أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه أئمة المتصدقين وأسوة المحسنين.

أما بعد :

فيا أيها الناس: اتقوا الله وحصنوا أموالكم بالزكاة، واطلبوا زيادتها وبركتها بالصدقات، واعلموا أن الصدقة تطفئ غضب الرب، وتدفع ميتة السوء، وأن كل امرئ في ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس، وهي سترة بين المتصدق وبين النار عندما يجوز الصراط، فاتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة.

أيها المسلمون : إن الله تعالى جعل هذا المال محنة لأقوام

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٣٩.

ومنحة لآخرين، فقد أعطى عباده الخير الكثير والمال والوفير، ليمتحن بذلك إيمان المدعين، فيظهر جود الكرام المحسنين، ويبين بخل الأشحاء الهلعين، فمنهم من يتخذ ما ينفق مغرماً ويتربص بالمسلمين الدوائر ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٩٨ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٩٩﴾[1].

أيها الناس: إن ما بأيديكم من أموال عارية لله عندكم، كانت بأيدي من سبقكم، وستنتقل إلى من بعدكم، فانتفعوا منها ما دامت في أيديكم، فقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة وأن الله تعالى مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون**». وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن الشخير رضي الله عنه قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «**ألهاكم التكاثر؛ يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس**».

وفي صحيح البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله! ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**». وعند الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنهم ذبحوا شاة فتصدقوا بها إلا كتفها فقال النبي ﷺ: «**ما بقي منها؟**» قالت: ما بقي منها إلا كتفها، قال: «**بقي كلها غير كتفها**». وفي الصحيحين أن

---

(١) سورة التوبة، الآيتان: ٩٨، ٩٩.

النبي ﷺ سئل: أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال: «أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا».

فاتقوا الله أيها المسلمون، وانتفعوا من أموالكم ما دامت في أيديكم، بالتقرب إلى الله، والمسارعة إلى ما فيه رضاه، ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾[1]. ابتغوا بأموالكم الضعفاء والمساكين، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم، أنفقوا عليهم من طيبات ما كسبتم ومما أخرج الله لكم من الأرض ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾﴾[2]. فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً، وما تصدق أحد بعدل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل.

أيها المؤمنون: تحروا بصدقاتكم ونفقاتكم الفقراء، وهم كل من لا مال له ولا حرفة ولا وظيفة، والمساكين هم من لهم شيء من ذلك، لكن لا يقوم بحاجاتهم ومؤنتهم، وآثروا بها من كان منهم ذوي القربى؛ فإن الصدقة على ذي الرحم ثنتان، صدقة وصلة، ولا تغفلوا عن جيرانكم منها؛ فإنهم من أولى الناس ببركم وإحسانكم، وإن خير الجيران خيرهم لجاره، وأولاهم بذلك أقربهم منكم باباً، وواسوا بصدقاتكم وزكواتكم المجاهدين الذين يجاهدون الكفار، ويتلقون بصدورهم الحديد والنار، حماية للدين ودفاعاً عن الأعراض،

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٦٧.

ومحافظة على كرامة المسلمين؛ تنفيذاً لما جاء من الأمر بالجهاد بالنفس والمال في الكتاب والسنة، وطلباً لعظيم الأجر وجزيل المثوبة، ورجاء لحسن العاقبة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن، ونفعنا بما فيه من الذكر والهدى والبيان، وحبب إلينا الإيمان، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، وجعلنا من الراشدين، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٩٢.

في الغيرة على النساء ومنعهن من التبرج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبالعمل بطاعته تطيب الحياة، وبالإيمان به وتقواه تنال الخيرات، وتستنزل البركات، وتدفع المكاره والسيئات. أحمده سبحانه ألهم كل نفس هداها ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝﴾[1]. وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، كل الخلائق غداً بين يديه موقوفون محاسبون، وبأعمالهم مجزيون، وعلى تفريطهم نادمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ۝﴾[2]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، النبي الكريم، ذو الخلق العظيم، الذي أثنى عليه ربه، وامتن على العباد ببعثته، في قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝﴾[3]. صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله ربكم، وغاروا على نسائكم ومحارمكم؛ فإن الغيرة صفة إلـٰهية، وخليقة نبوية، وسجية في المؤمنين كريمة مرضية، ففي الصحيح عن النبي ﷺ قال: **«تعجبون من غيرة سعد، والله لأنا أغير منه، والله أغير مني؛ ومن أجل غيرة الله**

---

(١) سورة الشمس، الآيتان: ٩، ١٠.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن».

أيها المسلمون: إن من مظاهر فقد الغيرة السماح بالخروج من البيوت ـ دون حاجة مُلحَّة ـ والمشي في الطرقات، وغشيان مجامع الناس في المساجد والأسواق والمتنزهات، وهن متبرجات غير تفلات، لا مستترات، ولا محتشمات، كما وصف النبي ﷺ أحد أصناف أهل النار من هذه الأمة بقوله: «**نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسافة كذا وكذا**».

فالكاسيات العاريات هن اللاتي يسترن بعض أجسادهن ويكشفن البعض الآخر ـ إظهاراً للزينة المحرمة ورغبة في الفتنة المظلمة ـ إذ يلبسن الملابس الشفافة التي تنم عن اللون، وتفتن العين، أو القصيرة التي تحسر عن الوجه والأطراف، وتكشف عن السيقان والنحور، وتظهر الأذرع والشعور، أو الضيقة التي تبرز حجم الأعضاء؛ فتدعو إلى عظيم المنكر والفحشاء.

فهن بتلك الألبسة «**مائلات**» بأنفسهن عن الحق اختياراً، وإلى الفتنة إصراراً «**مميلات**» للرجال من ذوي القلوب المريضة، والحظوظ المهيضة، بألوان المغريات من ضعف التستر، وفتنة التعطر، والجرأة على محادثة الرجال، أو الخلوة بهم في بعض الأحوال، ولا شك أن ذلك من نقص العقل والدين، الذي وصفهن به الرسول الأمين، فإن نقص العقل مظنة التفريط والتقصير وقصر النظر، وذلك دافع إلى الانسياق بالعاطفة دون تحكيم للعقل، وإلى تحكيم الرغبة الجامحة دون مبالاة بالعواقب، ونقص الدين لا يحجز صاحبه عن اقتراف المآثم، وربما أوقعه من الجرائم في عظائم.

فاتقوا الله عباد الله في النساء، وغاروا عليهن، وقوموا بما أوجب الله عليكم نحوهن، فإن الله تعالى قد جعلكم عليهن قوامين، ورعاة لهن مؤتمنين، بما فضل الله بعضكم على بعض، وبما أنفقتم من أموالكم، فخذوا على أيديهن وعلموهن وهذبوهن وأدبوهن، وأصلحوا ما اعوج من أخلاقهن ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[1].

أيها المسلمون: اسمعوا وصية الله لكم، وأطيعوه فيما أمركم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2]. مروا نساءكم بما أمرهن الله به، وألزموهن التقيد به، مروهن بتقوى الله فلا يخضعن بالقول؛ فيطمع الذي في قلبه مرض، وأن يقلن قولاً معروفاً، وأن يقرن في بيوتهن، ولا يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى، وأن يقمن الصلاة، ويؤتين الزكاة، ويطعن الله ورسوله؛ ليذهب الله عنكم الرجس ويطهركم تطهيراً.

وكما أن على نسائكم عند الحاجة إلى مخاطبة الرجال الأجانب أن يقلن قولاً معروفاً لا خضوع فيه، فعليهن أيضاً أن يكن من وراء حجاب يسترهن؛ من جدار أو جلباب أو نحوهما، قطعاً لذريعة الفساد والارتياب، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن، فألزموهن بذلك درءاً للفتنة، وحذراً من المفسدة، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا

---

(١) سورة النساء، الآية: ٣٤.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.

يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1]. والجلباب ثوب أو عباءة تطرحه المرأة على بدنها، يسترها من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها؛ لتعرف بالتقوى وبالعفة والشرف، فلا تؤذى من قبل المنافقين والمفسدين، فألزموا نساءكم بذلك، وأبشروا بواسع المغفرة وعظيم الرحمة، وكان الله غفوراً رحيماً.

أيها المسلمون : وفي غض الأبصار، وحفظ الفروج، راحة للقلوب من الحسرات، ونور يجعله الله لمن غض بصره يمشي به في الناس وفي الظلمات، وصدق فراسة يكون بها صاحبها من المتوسمين، ويفتح الله له أبواباً من الفقه في الدين، ويؤتيه الله قوة في الحق، وسروراً في القلب، ويحرره ربه من أسر الشهوات، ويسد عنه أبواب جهنم؛ فلا يفضي إلى ما فيها من دركات. فغضوا من أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وقولوا لنسائكم: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ـ أي مما لابد من ظهوره كأعلى الثياب أو ما كان دون قصد، إذا لم تتسبب في إظهاره؛ حتى يسترن شعورهن ووجوهن ونحورهن وصدورهن وأعجازهن ـ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُواْ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ـ أي من لا رغبة له في النساء ولا يخشى عليهن منه ـ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ـ أي لا يتحركن على الأرض بحركة تلفت الانتباه وتثير الفتنة، فتظهر صوت الحلي من خلخال ونحوه، ويدخل في ذلك الكعب العالي من

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٩.

النعال ـ ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾(١).

أيها المسلمون: تبرج النساء ضرر عظيم، وخطر جسيم، يخرب الديار، ويجلب على أهله الخزي والعار، فإنه يخيب الآمال، ويحرق قلوب النساء والرجال، ويدعو إلى الحرام وترك الحلال، فكم أوقع من فتنة، وكم جر من مصيبة، وكم فرق بين حبيب وحبيبه، وكم دنس من شرف، وأوقع في تلف، وأحل في المجتمع من دمار، وجر من بشر إلى النار. فاحذروا التبرج عباد الله، وحاربوا وابغضوا من دعا إليه ولا تحبوه، واقطعوا جميع الوسائل التي تغري به، وسدوا ذرائعه قبل حلول المصيبة.

أيها المسلمون: فكروا في الأمر ما دمتم في وقت الإمكان، واستدركوا التقصير بالإصلاح قبل فوات الأوان، وتفكروا ما الذي أصاب العقول حتى رضي الرجل لنسوته أن يصبحن فتنة للناس، في التبرج في اللباس؟ وما الذي حل في القلوب فأذهب الغيرة منها، حتى رضي الرجل لزوجته وقريبته أن تخلو بالأجنبي في حال غيبته؟ أما علم أن النبي ﷺ حذر من الدخول على النساء، ونهى عن الخلوة بهن، وأخبر أن المرأة إذا خرجت من بيتها استشرفها الشيطان، أم أن العفة والفساد قد صارا عنده سيان؟

فتفكروا عباد الله في العواقب، واحذروا أن تحل بكم عظيم المصائب. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ

(١) سورة النور، الآية: ٣١.

خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾[(١)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الأنفال، الآيتان: ٢٤، ٢٥.

في اللباس فيما يحل منه وما يحرم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واشكروه على ما أولاكم من النعم، ودفع عنكم من النقم، فكم رزقكم من الطيبات، وعافاكم من المصائب والبليات، ومن ذلك ما أنزل لكم ربكم من أنواع اللباس؛ لكي تستتروا به وتتجملوا به بين الناس، كما قال سبحانه مذكراً لكم لعلكم تشكرون: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1].

فقد امتن سبحانه على عباده بأن أوجد لهم لباساً يسترون به عوراتهم، ويجملون به ظاهر هيئاتهم، وذكرهم لباساً أحسن منه وهو لباس التقوى، الذي يجمل ظاهرهم وباطنهم في الدنيا والأخرى، ولباس التقوى هو الإيمان، الذي يجعل المرء يتقي ربه فيلازم

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

طاعته، ويبتعد عن معصيته، ويستعين بنعمه على تحقيق مرضاته، ويحذر أن تكون ذريعة إلى تعدي حدوده وانتهاك حرماته، وتقوى الله سبب لسعة الرزق، ويسر الأمر، وتكفير السيئة، وعظم الأجر، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾[2]. فاتقوا الله في جميع أموركم، واعملوا له شكراً، واتقوه في ملابسكم، لا تكسبوا بها وزراً.

أيها المسلمون: إن هذا اللباس بجميع أصنافه وأشكاله من الزينة التي أخرجها الله وأباحها لعباده، ولقد أنكر سبحانه على من حرم شيئاً منها دون برهان، أو تجاوز منها ما جاء به الشرع في شأنها من بيان، كما قال سبحانه في ذكره المصون: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣٢﴾[3].

فأضاف سبحانه الزينة إليه امتناناً علينا بنعمته، وتنبيهاً لنا أن نتقيد فيها بأحكام شريعته، فلا نتحكم فيها بتحليل أو تحريم، أو نستعملها فيما يخالف الشرع الحكيم ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٤، ٥.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٣٢.

حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾[١].

أيها المسلمون : إن الأصل في اللباس الإباحة؛ فإنه داخل في عموم قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[٢]. فكله حل لنا إلا ما قام الدليل من الشرع على تحريمه، ولهذا كان المحرم من اللباس قليلاً بالنسبة للحلال، عطاءً من ذي الفضل والجلال، وعطاؤه سبحانه أوسع من منعه، وهو تعالى لا يمنع عباده من شيء إلا لحكمة بالغة، ومصلحة جامعة، فإنه ذو الرحمة الواسعة، وهناك ضوابط توضح المحرم من اللباس، ينبغي أن يعلمها جميع الناس، وأن يسألوا أهل العلم عما أشكل عليهم أمره حتى يزول الالتباس.

أحدها: ما فيه تشبه بالكفار، كالزي الخاص بهم، أو ما فيه لهم إشارة أو شعار، فإن تحريم التشبه بالكفار في اللباس من الأصول المهمة، التي توافرت بشأنها الأدلة، واشتهر عند سائر الأمة، فكل لباس يختص بالكفار لا يلبسه غيرهم، فلا يجوز للمسلم رجلاً كان أو امرأة لبسه، سواء كان لباساً شاملاً للجسم كله أو لعضو منه، لقوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم». فإن التشبه بهم يقتضي شعور المتشبِّه بأنهم أعلى منه، فيعجب بصنعيهم ويفتن بمشاكلتهم، حتى يجره ذلك إلى اتباعهم في العقائد والأعمال والعوائد والأحوال. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»: أقل أحوال هذا الحديث التحريم، وإن كان ظاهره يقتضي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٩.

كفر المتشبه بهم.

الثاني: ما يظهر العورة لضيقه أو شفافيته أو قصره؛ فإن الله سبحانه امتن علينا باللباس الذي من فوائده ستر العورة وأخذ الزينة، إذ يقول: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ أي ليستر عوراتكم ﴿ وَرِيشٗاۖ ﴾[1] أي زينة. فإذا كان اللباس لا يستر العورة فإنه لا يتحقق به التمتع بالمنة ولا التجمل بالزينة، فيجب على الرجال والنساء كل بحسبه ستر عوراتهم، والستر لا يقصد به تغطية البشرة فقط، بل يتعداه إلى تغطية الأعضاء المحكوم شرعاً بأنها عورة لابد من سترها عن أنظار الناس، سواء منها ما يختص بالصلاة بحيث يكون اللباس واسعاً ـ نسبيًا ـ سميكاً سابغاً، فلا ينحسر عن العورة، ولا يصفها لضيقه أو صفاقته أو شفافيته، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[2]. فالزينة هي اللباس، والمراد بالمسجد الصلاة، فأمر سبحانه العباد أن يلبسوا أحسن ثيابهم وأجملها في الصلاة؛ للوقوف بين يديه، ومناجاته والتذلل له. والتجمل في اللباس مطلوب من المسلم بما أباح الله له من غير إسراف ولا تبذير ولا تكبر ولا مخيلة.

الثالث: التشبه من الرجال بالنساء أو العكس؛ فكل لباس يختص بأحد الجنسين سواء كان شاملاً لجميع الجسم كالقميص ونحوه، أو مختصاً بعضو منه كالسراويل وغطاء الرأس، أو الأطراف كالحذاء والجوارب، في لونه أو هيئته؛ فإنه لا يجوز للجنس الآخر

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

لبسه؛ لما ورد من النصوص الصحيحة الصريحة في وعيد المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال، ففي البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبس المرأة، والمرأة تلبس لبس الرجل». فما جرى العرف الذي لا يخالف الشرع عليه بأنه من لباس النساء في نوعه أو لونه أو هيئة تفصيله وخياطته، فلا يجوز للرجال لبسه، وهكذا ما تُعُورِف عليه بأنه من لباس الرجال الخاص بهم فلا يجوز للنساء لبسه، ولو على سبيل الهزل أو التمثيل في المناسبات؛ حتى لا يتعرض المسلم للعن، وهو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، قال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله: «لقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم جنة عرضها السماوات والأرض».

فمن راعى الضوابط السابقة، فكان لباسه شرعيًا لا مخالفة فيه بوجه من الوجوه، فلا حرج عليه أن يختار ثوبه ونحوه مما يحلو له، رجلاً كان أو امرأة بشرط تجنب الشهرة، وليس ثم مانع أن يكون من الأمة من هم أكثر ورعاً يتحرون الأفضل والأكثر ستراً؛ فإن الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، من وقع فيها وقع في الحرام على الدوام.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستعينوا بنعم الله على طاعته، ولا تجعلوها سلماً لمعصيته في ارتكاب مخالفته؛ بل اشكروا نعمه، واحذروا نقمته، وأخلصوا عبادته، وأقيموا فرائضه، واحفظوا حدوده

﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد الولي الحميد، الواسع المجيد، حكم عباده كوناً وشرعاً بما يريد. أحمده سبحانه قضى لعباده ما تقتضيه حكمته، ودلهم على ما تعمهم به رحمته، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين، ذو الرحمة الواسعة فهو أرحم الراحمين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضل الخلق أجمعين، أعلم الخلق بالله رب العالمين، وأتقاهم له وأنصحهم لعباده المؤمنين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعهم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين. ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.
(٢) سورة الحشر، الآية: ٧.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

أما بعد :

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتدرعوا بلباس التقوى، وهو ما يستعين به العبد ويتقي به محارم الله؛ فإنه ستر وزينة في هذه الدار، ووقاية يوم القيامة من النار، وابتغوا هدي نبيكم ﷺ فإنه خير الهدى، وإياكم وهذه التقاليد العمي المستوردة، التي لا خير فيها ولا بركة.

أيها المسلمون : إن كثيراً من الناس غرتهم الحياة الدنيا، فخلعوا لباس التقوى، وتساهلوا في الأحكام، واجترؤوا على المعاصي، وتعدوا الحدود، واستحلوا الحرام، ومن ذلك التقصير في الواجب من اللباس، أو الإنفاق على لبسة محرمة يعلم تحريمها أكثر الناس، فمن الناس من يتساهل في ستر الواجب من العورة في الصلاة، فإن عورة الرجل من السرة إلى الركبة، والمرأة كلها عورة في الصلاة إلا وجهها إذا لم يكن عندها رجال أجانب، وقد ابتلي الناس في هذا الزمان بملابس خفيفة لا تستر العورة، وقل من يحتاط منهم لدينه وصلاته، فتجد بعضهم يصلي في ثوب شفاف تحته ملابس داخلية تنحسر عن أسفل ظهره إذا ركع أو سجد، وكذلك سراويل تقصر عن الركبة فيظهر شيء من عورته يخل بصلاته وهو لا يشعر، فلابد للمسلم في هذا الزمان أن يكون ثوبه ساتراً، أو تكون ملابسه الداخلية طويلة سابغة؛ حتى لا يظهر ما أسفل سرته أو فوق ركبته؛ فإن من صلى بثوب خفيف يُرَى من ورائه لون الجلد فلا صلاة له. وكلما كان اللباس أكمل في هيئته وستره وحاله فهو أفضل، حتى قال أهل العلم: إن الأفضل أن يصلي المرء ساتراً رأسه؛ فإن الله أحق أن

يُتجمل له.

أيها المسلمون : ومن اللباس المحرم على الرجال خاصة: ما كان أسفل من الكعبين، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إزرة المسلم إلى نصف ساقه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين، وما كان أسفل من ذلك ـ الكعبين ـ فهو في النار، ومن جر ثوبه ـ إزاره ـ بطراً لم ينظر إليه يوم القيامة**». فلا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسبل شيئاً من ثيابه أسفل من الكعبين. قال ابن عمر رضي الله عنهما: ما قال النبي ﷺ في الإزار فهو في القميص. قلت: وكذلك السراويل والعباءة والبشوت ونحوها، فقد توعد النبي ﷺ المسبل بالنار، ولا وعيد إلا على فعل محرم وكبيرة من الكبائر.

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**». قالها ثلاثاً، فقال أبو ذر: خابوا وخسروا. من هم يا رسول الله؟ قال: «**المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب**». ودخل غلام من الأنصار على عمر رضي الله عنه حين طعن يثني عليه ويهنئه بالشهادة، فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، فقال: ردوا عليَّ الغلام، فردوه عليه، فقال: «يا ابن أخي! ارفع ثوبك؛ فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك».

أيها المسلمون : ومن الألبسة المحرمة: ما شاع عند عامة الناس اليوم؛ حيث يُلبسون بناتهم ونساءهم لباساً قصيراً أو شفافاً يصف اللون، أو ضيقاً يبين تقاطيع الجسم وحجم الأعظاء، وهذا هو لباس أهل النار كما بيَّن ذلك النبي ﷺ حيث ذكر أحد أصناف أهل النار،

فقال: «نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا». فإن هذا من شر اللباس، فإنه يعري المرأة من الحياء، ويجعلها فاتنة مفتونة، وهو من عادات الضلال من اليهود والنصارى وعباد الأوثان، فاتقوا الله عباد الله، وامنعوا نساءكم من لباس أهل النار؛ حتى لا يَعْتَدنه فيصبحن من أهل النار، المحرمة عليهم الجنة وريحها، عياذاً بالله من ذلك.

أيها المسلمون : ومن اللباس المحرم: الذي فيه صور لذوات الأرواح، فإن النبي ﷺ دخل على عائشة رضي الله عنها فرأى وسادة فيها تصاوير، فقام على الباب ولم يدخل، فعرفت عائشة رضي الله عنها في وجهه الكراهة، فقالت: يا رسول الله! أتوب إلى الله وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ فقال: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة فيقال: أحيوا ما خلقتم، ثم قال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة».

فلا يجوز لمسلم أو مسلمة أن يلبس ما فيه صور، أو يلبسه ولده من ذكر أو أنثى، وكذلك ما فيه التصاليب، إلا أن يكون ممتهناً، ولا تحل الصلاة فيه، فمن صلى بثوب فيه صورة فلا صلاة له، إلا إن كان لا يدري، وهكذا كل من صلى في ثوب محرم فلا صلاة له، بل يجب طمس الصور بحيث لا تبقى معه الروح، فإن كانت الصورة مجسدة قطع رأسها، وإن كانت نقشاً طمس بصبغ أو تطريز، ففي صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال لأبي الهياج الأسدي: «ألا

أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً ـ وفي لفظ: صورة ـ إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته».

أيها المسلمون: ومن اللباس المحرم: مشاركة بعض الرجال للنساء فيما خصهن الله به من الزينة كالحلي، فقد صح أن النبي ﷺ أخذ حريراً وذهباً فقال: «هذان حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم» فالحلي زينة للنساء يكمل به خلقهن ويتجملن به لأزواجهن، قال تعالى: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ وَهُوَ فِي ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٖ ١٨﴾[1]. فالمرأة ضعيفة تحتاج إلى الزينة. وتجد من الرجال من يتنازل عن رجولته ويهجر ما فيه كماله من شهامة وكرم ونظر فيما يصلح دينه ودنياه، ويشابه النساء بلبس خاتم من ذهب يسمونه الدبلة، أو سلسالاً من ذهب في عنقه كأنها قلادة، أو يجعلون من الذهب أزارير مرصعة في جيوبهم، والذهب محرم على الرجال متوعد عليه بأشد الوعيد، فإن لبس الرجال له من الكبائر. ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه وطرحه وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده». ورأى النبي ﷺ رجلاً آخر في يده خاتم من ذهب فأعرض عنه وقال: «إنك جئتني في يدك جمرة من نار». وفي مسند أحمد عن النبي ﷺ قال: «من مات من أمتي وهو يتحلى بالذهب حرم الله عليه لباسه في الجنة».

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(١) سورة الزخرف، الآية: ١٨.

عباد الله! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

* * * *

(١) سورة النحل، الآية ٩٠.

التذكير بمناسبة الإجازة الصيفية

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا ربكم تعالى حق التقوى، فإن حق التقوى أن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يذكر فلا يُنسى، فاستعينوا بنعم ربكم على طاعته، وإياكم وبذلها في معصيته، أو تضييع شيء من حياتكم في غير عبادته وما يوصلكم إلى مرضاته وجنته، فإن الحياة لحظات محدودة، وأنفاس معدودة، والأعمال من ربكم مشهودة، وغداً يقول الغافل عن الأجل، والمفرط في صالح العمل: ﴿رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[1]. ثم إنكم بعد ذلك بين يدي ربكم موقوفون فمحاسبون، وبأعمالكم مجزيون، وعلى تفريطكم نادمون ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾[2]. فحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتأهبوا للعرض

---

(١) سورة المنافقون، الآيتان: ١٠، ١١.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.

الأكبر على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾[(١)].

أيها المسلمون : إنكم مسؤولون عن نعم الله عليكم: ماذا قابلتموها به من شكره وعبادته ومحاسبون على تقصيركم في الاستعانة بها على ذكره وطاعته، ويا ويح من بذلها في سخطه ومعصيته، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾[(٢)]. روي عن النبي ﷺ ما يفيد أن الناس يسألون عن شبع البطون، وبارد الشراب، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. وثبت أن النبي ﷺ خرج يوماً من منزله بسبب الجوع فلقي أبا بكر الصديق رضي الله عنه في الطريق، فسأله ما أخرجه، فقال: الجوع، ثم لقيا عمر رضي الله عنه فسألاه عما أخرجه، فقال: الجوع، فمضوا حتى أتوا نخلاً لأحد الأنصار رضي الله عنهم ففرح بهم فضيفهم، ذبح لهم شاة وقدم لهم عذقاً من النخل فيه بسر ورطب وماءً بارداً، فلما أكلوا وشربوا من الماء البارد قال ﷺ: «هذا من النعيم الذي ستسألون عنه يوم القيامة».

أيها المسلمون : وإذا كان الإنسان مسؤولاً عن الشبعة والشربة التي لم يعانِ في تحصيلها مشقة، ولم يبذل فيها نفقة، فكيف بما نتمتع به هذا الزمان من ألوان النعم، وأصناف المنن، من ذي الجود والكرم؟ لقد منحنا الله منحاً كريمة، وأسبغ علينا نعماً عظيمة: عقيدة صحيحة، وديناً قويماً، وعلماً أثريًا أصيلاً، وصحة في الأبدان، وأمناً في الأوطان، ووفرة في الأرزاق، مع الإلفة والاجتماع على الخير والوفاق، ورفاهية في الملابس والمآكل والمشارب، وراحة في

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ١٨.
(٢) سورة التكاثر، الآية: ٨.

المساكن والمراكب، وطمأنينة في النفوس، وكم لنا فيما يجري حولنا من العبر والدروس، وراحة من الهموم المقلقة المنغصة، وفراغاً من الأشغال الشاقة المتعبة، وهذه والله نعم كبرى قد نزعت من كثير ممن حولنا من الأمصار، وحتى خلت منها أوطان وأقطار، وما ذلك إلا بسبب كفرهم لها، ومكرهم بها، آناء الليل وآناء النهار، فاشكروا ربكم على سوابغ نعمه، واسألوه المزيد من فضله وجوده وكرمه، واستيقنوا أنكم عنها مسؤولون، وانظروا فيما به غداً ستجيبون، فأعدوا للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً؛ فإن كثيرين من الناس قد صرفوا أعمارهم وأموالهم وما متعهم الله به في غير طاعته، وهذا خسران مبين، وأخسر منهم من بذل هذه الأشياء في معصية رب العالمين، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: «**لا تزول قدما عبد حتى يُسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**».

أيها المسلمون: لقد ذكركم ربكم بشيء من جلائل نعمته، وحثكم على شكرها والاستعانة بها على طاعته، بعد أن أمركم بسرعة الاستجابة لدعوته، وحذركم مما يصيب به الظالمين من فتنته وشديد عقوبته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١].

---

(١) سورة الأنفال، الآيات: ٢٤ ـ ٢٦.

ولقد توعد ربكم بشديد العذاب من كفر كما وعد بالمزيد لمن شكر: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[1]. فاحذروا عباد الله من كفر النعم، فإنه موجب للزوال والنقم، واستعيذوا به من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، فإن الفتن سلابة للنعم الكبرى، مورثة للمصائب العظمى.

أيها المسلمون: إن كثيرين من الناس اليوم بنعم الله يتمتعون، وبكفرها يجاهرون، فلا ينسبونها إلى الله، ولا يستعينون بها على طاعته وهداه، ولا يتقون ما يسخطه ويأباه، فتجدهم يشبعون ويتمتعون بأصناف النعم، ثم يضيعون فرائض الصلوات، ويرتكبون جهرة عظيم المنكرات، ويمضون أوقاتهم ويهلكون أموالهم في اللهو والغفلة وأنواع المنكرات ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾[2].

فكم من الناس من يسهر الليالي الطوال على قبيح الأفلام، وكم منهم من يشغل المجالس بفاحش الكلام، وكم من الناس من يغتنم الإجازة للخروج للبراري والمتنزهات؛ ليقيموا فيها أياماً مسرفين في الطيبات، ويباشر ـ والله يراه ـ فظيع المحرمات، وربما سهروا على عزف وغناء ترتج منه الأرض والفضاء، ويضج من جاورهم من صالح العباد إلى الله في الدعاء، يشكو إليه أذى هؤلاء ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[3].

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٨.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين».
فالمجاهر بالمعصية ليس في عافية، بل هو عرضة للعقوبة التي قد تحل به فجأة و«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته». متفق عليه ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[1].

أيها المسلمون: ومن الناس من يسافر في الإجازات إلى بلاد الشرك والفساد، ومواطن الإلحاد، وشرار العباد، ليخلي بين نفسه وبين ما تشتهي من الشهوات المحرمة، والأفعال القبيحة، والمظاهر المخزية، في مواخير الزنا، وحانات الخمور، وأماكن عظائم الأمور، بعيداً عن أنظار أهل الخير، وربك بما يعملون خبير ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

أيها المسلمون: إن قصد ديار الكفار لغير غرض شرعي ترجحت مصلحته ـ ضرر محض على الدين والنفس والعرض؛ فإنه مع مظنة الوقوع في أنواع الفواحش والمنكرات، وتضييع الفرائض والواجبات، مخاطرة بالنفس بتعريضها لمواطن الهلكات، فضلاً عما يحيط بالمرء من أخطار لصوص القلوب، ولصوص الجيوب، والإقامة بين ظهراني الكافرين والمشركين بعلام الغيوب، ولقد برئ النبي ﷺ من مسلم يقيم بين ظهراني الكافرين، ووصف الله تعالى الذين ماتوا في ديار الكفر مع القدرة على الهجرة بالظالمين، وتوعدهم بالنار مع الخاسرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ

---

(١) سورة هود، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٤٢.

فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة الحشر، الآيتان: ١٨، ١٩.

في توديع العام المنصرم وأهم أحداثه

الحمد لله مسيِّر الأزمان ومدبِّر الأكوان، يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن، ولا يشغله شأن عن شأن، أحمده سبحانه هو العفو الغفور، الحي القيوم على مر الدهور وكر العصور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، الملك العظيم الذي منه المبتدأ وإليه المآب، جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً، وقدَّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب، وجعل الليل والنهار خلفة ليذكر ويشكر أولو الألباب، الذين يعلمون أن الدنيا دار عمل واكتساب، وأن الآخرة دار جزاء وثواب، وأن مردهم إلى الله وهو سريع الحساب وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدِّين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله وخذوا من تعاقب الليالي والأيام، وتصرم الشهور والأعوام، أعظم العبر وأبلغ العظات؛ لتنتفعوا من ذلك ما دمتم على قيد الحياة، بالتوبة إلى الله من الزلات، والاجتهاد في أنواع الطاعات، والمنافسة في جليل القربات، وما يوصل إلى رفيع الدرجات، قبل الفوات وحصول الحسرات على عظيم الهفوات.

أيها الناس: ألا ترون أن الليل والنهار يتراكضان تراكض

البريد، فيقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، ويأتيان بكل موعود؟ وأنكم بمرورهما في آجال منقوضة، وأعمال محفوظة، فالأعمار تفنى، والآجال تدنى، وصحائف الأعمال تطوى، والأبدان في الثرى تبلى، أليس في ذلكم للعاقل أعظم العبر وأبلغ العظات؟.

أيها المسلمون: ألا ترون أنكم في هذه الحياة تتقلبون في أسلاب الهالكين، وستذهبون رغماً عنكم وتورثونها لخلفكم اللاحقين؟ وها أنتم في كل يوم تشيعون منكم غادياً ورائحاً إلى الله عز وجل، قد قضى نحبه ومضى حقًّا إلى ربه، فتودعونه، وتدعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنيًّا عما خلف، فقيراً إلى ما أسلف، أليس في ذلكم معتبر، وعن الغي مزدجر؟ فاتقوا الله يا أولي الألباب ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

أيها المسلمون: إن لكل شيء بداية ونهاية، وإن نهاية عامنا قد أوشكت على الاقتراب، فقد آذن عامنا بالرحيل وولى الأعقاب، وإن هذا الرحيل ليترك في النفوس عظيم الحزن، وبليغ الأسى، على جزء من العمر قد انقضى، وتصرم ومضى، في غير طاعة للمولى، وربما في مقارفة بعض الذنوب، واتباع الهوى، وإن عامكم الذي انقضت أيامه ولياليه، وطويت صحائفه على ما تحويه، قد مضى فلا يمكنكم رد شيء مما فيه، أو إصلاحه وتلافيه، إلا بالتوبة الصادقة والندم على ما كان، والرجوع حقًّا إلى الملك الديان، فاستدركوا ما مضى بالتوبة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

وصدق الأوبة، فوالله لا خير في الحياة إلا لتائب إلى ربه من الزلات، وعبد مخلص لله في عمل الصالحات، ومسابق إلى رفيع الدرجات.

أيها المسلمون : وكم في النفوس من لوعة على فراق أحبة لنا مضوا خلال العام راحلين، وانقطع ذكرهم وما أملوا وغدوا أثراً بعد عين، رجال طالما انتظروا الصلاة بعد الصلاة، وطالما لهجوا بتلاوة الآيات، وعمروا الأوقات بجليل الطاعات وعظيم القربات، مجالستهم تزيد الإيمان، ورؤيتهم تذكر بالرحمـٰن، وكان وجودهم بين ظهراني المجتمع أمنة للناس وصمام أمان، فاستلوا من بيننا دون اختيار، ومضوا إلى الواحد القهار، وإن في الله عزاءً من كل مصيبة، وجبراناً من كل نقيصة، وخلفاً من كل فائت، فاللهم اغفر لهم أجمعين، وارفع درجتهم في المهديين، واخلفهم في عقبهم في الغابرين، واغفر لنا ولهم يا رب العالمين، وأفسح لهم في قبورهم، ونوِّر لهم فيها، وارحمنا إذا صرنا إلى ما صاروا إليه يا أرحم الراحمين.

أيها المسلمون : وكم من أهوال عظام، وأحداث جسام، مرت بنا خلال العام، أقضَّت المضاجع، وأفزعت القلوب في الهواجع، من ظلم الظالمين، وإفساد المفسدين، وتخريب المجرمين، الذين عاثوا في الأرض الفساد، وخربوا البلاد، وشردوا العباد، وأرملوا النساء، وأيتموا الأولاد، وانتهكوا الحرمات، وهمُّوا بالإلحاد في المقدسات، وفتنوا الناس في الدين، وشتتوا شمل المسلمين، فأخذهم الله أخذ عزيز ذي انتقام، وجعلهم عبرة للأنام، ونصر أهل الإسلام، بحوله

وقوته وبما سخر سبحانه من الوسائل والجنود، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر، فاشكروا الله على هذا الإنعام.

أيها المسلمون : وكم مر بالأسماع من الزلازل العنيفة، والفيضانات المروعة، والمجاعات المخيفة، والفتن المهلكة؛ ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾[1] ، ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾[2] . ﴿ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٢﴾ ﴾[3] . ﴿ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ﴾[4] .

أيها المسلمون : إن تغير الأحوال، وانقضاء الآجال، وانقطاع الأعمال والآمال، وما يحدث من الفواجع والأهوال، وما ينزل الله من الألطاف بالمسبحين له في الغدو والآصار، كل ذلك مما يشعر بعجز المخلوق وضعفه وشدة حاجته وافتقاره إلى خالقه ومولاه ومعبوده وحده دون من سواه، ويحفز العاقل على الرجوع إلى ربه والتعلق به وحده، والتمسك بدينه والسير إليه على هدي نبيه ﷺ، وملازمة تقوى الله في سائر الأحوال، فإنها عنوان السعادة وسبيل الفلاح، فالدنيا محفوفة بالأنكاد والأكدار، والشرور والأخطار، ولا يهذبها ويصفيها ويسلِّم العبد من شر ما فيها إلا الاستقامة على الدين،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٦١.
(٢) سورة الرعد، الآية: ٣١.
(٣) سورة الحشر، الآية: ٢.
(٤) سورة التوبة، الآية: ١٢٦.

والاستعانة بما فيها على طاعة رب العالمين، كما قال تعالى في كتابه المبين: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾[1].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾[2].

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا فرص الحياة فيما يقربكم إلى الله، وليكن لكم من مرور الليالي والأيام، وتصرم الشهور والأعوام، وما يحدث في طياتها من الحوادث الجسام والأهوال العظام، عبرٌ ومزدجر وعمل صالح تجدون ثوابه عند الله مدخراً. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[3].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة طه، الآيتان: ٨١، ٨٢.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٣) سورة الحشر، الآيتان: ١٨ ـ ٢٠.

في الذكرى بمضي الأيام وتصرم الأعمار

الحمد لله الذي حكم بالفناء على أهل هذه الدار، وهدم بالموت مشيد الأعمار، وأخبر أن الآخرة هي دار القرار، أحمده سبحانه حمداً يبلغ رضاه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له فلا معبود بحق سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ومصطفاه، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه أبداً على هداه.

أما بعد:

أيها الناس: اتقوا الله تعالى تقوى من آمن به وأيقن أن مرجعه إليه وحسابه عليه، فعمل بطاعته وشكر نعمته، واتقاه وتوكل عليه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ۝٣﴾[1]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾[2]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾[3]. وقد كتب الله للمتقين النجاة من النار، وضمن لهم الجنة فنعم عقبى الدار ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ۝٥٥﴾[4].

أيها المسلمون: إن الله تعالى جعل الليالي والأيام مواقيت

---

(١) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) سورة الطلاق، الآية: ٤.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ٥.

(٤) سورة القمر، الآيتان: ٥٤، ٥٥.

للأعمال، ومقادير للآجال، وهي تنقضي جميعاً، وتمضي سريعاً، والذي أوجدها وقدر ما فيها باقٍ لا يزول، ودائم لا يحول، وأما الخلق فمصيره في هذه الدار للذهاب، وكل ما على صعيد الأرض كائن للتراب ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧ ﴾(١). وها أنتم تودعون عاماً قد انقضى، وجزءاً من العمر قد مضى، قد تولت لحظاته، وبقيت أرباحه وتبعاته، فيا سعادة المتقي يوم لقاه، ويا خسارة من شقي يوم ينظر المرء ما قدمت يداه، ذهبت لذة المعصية وحلاوتها، وبقيت تبعتها ومرارتها، وذهب نصب العبادة، وبقي عند الله ثوابها من الحسنى والزيادة.

عباد الله : كل شهر يستهله الإنسان ويستكمله يدنيه من أجله، ويقصيه عن أمله، ويبعده عن ضيعته، ويقربه من آخرته، وغداً توفى النفوس ما عملت، ويحصد الزارعون ما زرعوا ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾(٢). ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠ ﴾(٣). وما من ميت يموت إلا ندم، فإن كان محسناً ندم ألا يكون ازداد، وإن كان مسيئاً ندم ألا يكون استعتب، أي تاب وأصلح واعتذر. رؤي بعض الموتى في المنام فقال: ما عندنا أكثر من الندامة، ولا عندكم أكثر من الغفلة، ورؤي آخر فقال: ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل، وأنتم تعملون ولا تعلمون، والله التسبيحة أو التسبيحتان أو ركعة أو ركعتان

---

(١) سورة الرحمن، الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) سورة الزلزلة، الآيتان: ٧، ٨.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

في صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها.

أيها المسلمون: المؤمن لا يزيده عمره إلا خيراً، والفاجر لا يزيده عمره إلا شرًّا، فخيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وساء عمله، فلئن صارع المرء في عنفوان شبابه الشهوات والصبوات، وكان له مع الشيطان مغامرات وجولات وكرات وفرات، فإن من فسح الله له في أجله، ومد له في عمره، قد خصه الله بمزيد من فضله وكرمه، فله في بقية عمره فرصة يأخذ فيها من نفسه لنفسه، ويتوب إلى الله من سيء عمله قبل يوم رمسه، فقد أعذر الله إليه إذ فسح له في الأجل، ومكنه من صالح العمل ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾[١].

فخذوا عباد الله بالأهبة للرحيل، فإن العمر مهما طال فهو قليل، وعند الله غداً المقيل.

أيها المسلمون: روي عن الحسن رحمه الله أنه قال: ما من يوم ينشق فجره إلا نادى مناد من الله: يا ابن آدم: أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني بصالح العمل، فإني لا أعود إلى يوم القيامة. وروي عنه أنه قال: إن الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت، فقال: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[٢]، وفي ذلك ما يوجه الأنظار إلى اغتنام فرصة الزمان، والتزود منها بصالح الأعمال، للوقوف بين يدي الملك الديان، وإن في استدامة الطاعة وصدق

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٧.
(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٩.

الإقبال عليها حرزاً من الشيطان، يعصم الله به أهل التقوى والإيمان ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[(١)].

أيها المسلمون : ما أقرب الحياة من الممات، فما بينهما إلا أن يقال: فلان مات، وهذا محتمل في سائر الأوقات؛ فكل ما هو آت آت، وإن هذا الموت الذي تخافونه وتفزعون منه ليس هو فناء أبداً، ولكنه انتقال من دار إلى دار، وانقلاب من حال إلى حال، فهو إبدال حياة بحياة أخرى ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾[(٢)]. والأعمال بالخواتيم، فمن أصلح فيما بقي غفر له ما مضى، وكل إنسان يبعث على ما مات عليه. فاتقوا الله وتوبوا إليه، وصلوا على نبيكم محمد ﷺ، الذي لا خير إلا دلكم عليه، ولا شر إلا حذركم منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[(٣)].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٥.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

موعظة في توديع العام والاعتبار بسرعة مضيه

الحمد لله الحي القيوم على مر الدهور وكر العصور، أحمده سبحانه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ۝١٩﴾[١]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١﴾[٢]. ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾[٣]. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المبعوث بالحق بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه على هداه إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم تُوفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون، وتزودوا بعمل صالح تسرون به ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[٤].

أيها المسلمون: إن كثيرين من الناس تمضي عليهم الأيام

---

(١) سورة غافر، الآية: ١٩.
(٢) سورة الفرقان، الآية: ٦١.
(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦٢.
(٤) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

والشهور، وتنصرم عليهم الأعوام والدهور، وهم بين السهو والغفلة، واللهو وكثرة المشاغل، والانهماك في متع الحياة حتى يفجأهم الموت وهم على غير استعداد، قد شغلهم الأمل عن صالح العمل، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1]. فيغبن أحدهم في فرصة العمر المديد التي وهبه الله إياها؛ ليتزود فيها من الصالحات قبل انقضاء الحياة ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ﴾[2]. وكم وجه الله تعالى أنظار عباده إلى الاستعداد ليوم المعاد، والتزود له بخير الزاد، إذ يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾[3]. ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[4].

أيها الناس: ألا ترون أن الأيام تطوى، والأعمار تفنى، والأبدان في الثرى تبلى، وأن الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد،

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

(٣) سورة المنافقون، الآيات: ٩ ـ ١١.

(٤) سورة الحشر، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

فيقربان كل بعيد، ويخلقان كل جديد، ويأتيان بكل موعود، وأنكم في الأيام الماضية ودعتم عاماً جديداً لا تدرون كم تبلغون منه من الآمال، ألا ترون أنكم في أسلاب الهالكين، وسيرثها بعدكم الباقون، وفي كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً منكم إلى الله، قد قضى نحبه فتودعونه، وتدعونه في صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما أسلف، أليس في ذلك أجل العبر وأبلغ العظات؟

فاتقوا الله عباد الله، واغتنموا الأعمار فيما يحبه الله ويرضاه، بالنية الحسنة، والكلم الطيب، والعمل الصالح، فقد روي أنه ما من يوم ينشق فجره إلا نادى منادٍ من قبل الحق: يا ابن آدم! أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني بعمل صالح، فإني لا أعود إلى يوم القيامة.

أيها الناس: إنكم في ممر اليالي والأيام، وفي آجال منقوضة، وأعمال محفوظة، والموت يأتي بغتة، فمن استطاع أن يقضي الأجل، وهو في صالح من العمل، فليفعل، ولن تنالوا ذلك إلا بالله عز وجل، وإن الله تعالى أثنى على زكريا عليه السلام وأهل بيته، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾[1]. فازرعوا خيراً يكن لكم عند الله ذخراً؛ فإن لكل زارع ما زرع، فمن زرع خيراً يوشك أن يحصد رغبة، ومن زرع شراً يوشك أن يحصد ندامة، ولا يسبق بطيء بحظه، ولا يدرك حريص

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٩٠.

بحرصه، ما لم يقدر له، فمن أعطي خيراً فالله أعطاه، ومن وقي شرًا فالله وقاه، وإن المؤمن بين مخافتين، بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد لنفسه من نفسه، ومن دنياه لآخرته، ومن الشبيبة قبل الهرم، ومن الصحة قبل السقم، ومن الإمكان قبل الفوت، ومن الحياة قبل الموت، فوالله ما بعد الموت من مستعتب، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، فعليكم بالآخرة تتبعكم الدنيا، فإن الله تعالى قد خط آثاركم، وقدر أرزاقكم، فلا تميلوا إلى الدنيا فتميل بكم عن قصدكم، وتستبدل بكم غيركم، واطلبوا ما عند الله، وآثروه على ما سواه، ولا تتشاغلوا بما لم تؤمروا به عما كلفكم به الله؛ فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته، والله غني عن العالمين.

أيها الناس : أقبلوا على ما كلفتموه من إصلاح آخرتكم، وأعرضوا عما ضمن لكم من أمر دنياكم، ولا تستعملوا جوارح خلقها الله وغذاها بنعمته، بالتعرض لسخطه بمعصيته، واجعلوا شغلكم بالتماس مغفرته، واصرفوا هممكم بالتقرب إليه بطاعته، فإنه من بدأ بنصيبه من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة، ولم يدرك منها ما يريد، ومن بدأ بنصيبه من الآخرة وصل إليه نصيبه من الدنيا، وأدرك من الآخرة ما يريد، فلا تشغلنكم دنياكم عن آخرتكم، ولا تؤثروا أهواءكم على طاعة مولاكم، ولا تجعلوا إيمانكم ذريعة إلى معاصيكم، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، ومهدوا لها قبل أن تعذبوا، وتزودوا للرحيل قبل أن تزعجوا، فإنما هو موقف عدل واقتضاء حق، وسؤال عن واجب، وقد أبلغ في الإعذار من تقدم بالإنذار، ألا وإن أفضل الناس عبد عرف ربه فأطاعه، وعرف عدوه فعصاه، وعرف دار إقامته

فأصلحها، وعلم سرعة رحلته فتزود لها، ألا وإن خير الزاد ما صحبه التقوى، وخير العمل ما تقدمه صالح النية، وأعلى الناس منزلة عند الله أخوفهم منه. ابن آدم! مسكين أنت؛ تؤتى كل يوم برزقك، وأنت تحزن، وينقص كل يوم من عمرك، وأنت تفرح، أنت فيما يكفيك، وتطلب ما يطغيك، ولا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ۝٣٧﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٣٧.

في التذكير بالموت ووجوه الخير

الحمد لله، أحمده، وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأؤمن به وأتوكل عليه، ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة على فترة من الرسل، وقلة من العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل، من يطع الله ورسوله ﷺ فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط، وضل ضلالاً بعيداً.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي بتقوى الله؛ فإن خير ما أوصى به المسلم نفسه وأخاه المسلم أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل منه ذكرى، وإنه تقوى لمن عمل به على وجل ومخافة، وعون صدق على ما تبتغون من أمر الآخرة، ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله ـ يكن له ذكراً في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان سوى ذلك ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾[1]. والذي صدق قوله، وأنجز وعده، لا خلف

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٠.

لذلك فإنه يقول تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩﴾[١].

أيها الناس: اتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[٢]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾[٣]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾[٤].

إن تقوى الله تقي مقته وعقوبته وسخطه، وتبيض الوجه، وترضي الرب، وترفع الدرجة.

أيها الناس: توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا،. وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا، وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بطاعته وكثرة ذكره تسعدوا، وأكثروا الصدقة ترزقوا، وأمروا بالمعروف تخصبوا، وانهوا عن المنكر تنصروا.

أيها الناس: إن أكيسكم أكثركم للموت ذكراً، وإن أحزمكم أحسنكم له استعداداً، ألا وإن من علامة العقل التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والتزود لسكنى القبور، والتأهب ليوم النشور.

أيها الناس: حلوا أنفسكم بالطاعة، والبسوا قناع المخافة، واجعلوا آخرتكم لأنفسكم، وسعيكم لمستقركم، واعلموا أنكم عن

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٩.
(٢) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.
(٣) سورة الطلاق، الآية: ٤.
(٤) سورة الطلاق، الآية: ٥.

قليل راحلون، وإلى الله صائرون، فلا يغني عنكم هناك إلا عمل صالح قدمتموه، أو حسن ثواب حزتموه، وإنما تقدمون على ما قدمتم، وتجازون على ما أسلفتم، فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنية عن مراتب جنة علية، فكأن قد كشف القناع، فارتفع الارتياب، ولاقى كل امرئ مستقره، وعرف مثواه ومقيله.

أيها الناس : خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله؛ فقد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾[1]. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[2]. ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٤٢﴾[3]. ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت؛ فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أيها الناس : النادم ينتظر من الله الرحمة، والمعجب ينتظر المقت، واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله، ولا يخرج

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٣.
(٢) سورة الحج، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

من الدنيا حتى يرى حسن عمله وسوء عمله، وإنما الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان، فأحسنوا السير عليهما.

أيها الناس : أتدرون ما حق الجار؟ إذا استعانك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته، وإن افتقر عدت إليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذه «فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره».

أيها الناس : «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه، ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

أيها الناس : إن أطيب الكسب كسب التجار الذين إذا حدثوا لم يكذبوا، وإذا اؤتمنوا لم يخونوا، وإذا وعدوا لم يخلفوا، وإذا اشتروا لم يذموا، وإذا باعوا لم يطروا، وإذا كان عليهم دين لم يمطلوا، وإذا كان لهم على الناس حق لم يعسروا.

يا معشر التجار : إن التجار يبعثون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى الله وبر وصدق، التاجر الصدوق الأمين المسلم لا يحجب من أبواب الجنة، يحشر مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك

رفيقاً. يا معشر التجار! إن البيع يحضره الحلف واللغو فشوِّبوه بالصدقة.

أيها الناس : إن من في الدنيا ضيف، وما في يده عارية، والضيف مرتحل، والعارية مردودة، ألا وإن الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر، والآخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه، ومهد لرمسه، ما دام رسنه مرخى، وحبله على غاربه ملقى، قبل أن ينفذ أجله، فينقطع عمله.

ابن آدم : أقلل من الشهوات يسهل عليك الفقر، وأقلل من الذنوب يسهل عليك الموت، وقدم مالك أمامك يسرك اللحاق به، واقنع بما أوتيته يخف عليك الحساب، ولا تتشاغل عما فرض الله عليك بما قد ضمن لك، إنه ليس بفائتك ما قسم لك، ولست بلاحق ما زوي عنك، فلا تكن جاهداً فيما يصبح نافداً، واسع لملك لا زوال له، في منزل لا انتقال منه، فإن الدنيا والآخرة طالبتان ومطلوبتان، فطالب الآخرة تطلبه الدنيا حتى يستكمل رزقه، وطالب الدنيا تطلبه الآخرة حتى يأخذ الموت بعنقه، فيصبح في بطن موحشة غبراء، مدلهمة ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنة ولا ينقص من سيئة، ثم ينشر فيحشر، إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو إلى نار لا ينفذ عذابها.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

في التذكيــر

الحمد لله الذي كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه، أحمده سبحانه يعز من أطاعه واتبع الداعي إليه، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك له، يذل من سلكَ سبيل الغواية وتمادى فيه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المجتبى، والرسول المصطفى، بعثه الله بالدين والهدى، فما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه بدور الدجى، وأئمة أولي التقى.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الناس: اتقوا الله حق تقاته، واسعوا في مرضاته، وأيقنوا من الدنيا بالفناء، ومن الآخرة بالبقاء، فاعملوا صالحاً لما بعد الموت، وسابقوا في ميادين الخير قبل الفوت، فكأنكم بالدنيا كأن لم تكن وبالآخرة كأن لم تزل.

أيها الناس: إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث: إما شبهة في الدين ارتكبوها، أو شهوة للذة آثروها، أو غضبة لحمية أعملوها، فإذا لاحت لكم شبهة فاجلوها باليقين ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن

﴿كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾[(١)]. فإن: «من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه»، وإذا عرضت لكم شهوة فاقذعوها بالزهد، فإن الزهد في الدنيا يحببكم إلى الله، وإن الزهد فيما عند الناس يحببكم إليهم، وإذا عرضت لكم غضبة فادرؤوها بالعفو، فقد روي أنه يُنادى يوم القيامة: من له أجر على الله فليقم؛ فيقوم العافون عن الناس، وقد قال ربكم سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾[(٢)]. وقال سبحانه: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾[(٣)].

ابن آدم: عجباً لأمرك وأسفاً عليك؛ تؤتى كل يوم رزقك وأنت تحزن، وينقص كل يوم من عمرك وأنت تفرح، أنت فيما يكفيك وتطلب ما يطغيك، وتفر من الموت وهو لا شك ملاقيك، هلا تفكرت في الموت ونظرت على أي حال يأتيك، فإن المرء يُبعث على ما مات عليه، فويل لمن فجأه الموت وهو على معصية، أو له ذنب قد أصر عليه، وهنيئاً لمن حضره الموت وهو على عمل صالح قد أخلص لله فيه، فلقي الله تعالى وهو يباهي ملائكته به.

أيها الناس: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، والآخرة قد ارتحلت مقبلة، ألا وإنكم اليوم في عمل ليس فيه حساب، ويوشك أن تكونوا في يوم حساب ليس فيه عمل، وإن الله ليعطي الدنيا من يحب ومن

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٤٠.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

يبغض، وشر ما يخاف علينا منه اتباع الهوى، وطول الأمل، فإياكم وفضول المطعم؛ فإنه يسم القلوب بالقسوة، ويبطئ الجوارح عن الطاعة، ويصم الآذان عن سماع الموعظة، ويضعف الانتفاع بالتذكرة، وإياكم وفضول النظر؛ فإنه يبذر الهوى، ويولد الغفلة، وإياكم واستشعار الطمع؛ فإنه يشرب القلوب شدة الحرص، ويورث حب الدنيا، وهو مفتاح لكل سيئة، وسبب لإحباط كل حسنة.

أيها الناس: إن في القنوع لسعة، وإن في الاقتصاد لبلغة، وإن في الزهد لراحة، وإن لكل عمر جزاء، فشمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن الرحيل قريب، وتزودوا فإن السفر بعيد، وإن خير الزاد التقوى، وإن وراءكم عقبة كؤوداً، لا يقطعها إلى المخفُّون من تبعات الدنيا، المدلجون في مطالب الآخرة.

أيها الناس : إن بين يدي الساعة أموراً شداداً، وأهوالاً عظاماً، وزماناً صعباً، يتملك فيه الظلمة، ويتصدَّر فيه الفسقة، فيُضطهد الآمرون بالمعروف، ويُضام الناهون عن المنكر، وربما لاحت لكم فيما حولكم شواهده، ونالت منكم عوائده، فأعدّوا لذلك الإيمان، وعضوا عليه بالنواجذ، وعليكم بالفقه في الدِّين، فإن الله يثبت به الإيمان، ويزيد به العمل الصالح، ويضاعف به الثواب، ويصرف أهله عن المنكر والفحشاء، وينجي به من الفتن، ويصرف به المحن، والجأوا إلى الله تعالى بالطاعة، وأكرهوا عليها النفوس، واصبروا على الضراء، واشكروا على السراء، تفضوا إلى النعيم المقيم.

أيها الناس : مروا بالمعروف واسبقوا الناس إليه، وانهوا عن المنكر وكونوا أبعد الناس عنه، وأخلصوا النصح والدعاء بالهداية

والصلاح لأئمة المسلمين وعامتهم، والزموا جماعتهم، واعلموا أن من نزع يداً من طاعة أو فارق الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾(١).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة النساء، الآيات: ٦٦ ـ ٧٠.

في التذكير

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً، وهو العزيز الغفور، أحمده سبحانه، قسم عباده، فمنهم شاكر، ومنهم كفور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه ومن اقتدى بهم إلى يوم الحشر والنشور.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى واعلموا أن هذه الدار متاع الغرور، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور، تذكروا ما أنتم إليه صائرون، يوم يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون، تذكروا حالكم عند حلول الآجال، وانقطاع الأعمال، ومفارقة الأوطان والأهل والمال والعيال، حين تنزل الملائكة على المؤمنين ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1]. فتخاطب روح المؤمن قائلة: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾[2]. أما الكافرون والمنافقون فتتوفاهم الملائكة ظالمي

---

(١) سورة فصلت، الآيات: ٣٠ ـ ٣٢.
(٢) سورة الفجر، الآيتان: ٢٧، ٢٨.

أنفسهم، تقول لهم: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)﴾[1].

وتذكروا هذا اليوم اليوم الذي ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ (١٠٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (١٠٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (١٠٦) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ (١٠٧) ۞ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨)﴾[2].

أيها المسلمون: إن يوم القيامة يوم عظيم تندك من عظمته الجبال، وتعظم فيه الأهوال، ويجيء للقضاء فيه بين العباد ربكم الكبير المتعال، أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، الذي نبهكم على عظيم شأنه، وحثكم على الاستعداد له بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)﴾[3]. يوم فيه تسترد المظالم،

---

(١) سورة الأنعام، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

(٢) سورة هود، الآيات: ١٠٤ ـ ١٠٨.

(٣) سورة الحج، الآيتان: ١، ٢.

ويعض أصابع الندم كل ظالم.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يحشر الناس حفاة عراة غرلاً» قالت: قلت: يا رسول الله! الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال: «يا عائشة! الأمر أشد من أن يهمهم ذلك».

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يُقاد للشاة الجلحاء ـ يعني الجماء ـ من الشاة القرناء». زاد رزين في روايته: «ويسأل الحجر الذي انكب على الحجر، ولم تطأ الرجل الرجل؟» ولذلك جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء منه فليتحلله منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

وفي صحيح مسلم عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال: «إن المفلس من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم يطرح في النار».

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال له عمر: ما أضحكك بأبي أنت وأمي؟

قال: «رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة فقال أحدهما: يا رب! خذ مظلمتي من أخي، فقال الله: كيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري» وفاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: «إن ذلك ليوم عظيم يحتاج الناس أن تحمل عنهم أوزارهم».

أيها المؤمنون: إنكم مسؤولون يوم القيامة عن أعمالكم، وعن نعم الله عليكم، فأعدوا للسؤال جواباً، وليكن الجواب صواباً؛ فإن أول ما يحاسب عليه العبد من عمله صلاته، وأول ما يقضى بين الناس في الدماء. روى الترمذي بسند صحيح عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن عمله ما عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه». وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه: أتعرف ذنب كذا وكذا؟ فيقول: رب أعرف ـ مرتين ـ فيقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته». وأما الآخرون أو الكفار أو المنافقون فيُنادى بهم على رؤوس الخلائق: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ

---

(١) سورة هود، الآية: ١٨.

ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾[١].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

---

(١) سورة الحشر، الآيات: ١٨ ـ ٢٠.

في التذكير

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ۝١ ﴾[2].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ۝٧١ ﴾[3].

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كتاب الله، قد أفلح من زيَّنه الله في قلبه، وأدخله الإسلام بعد كفره، وحبب إليه القرآن، واختاره على ما سواه من أحاديث الناس، إن أحسن الحديث وأبلغه كتاب الله، أحبوا من أحب الله من كل قلوبكم، ولا تملوا كلام الله وذكره، ولا تقسُ عنه قلوبكم، واعلموا أن الدنيا دار بلاء، ومنزل ظعنة وعناء، قد نزعت عنها نفوس السعداء، وانتزعت بالكره من أيدي الأشقياء، فأسعد

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ١.
(٣) سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠، ٧١.

الناس بها أرغبهم عنها، وأشقاهم بها أرغبهم فيها، هي الفاتنة لمن انتصحها، والمغرية لمن أطاعها، والخائبة لمن انقاد إليها، الفائز من أعرض عنها، والهالك من رغب فيها، طوبى لعبد اتقى فيها ربه، وناصح نفسه، وقدم توبته، وأخر شهوته، من قبل أن تلفظه الدنيا إلى الآخرة؛ فيصبح في بطن موحشة عفراء، مدلهمة ظلماء، لا يستطيع أن يزيد في حسنة، ولا ينقص من سيئة، ثم ينشر فيحشر، إما إلى جنة يدوم نعيمها، أو إلى نار لا ينفذ عذابها.

فما لنا فيها أيها الناس؟! كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق فيها على غيرنا وجب، وكأن الذين نشيع من الأموات سفر عما قليل إلينا راجعون، بيوتهم أجداثهم، ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، قد نسينا كل موعظة، وقد أَمِنَّا كل جائحة، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن أنفق من مال اكتسبه من حلال في غير معصية، وجالس أهل الفقه والحكمة، وخالط أهل الذل والمسكنة، طوبى لمن ذلت نفسه، وحسنت خليقته، وطابت سريرته، وعزل عن الناس شره، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، ووسعته السُّنة، ولم تستهوه البدعة.

أيها الناس: لا يتطاولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، ولا يلهينكم الأمل، فكل ما هو آت قريب، وإنما البعيد ما ليس بآتٍ، و«لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال»، وشر الرؤيا رؤيا الكذب، لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا يعد الرجل ابنه وأخاه ثم لا ينجز له: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة» و«إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى

النار». وإنه يقال للصادق: صدق وبر، ويقال للكاذب: كذب وفجر، فإن الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، ويكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.

أيها الناس: إياكم والظلم؛ فإن «الظلم ظلمات يوم القيامة». وإياكم الفحش؛ فإن الله لا يحب الفحش والتفحش. وإياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالكذب فكذبوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾[1].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

* * * *

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨١.

في المسارعة إلى الخيرات والمنافسة في الأعمال الصالحات

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده سبحانه هو الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، أمر بالمسارعة إلى الخيرات، وحث على اغتنام الأوقات بجليل الطاعات، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، سيد المسارعين إلى الخيرات، وأشرف السابقين إلى الجنات، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي الهمم العاليات.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى وسارعوا إلى مرضاته بجليل الطاعات، وعظيم القربات، واغتنام الفرص والأوقات، اغتنموا حياتكم قبل فنائها، وأعماركم قبل انقضائها، ونعمكم قبل زوالها، وعافيتكم قبل تحولها، ويسر أموركم قبل عسرها، بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا و«بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا فقراً منسيًا، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟».

أيها الناس: إن الله تعالى قد حثنا على المسارعة إلى مغفرته وجنته، فقال سبحانه: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[(١)] . وأوضح ربنا سبحانه أن المسارعة إلى مغفرته وجنته ليست بالدعوى ولا بالتمني، وإنما تتحقق بفعل جليل الأعمال الصالحات، التي يحبها ويرضاها رب الأرض والسماوات، من الإحسان إلى الخلق ابتغاء وجهه، وكف الأذى عنهم، وتحمل أذاهم طمعاً في عفوه وإحسانه، ومنها البعد عن اقتراف المعاصي والسيئات، واجتناب الفواحش، وظلم النفس في سائر الأوقات، والمبادرة إلى ذكر الله وطلب مغفرته عند الوقوع في شيء من ذلك جهلاً؛ لعدم علم أو غلبة هوى، والحذر من الإصرار على ما يعلم من الزلات، فقال جل شأنه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[(٢)] . فحين ذكروا ربهم علموا خطيئتهم فبادروا إلى الاستغفار، وتجنبوا الإصرار، ولهذا تكرم الله عليهم فوعدهم بالمغفرة والجنة بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[(٣)] .

أيها المسلمون : إن المسارعة في الخيرات صفة جامعة لفنون المحاسن المتعلقة بالنفس وبالغير، وهي من فرط الرغبة في الخير، فإن من رغب في أمر سارع في توليه والقيام به، وآثر الفور على التراخي فيه، ولذلك يسابق إليه إحرازاً لقصب السبق، وحذاراً من الفوات، ولهذا أمر الله تعالى به حيث يقول: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[(٤)] .

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٥ .
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٦ .
(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

واستباق الخيرات يتضمن المبادرة إليها وفعلها على أحسن الوجوه، وتكميلها بإيقاعها على أكمل الأحوال، والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل من صلاة وصيام، وزكاة وحج وعمرة، وجهاد، وبر الوالدين وصلة الأرحام، ونفع خاص أو عام. والمسارع والمستبق في الدنيا إلى الخيرات هو السابق في الآخرة إلى الجنات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ ۝٦١﴾[1]. فهذه شهادة من الله للمسارعين في الخيرات أنهم سابقون إلى الجنات، كما قال تبارك اسمه: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝١٠ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝١٢ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٣ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝١٤ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ۝١٦ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝٢٠ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١ وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ۝٢٣ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٤ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ۝٢٥ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ۝٢٦﴾[2].

فالسابقون إلى الخيرات هم أعلى أهل الجنة درجات، وهم أقربهم إلى الله تعالى وأعظمهم منه كرامات ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾[3].

وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن أهل الجنة صفوف، وأنهم مائة وعشرون صفًّا، وأن أقربهم من الله تعالى أعظمهم في الدنيا

---

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٥٧ ـ ٦١.
(٢) سورة الواقعة، الآيات: ١٠ ـ ٢٦.
(٣) سورة القمر، الآية: ٥٤، ٥٥.

مسارعة إلى الخيرات، وأسبقهم إلى صفوف الصلاة، وفي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ـ أي من الخير ـ ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه ـ أي يقترعوا ـ لاستهموا». وفي الحديث الذي رواه مسلم أيضاً يقول ﷺ: «خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها».

فسارعوا رحمني الله وإياكم إلى المغفرة والجنات في استباق الخيرات، واغتنام الأوقات، فإن في ذلكم التجارة الرابحة، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[1]. وقال ربكم في وصف هؤلاء: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[2].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

(٢) سورة النور، الآيتان: ٣٧، ٣٨.

في المسارعة إلى الخيرات

الحمد لله الذي وصف المؤمنين بعمل الصالحات، وأمرهم باستباق الخيرات، والمسارعة إلى مغفرة منه وجنة عرضها الأرض والسماوات، أحمده سبحانه، يهدي من استهداه، ويجيب من دعاه، ويوفق لفعل الخير من تحراه، ويضاعف المثوبة لمن فعله يبتغي رضاه، وأشهد أن لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له رب العالمين، وإلـٰه المؤمنين، هو الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين، وما يفعلوا من خير فلن يكفروه، والله عليم بالمتقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين وسيد المرسلين، المخصوص بالقرآن المبين، المعجزة الباهرة المستمرة على تكرر السنين، صاحب الشفاعة العظمى ولواء الحمد والمقام المحمود، يوم يقوم الناس لرب العالمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأزواجه وأصحابه الطيبين الطاهرين، الذين كانوا يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

أما بعد:

فيا أيها الناس: اتقوا الله تعالى تفلحوا، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تُشغلوا، بادروا بالأعمال الصالحة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعَرض من الدنيا، فهل تنتظرون إلا فقراً منسيًا، أو غنى مطغياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال، فشر غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر؟

عباد الله : استبقوا الخيرات، ونافسوا في جليل القربات، ودوموا على ما أنتم عليه من الباقيات الصالحات، تفوزوا من الله بعظيم المنح والهبات، وتكونوا من الصالحين الذين وصفهم مولاهم بجميل الصفات، في جملة من الآيات، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ۝٦١﴾[(١)]. وقال تعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٨٩﴾[(٢)].

أيها المسلمون : المؤمن كيِّس فطن ذكي، موفق معان، ولذلك يحرص على فعل الخير، ويسارع إليه، ويتحرى أهله، ويحضر مكانه، ويرتقب زمانه، فإذا شهد مناسبته أو عرض له سببه أو دعي إليه، سبق إليه مجيباً لداعيه، ففعل ما استطاع منه، واعتذر عما عجز عنه، ورجا من الله ثواب الاثنين بفضله ورحمته ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠﴾[(٣)]. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه وهم في غزوة تبوك: «إن بالمدينة لرجالاً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم؛ حبسهم المرض». وفي رواية: «إلا شركوكم في الأجر». وكيف لا يطمع في فضل الله من يعلم سعة رحمته وعظيم غناه، وأنه الجواد الكريم الرؤوف البر الرحيم، ولذلك يجزي

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.
(٢) سورة التوبة، الآيتان: ٨٨، ٨٩.
(٣) سورة فاطر، الآيتان: ٢٩، ٣٠.

بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

أيها المؤمنون : إن العبد إذا استجاب لداعي الخير فسارع إليه وسبق الناس فيه، فإنه يفوز من الله الكريم بمنح كريمة، وعطايا جزيلة، وأجور عظيمة، فإنه بذلك يكون مستجيباً لله والرسول، وجزاؤه على ذلك الحياة الطيبة الكريمة، والأمن من أن يحال بينه وبين قلبه، والعافية من المحن، والنجاة من الفتن، وربما سبق المرء إلى فعل خير تقرر أنه من أدنى خصال الإيمان، ولكنه وقع من الله موقعاً لا يخطر له على بال، فأثابه الله عليه ثواباً لا يدور لأحد بخيال، وذلك لصحة النية واحتساب الأجر عند ذي الكرم والجلال، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخّره فشكر الله له فغفر له»**. وفي رواية لمسلم قال النبي ﷺ: **«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»**.

والسابق إلى الخير ابتغاء وجه ربه يجعله الله إماماً في هذا الخير لمن يعمل به بعده، فيعطيه الله أجره، ومثل أجر من فعله؛ لإحيائه لسنة غفل عنها الناس، ففي صحيح مسلم عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم**

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٢٠، ٢١.

شيء». كان سبب قول النبي ﷺ أنه دعا الناس يوماً للصدقة، فسبق رجل بالصدقة فتبعه الناس.

وفي صحيح مسلم أيضاً عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دل على خير فله مثل أجر فاعله».

ومن فضل الله تعالى علينا معشر المسلمين أن الرجل إذا فعل الخير ولازم عليه، فحصل له عارض منعه منه من غير قصد التخلف عنه، أجرى الله له عمله على ما كان عليه قبل ذلك العارض، ففي صحيح البخاري عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً». وإذا مات المسلم على فعل خير ختم له خاتمة حسنة يبعث عليها يوم القيامة، لما في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يبعث كل عبد على ما مات عليه».

وكان رجل مع النبي ﷺ في عرفة في حجة الوداع فسقط على راحلته فوقصته؛ أي وطئت عنقه فمات، فقال رسول الله ﷺ: «غسلوه وكفنوه في ثوبيه، ولا تخمروا رأسه ولا تمسوه طيباً؛ فإنه يُبعث يوم القيامة ملبياً».

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستجيبوا لربكم إذا دعاكم إلى المسارعة إلى مغفرته وجنته؛ باستباق الخيرات، وعمل الصالحات، من التقوى، والنفقة ابتغاء وجهه، والحلم والعفو، وغير ذلك من وجوه الإحسان، والتوبة من الفواحش وظلم النفوس؛ طمعاً في مغفرة الله وواسع رحمته وفسيح جنته. فبادروا إلى ذلك ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ

عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا جميعاً بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم من كل ذنب، فاستغفروه يغفر لكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الكريم، الداعي إلى صراطه المستقيم، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين كانوا يسألونه عن كل ما يدخلهم جنة النعيم، وينجيهم من عذاب الجحيم.

أما بعد:

فيا أيها الناس: إن الرزق مقسوم، لن يعدو امرؤ ما كتب له، فأجملوا في الطلب، وإن العمر محدود، لن يجاوز أحد ما قدر له، فبادروا قبل نفاذ الأجل، والأعمال محصاة، لن يهمل منها صغيرة ولا كبيرة، فأكثروا من صالح العمل.

أيها الناس: إن في القنوع لسعة، وإن في الاقتصاد لبلغة، وإن في الزهد لراحة، وإن لكل عمل جزاء، وكل آتٍ قريب.

أيها الناس: شمِّروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن الرحيل

---

(١) سورة فاطرة، الآيتان: ٥، ٦.

قريب، وتزودوا فإن السفر بعيد، وخففوا أثقالكم فإن العقبة كؤود لا يقطعها إلا المخفُّون.

أيها الناس: إن بين يدي الساعة أموراً شداداً، وأهوالاً عظاماً، وزماناً صعباً، يتملك فيه الظلمة، ويتصدر فيه الفسقة، فيُضطهد الآمرون بالمعروف، ويضام الناهون عن المنكر، فأعدوا لذلك الإيمان، وعضوا عليه بالنواجذ، والجأوا إلى العمل الصالح، وأكرهوا عليه النفوس، واصبروا على الضراء ـ تفضوا إلى النعيم الدائم.

أيها الناس: إن الطمع فقر، وإن اليأس والقناعة راحة، والعزلة عبادة، والعمل كنز، فكلٌّ إلى نفاذ وشيك وزوال قريب، وأنتم في مهل الأنفاس، وجدة الأحلاس، قبل أن يؤخذ بالكظم ولا يغني الندم. فاستبقوا الخيرات، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل الممات، وأكثروا من الصلاة والسلام على عبدالله ورسوله محمد خير البريات؛ فإن الله قد أمركم بذلك إذ يقول في محكم الآيات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾[1].

ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[2].

فاذكروا الله العظيم الجليل يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) سورة النحل، الآية: ٩٠.

الفهرس